الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة الجزائر (2) معهد الآثـار

أبو القاسم سعد الله بني مسوس

المسكن الصحراوي في الجزائر
وادي سوف، بوسعادة، الأغواط أنموذجا
دراسة أثرية تحليلية

أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الريفية والصحراوية

إعداد الطالب: إشراف الأستاذة الدكتورة:

عبد المالك بوقزولة خديجة نشار

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	عائشة حنفي	أستاذة التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	رئيسا
02	خديجة نشار	أستاذة التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
03	محمد رابح فيسة	أستاذ محاضر (أ)	معهد الآثار جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
04	هجيرة تمليكشت	أستاذ محاضر (أ)	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
05	محمد موشموش	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر و عرفان

الحمد والشكر لله الذي وفقني لإنهاء هذا العمل وجعل الأستاذة الدكتورة نشار خديجة مشرفة على هذا العمل من بدايته إلى نهايته إرشادا وتصحيحا وتعليما ونصحا، فجزاها الله عنا كل خير وأنعم عليها من فضله وخيره ونعمه وسدد الله خطاها وجعلها ذخرا لطلبة العلم ولوطنها العزيز الجزائر.

إلى كل من أنار لي دربي طيلة مشواري الدراسي من معلمين و أساتذة ومشايخ حفظهم الله جميعا وجعل جهدهم ذاك في ميزان حسناتهم.

آميـــــــــــن

والله الموفق

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى

الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما وأطال في عمرهما، أمي وأبي.

إلى زوجتي الغالية حياة، إلى أولادي علاء الدين، أحمد عبد الرؤوف، إلياس شرف الدين وأمير الإسلام.

إلى إخواني وأخواتي وأولادهم.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذه البحث.

إلى زملاء العمل بجامعة المسيلة.

إلى طلبتي، وجميع الأهل والأقارب والأحبة عبر ربوع هذا الوطن الغالي.

إلى كل شهيد ومجاهد ومحب لوطنه وللعلم.

مقدمـــــــة

عرف الإنسان في حياته الكثير من التحديات والعوائق أثناء استقراره في هذه الطبيعة التي يعيش فيها وهو جزء منها، فكان يبحث دوما عن مأكله ومشربه وملبسه ليحفظ حياته ووجوده في هذا الكون، وفي ظل المتغيرات الحاصلة في الطبيعة خاصة الظروف الطبيعية القاسية كالبرد القارس شتاء والحرارة الشديدة صيفا، مما جعله يبحث ليجد لنفسه مسكنا آمنا يأوي إليه للراحة وليحمي فيه أسرته من خطر الطبيعة والحيوانات الضاربة، ويكون في مكان آمن تتوفر فيه ضرورات الحياة. فأول ما سكن الإنسان كانت الكهوف والمغارات ثم مسكنا مبني بالأخشاب وأوراق الأشجار إلى أن وصل إلى بناء مسكن بمواد بناء محلية مختلفة تتلاءم والظروف الطبيعية، فظهر المسكن في مناطق مختلفة ومنطقة الصحراء الجزائرية جزء مهم من هذه المناطق التي استقر فيها الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ وصولا إلى عصرنا الحالي، وحاول أن يتأقلم مع ظروفها الطبيعية القاسية ومناخها الصعب مما انعكس ذلك على عمرانها خاصة العمارة السكنية، حيث جاء المسكن بخصائص ومميزات تعكس الطابع الصحراوي، ومن هنا جاء موضوع بحثنا الذي يتمحور حول **المسكن الصحراوي في الجزائر وادي سوف، بوسعادة، الأغواط أنموذجا –دراسة أثرية تحليلية**– والذي نقف من خلاله على طبيعة هذا المسكن خصائصه ومميزاته، سواء الخيمة أو كونه وحدة معمارية من وحدات القصر أو منعزلا لوحده، وكذا مواد البناء المستعملة في تشييده في هذه البيئة الصحراوية المتميزة.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد جاء اختيارنا لموضوع المسكن الصحراوي بالجزائر لعدة أسباب ذاتية وأخرى أسباب موضوعية نذكر من أهمها: أن مجال تخصصنا هو الآثار الريفية والصحراوية، ومحاولتنا المشاركة في التعريف بهذا النوع من الآثار المنتشرة هنا وهناك والتي تمثل جزء

مهما من تراث وهوية هذه الأمة في مناطق بيئية رغم قساوتها لكنها ساهمت في كتابة صفحاتها عبر حقب الزمن المختلفة، وكذلك الرغبة الذاتية في خوض غمار البحث في هذه المناطق ومعرفة أهم الخصائص والمميزات لهذه العمارة الصحراوية والمسكن بشكل خاص، وكذلك لأن الدراسات والأبحاث التي تناولت العمران الصحراوي قليلة مقارنة مع تلك التي تناولت المدن الشمالية. وقد ركزت في دراستي هذه على مناطق مختلفة في الصحراء الجزائرية كمنطقة وادي سوف وبعض المناطق المجاورة لها كمنطقة الأغواط ومنطقة بوسعادة، وهذا حتى يتسنى لنا معرفة طبيعة المسكن وتطوره وخصائصه المعمارية وأثر البيئة والفكر العمراني الإسلامي في توزيع العناصر والوحدات المعمارية والفروقات الموجودة في المسكن الصحراوي وكونه وحدة معمارية أساسية مكونة لما يسمى بالقصور الصحراوية، وجاء اختياري للمسكن لما يحمله من دلالات مختلفة منها الإنسانية والاجتماعية والفلسفية والفكرية، وكذلك ارتباطه بعادات وتقاليد المجتمع في تلك المناطق الصحراوية وغيرها.

إشكاليات البحث:

لدراسة موضوعنا هذا والمتعلق بدراسة المسكن الصحراوي في الجزائر دراسة أثرية وتحليلية طرحنا الإشكالية الأساسية والمتمثلة في:

- ما هي خصائص ومميزات المسكن الصحراوي في الجزائر؟

اندرجت تحتها مجموعة من الأسئلة الفرعية، أهمها:

- كيف تأثر العمران الصحراوي ومن خلاله المسكن بالعوامل البيئية؟
- هل تأثر المسكن الصحراوي بالفكر العمراني الإسلامي؟
- ما هي الوحدات المعمارية الأساسية للمسكن في المناطق الصحراوية؟
- ما هي خصائص ومميزات المسكن من خلال النماذج المتوفرة لدينا؟

- أهم المواد المستعملة في البناء؟ وهل هناك اختلاف في طبيعة المسكن الصحراوي رغم تشابه البيئة التي بني فيها؟
- ما طبيعة المواضيع الزخرفية التي وجدت على المسكن الصحراوي؟

مناهج البحث المتبعة:

للإجابة على الإشكاليات المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي والأثري من خلال المناهج التالية: المنهج الاستقرائي القائم على التحليل والاستنتاج في استقراء النصوص التاريخية التي وفرتها المصادر وهو منهج قائم على التحليل والاستنتاج. كما اعتمدنا على المنهج الوصفي وذلك في الدراسة الميدانية بتقديم دراسة وصفية لهذه المساكن ومكوناتها الأساسية سواء من حيث شكلها الخارجي وكذا تصميمها وتخطيطها وتوزيع مرافقها الضرورية، أو من حيث وصف المواد المعتمد عليها في البناء والزخرفة. بالإضافة إلى المنهج المقارن حيث حاولنا إظهار مدى التباين والاختلاف والتشابه الموجود بين المساكن الصحراوية في مناطق الدراسة.

خطة البحث:

للوصول إلى الإجابة على إشكالية البحث اعتمدنا على خطة قسمنا فيها البحث إلى مقدمة ومدخل وخمسة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فقد تطرقنا فيها إلى تقديم الموضوع وأسباب اختياره وكذا طرح الإشكالية الأساسية والإشكاليات الفرعية، ثم ذكر مناهج البحث والخطة المتبعة ونقد المصادر والصعوبات والعراقيل التي واجهناها أثناء البحث.

قمنا بوضع مدخل للموضوع وهذا حتى نتكلم عن الصحراء الجزائرية، وتناولنا جانب العادات والتقاليد لعلاقته القوية بتشييد المسكن خاصة فيما يسمى بالتويزة.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان مفاهيم عامة حيث ركزنا فيه أولا على تحديد وتعريف مفاهيم أساسية في البحث كتعريف المسكن والبيت والدار والمنزل، وهذا لتوضيح العلاقة بينهما. وكون البحث يركز عل المسكن فكان لزاما علينا ضبط هذه المفاهيم، وأما المدينة والقصر فجاء تعريفهم كون المدينة أو القصر لا يقومان ولا يوجدا إلا إذا وجد المسكن فهو النواة الأساسية في تشكيلهما.

أما ثانيا فقد ركزنا على جغرافية الصحراء بتحديد مفهوم الصحراء وذكر حدودها وتضاريسها والمناخ السائد فيها مع التطرق إلى الأودية والموارد المائية والغطاء النباتي لها، كما تناولنا أهم المدن والواحات الصحراوية مع ذكر أهم الواحات الصحراوية أين تتمركز أهم الإمكانات الاقتصادية، وقد تناولنا هذه العناصر لما لها من علاقة قوية بتمركز الإنسان وبنائه لمسكنه من حولها أو بالقرب منها.

أما ثالثا فقد تناولنا أنماط وأشكال المسكن حيث عرجنا على المساكن المنحوتة في الجبال كونها أول محطة استقر فيها الإنسان في بداية حياته، ثم الخيمة والعريش، وبعدها المساكن المشتركة، وصولا إلى المسكن في العمارة الإسلامية وأهم سمات هذا المسكن الإسلامي.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان الإطار الجغرافي والتاريخي للمدن الصحراوية حيث تطرقنا فيه إلى مفهوم البيئة وذكر ظروف وعوامل الاستقرار وهذا لصلتها القوية بالإنسان والمسكن الذي سكنه، بعدها تناولنا الإطار الجغرافي والتاريخي وأصل التسمية لمناطق الدراسة وهذا لمعرفة مدى التشابه والاختلاف بين هذه المناطق الصحراوية.

أما الفصل الثالث فقد خصصناه للدراسة الوصفية لنماذج من المساكن بمناطق الدراسة، بداية بمساكن منطقة وادي سوف، ثم مساكن منطقة بوسعادة ثم مساكن منطقة الأغواط، وهي دراسة وصفية للمسكن من الداخل و الخارج دون إهمال أي جزء منه.

وفي الفصل الرابع الذي جاء بعنوان "النظام المعماري والإنشائي للمساكن الصحراوية"، وهذا بالرجوع أولا إلى التخطيط المعماري للمسكن من حيث المداخل والأبواب والنوافذ، وثانيا إلى العناصر المعمارية من عناصر الرفع والدعم ونظام التسقيف وتوزيع الوحدات المعمارية للمسكن.

أما الفصل الخامس فقد جاء بعنوان "تقنية البناء والمنظومة الفنية"، حيث ركزنا فيه على مواد البناء المستعملة في تشييد المسكن الصحراوي أولا ثم على العناصر الزخرفية وأنواع الزخارف ثانيا.

وبهذه الدراسة التي تناولتها هذه الفصول تم الوصول إلى خاتمة استعرضنا فيها مجموع النتائج المتوصل إليها، ومنه الإجابة على الإشكاليات الأساسية والتساؤلات الفرعية، وأرفقنا الخاتمة بعديد التوصيات التي نراها السبيل الأمثل للمحافظة على هذا التراث الثمين، كما دعمنا بحثنا بمجموعة من الخرائط والصور وكذا الأشكال التي من شأنها أن تساعد في إزالة الغموض لدى القارئ.

نقد المصادر والمراجع:

للإجابة على الإشكالية المطروحة والعمل بخطة البحث التي سبق ذكرها اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع والموسوعات والقواميس وكتب الرحالة والجغرافيين والدوريات والمقالات والمجلات واللقاءات مع المهندسين ورؤساء الجمعيات الناشطة في مجال التراث العمراني، ومن هذه المصادر والمراجع نذكر:

الكامل في التاريخ لصاحبه ابن الأثير، وكتاب الروض المعطار في خير الأقطار لمؤلفه الحميري محمد، وقد رجعنا إليهما في جزئيات البحث خاصة في جانبه التاريخي.

كذلك ابن خلدون في كتابه المقدمة في باب العمران والصنائع وهذا في حديثه عن البناء والتشييد، أما لسان العرب لمؤلفه ابن منظور فقد أفادنا كثيرا في تحديد مفاهيم

المصطلحات الخاصة بالبحث مما سهل لنا ضبط المفاهيم بشكل يتلاءم والبحث والإشكاليات المطروحة.

ومن كتابات الرحالة نذكر رحلة العياشي في كتابه ماء الموائد، والذي ذكر في رحلته العديد من المناطق وخاصة مناطق الدراسة وبعض المسائل الفقهية الخاصة بفقه العمران. وكذلك رحلة الأغواطي والتي ذكر فيها أخبار ووصف مناطق مختلفة تساعد كل من يرجع إليها في معرفة تاريخ وأخبار هذه المناطق، وقد رجعنا إليها في معرفة ما تعلق بأخبار منطقة الأغواط. وكذلك كتاب الشيخ الفرسطائي القسمة وأصول الأراضين الذي تناول العديد من القضايا التي تتناول البناء وبعض إشكالاته ورأي الدين فيها والذي بين لنا أثر الدين في البناء وتوجيهه.

أما المراجع فهي متنوعة ومتعددة وتخدم الموضوع في جوانبه المختلفة النظرية والتطبيقية، نذكر منها:

كتاب الدكتور علي حملاوي الذي جاء بعنوان نماذج من قصور منطقة الأغواط؛ وهي دراسة تاريخية أثرية مهمة ومفيدة جدا، قد ساعدتنا في دراسة منطقة الأغواط في الجانب التاريخي وفي الدراسة الميدانية لمجموعة من النماذج السكنية وهي دراسة متخصصة وموجهة لكل دارس أثري متخصص في الآثار والصحراوية بشكل خاص.

وكذلك الكتاب الذي ألفه الدكتور نور الدين بن عبد الله بعنوان العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى والقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع، حيث ساعدتنا الدراسة التي قام بها الدكتور في معرفة خصائص ومميزات العمارة التقليدية التي لها علاقة قوية بموضوع المسكن الصحراوي.

وكتاب تاريخ الجزائر العام لمؤلفه عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، وهو مجلد مكون من سبعة أجزاء لها علاقة بالبحث خاصة في إطاره التاريخي.

كما ساعدنا كثيرا كتاب الدكتور محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية دراسة معمارية أثرية، وهي دراسة ميدانية أفادتنا كثيرا في فهم موضوع البحث والإحاطة بجوانبه المختلفة.

أما المصادر والمراجع باللغة الأجنبية فهي قليلة والموجودة منها تناولت في الغالب الجانب الوصفي لهذه العمائر، ونذكر منها:

ما كتبه Youssef Nacib تحت عنوان Bou-ssada cultures oasiennes,، والذي تناول فيه بالدراسة والتحليل والوصف منطقة بوسعادة وقد أفادنا كثيرا خاصة في معرفة الخصائص الطبيعية والتركيبة البشرية لسكان المنطقة، وتناوله لنماذج من القصور والمساكن ومواد الإنشاء في منطقة بوسعادة.

كذلك ما كتبه John Despois في كتابه la Hoddna، والذي تناول فيه منطقة الحضنة من جوانب مختلفة ساعدتنا في موضوع الدراسة.

بالإضافة إلى ما كتبه Ahmed NAJAH في كتابه le souf des ouasis، حيث تعرض فيه إلى أحوال منطقة وادي سوف بالدراسة والتحليل.

كما تمت الاستعانة ببعض الرسائل والأطروحات الجامعية والمقالات التي صدرت في مجلات علمية محكمة وبعض الملتقيات العلمية، والرجوع إلى بعض المواقع الالكترونية والمنتديات العلمية، وبعض المقابلات مع مهندسين معماريين متخصصين في العمران الصحراوي. وكذلك بعض سكان المناطق ممن يعملون في مجال البناء التقليدي، حيث وضحت لنا الكثير من الغموض خاصة في تقنيات البناء ومدلول بعض العناصر الزخرفية المستعملة في هذه المناطق الصحراوية.

ورغم وجود العديد من الدراسات السابقة حول موضوع المسكن الصحراوي لكنها تبقى شحيحة كونها تتناوله مشتركا مع عمران القصور مما يجعل الدراسة حول المسكن مختصرة ولا تفيه حقه.

المشاكل والصعوبات:

لا يخلو أي عمل أو بحث من الصعوبات التي تعترض الباحث، وعند إنجاز بحثنا هذا واجهتنا مجموعة من المشاكل والصعوبات نذكر منها الخراب الذي طال هذه المساكن نتيجة تهديمها وبناء مساكن حضرية مكانها، والمساكن التي مازالت آهلة بالسكان تعرضت لتغيير تصميمها كربط المراحيض بشبكية الصرف الصحي أو ربطها بحفر خصصت لذلك الغرض مع تغيير شكلها ونزع السلالم التي تؤدي لها، كما أدخلت مواد بناء حديثة غير التي بنيت في زمانها كالاسمنت المسلح وهذا صعب علينا القيام بالدراسة الميدانية مما استلزم منا الحصول على مخططات لنماذج من المساكن لمناطق الدراسة.

رفض بعض السكان ممن ما زالوا يسكنون هذه المساكن التقليدية الدخول إليها وأخذ الصور والقيام بالرفع المعماري لها كون حياتهم مازالت بسيطة ودخولنا لها يسبب لهم الحرج.

إلى جانب قبول البعض من السكان مساعدتنا ولكن نواجه بالرفض بطرق غير مباشرة كغلق الهاتف وعدم الرد على البريد الالكتروني لأسباب تبقى مجهولة.

ومما زاد من الصعوبات هو عدم القيام بالدراسات وأبحاث من طرف الجهات المختصة لهذه العمائر بأنواعها قبل تهدمها واندثارها، مما يساعد الباحثين والدارسين في مجال الآثار والتاريخ.

ومن باب الاعتراف بالجميل نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من أساتذة وباحثين وكذا عمال المكتبات ودور الثقافة وغيرهم، متمنين أن نكون قد وفقنا في تناول الموضوع في جوانبه المختلفة، والله الموفق.

مدخـــــــل

❖ الصحـــــراء الجزائرية

إن الصحراء تمثل المظهر الأساسي في حياة العرب والمحيط الحيوي الذي طبع حياتهم وأثر على أدبهم ولغة خطابهم التي ارتسمت فيها معاناتهم في الصحراء فنجدهم قد عرفوا الصحراء في الكثير من معاجم اللغة بأنها الفضاء الشاسع الذي ينعدم فيه الماء ويفتقر إلى النبات ويفتقد إلى أدنى شروط الحياة وتعددت المعاني المعبرة عنها حيث بلغت نحو الأربعين اسما فسميت القفر ونعني الأرض الخالية من الإنسان والحياة ومثلها الفلاة والبيداء والبرية والفيافي، كما أطلق عليها أسماء أخرى تدل على الصحراء وهي المخاطر الكبرى التي تؤدي إلى فقدان الإنسان لحياته بحيث يكون الموت هو المصير المحتم لم يجتاز رمالها، ومن يتمكن من عبورها بسلام يكون من الفائزين وحينئذ أطلقوا عليها اسم المفازة.

وتعتبر الرمال الصحراوية عائقا متعدد المخاطر في العرق الشرقي ولاسيما منطقة وادي سوف والتي تمتد من غدامس الليبية وحتى بلاد الزاب الشمالية[1]، كما يعرفها آخرون بأنها مؤنث الصفة، وأصحر بمعنى الذي تضرب فيه الحمرة إلى الغبرة ويطلق بعض الكتاب هذا اللفظ على مجموعة من التربة الحجرية والسهوب والرمال، وبصفة أخص تطلق على مناطق تغطيها الرمال المتحركة وتخلو تماما من الماء[2]، وتقع الصحراء بين بلاد البربر وبلاد طرابلس وواد النيل في الشرق، ويذهب بعض الجغرافيين في مدهم رقعة الصحراء حتى تصل إلى البحر الأحمر وهم بذلك يربطونها بالصحاري العربية، ويمكن

1- علي غنايزية: تحدي الإنسان للرمال وتطويع الصحراء للعمران البشري، صحراء وادي سوف نموذجا، مجلة الواحات، ص215.

2- حسن بن محمد الوزان وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، ط1، 1982، ص136.

اعتبار الصحراء عامة سهلا قديما أخفيت أجزاء كثيرة منه طبقات جيولوجية أحدث من أجزاء كثيرة منه طبقات جيولوجية أحدث من ذلك عهدا وسطحها أبعد ما يكون عن التجانس، تتمثل فيه تغيرات كثيرة في المستوى[1]، وهناك من يعرفها بأنها من البداوة ومصطلح البداوة يستخدم في وصف طبيعة حياة الناس الذين هم يعيشون في الصحاري ويسكنون في الخيام ويتحولون من مكان لآخر بحثا وراء العشب والماء[2]، وتتطبع الصحراء الجزائري عموما بخصائص مناخية حارة وجافة وبالتالي فهي تتسم بضآلة التساقط المطري الذي لا يتجاوز معدله 200ملم سنويا وهي شتوية على الهوامش الشمالية وحينا آخر صيفية على الهوامش الجنوبية[3]، ويذهب كل من الزبيدي في تاج العروس وابن منظور في لسان العرب بأن الصحراء من الأرض هي المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل إنها الفضاء الواسع ويقول ابن شميل بأن الصحراء من الأرض مثل مظهر الداية الأجرد ليس بها شجر ولا أكام ولا جبال ملساء وجمع الصحراء صحراوات وصحراء مؤنث الصفة ويقال أصحر أي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة.[4]

ويغطي إقليم الصحراء الجزء الأكبر من مساحة الجزائر بحوالي 2 مليون كلم^2، ومنه فالفضاء الصحراوي يتألف من ثلاث خطوط طول محددة بمدن هي بشار والأغواط وبسكرة، وكل حزمة تجمع ما بين خمسة إلى ستة مراكز مهمة وباستثناء الواحات التي يكون فيها الماء قريبا من السطح، فالصحراء منطقة غير مؤهلة للفلاحة لطبيعتها ومناخها

1- أحمد الشتناوي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، العدد الأول، المجلد 14، ص152.

2- إحسان محمد الحسن: موسوعة علم الاجتماع، بيروت، 1999، ط1، ص، ص 123، 124.

3- الطيب بوسعد: الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)، مجلة الواحات، العدد 15، 2013، ص430.

4- إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص13.

القاسي[1]، فالصحراء طبوغرافية سطحها تتميز بثلاثة أنواع منها الصحراء الصخرية وتظهر فيها الصخور الصلبة على السطح وهذا نتيجة عوامل التعرية، وفيها الصحراء الحصوية حيث تغطى بطبقة من الحصى والحصياء، وفيها الصحراء الرملية وتمتاز بتربتها الهشة وسطحها المتموج وكثبانها الرملية[2]، كما تضم الصحراء الجزائرية سلسلة جبلية تسمى الأهقار (انظر الخريطة رقم 01)، والتي تمثل سلسلة الجبال الوسطى الصحراوية، فالذي يميز الصحراء من قساوة وجذب وقحط لا يعود إلى طبيعة التربة بل يعود إلى المناخ الصحراوي الذي يسودها وقلة تساقط الأمطار بها، ورغم هذا فإننا نجد أن الإنسان عبر حقب الزمن المختلفة قد استقر بها وظل يصارع ظروفها الصعبة أين قام الإنسان بابتكار طرق لجلب عنصر الحياة ونشأ عن ذلك واحات مجتمعة فيما يشه الأقاليم حيث نجد إقليم الشرق وإقليم واد ميه ووادي ريغ وفي الشمال إقليم وادي ميزاب وفي الغرب إقليم الساورة وأقصى الجنوب الغربي إقليم توات إلى جانب إقليم التوارق وميزة هذا الأخير طبيعة حياة سكانه فهم بدو ورحل لم يستقروا في شكل تجمعات بل شيدوا في بعض المناطق قراهم والمسماة بلغتهم أغرم[3]، فالإنسان الصحراوي في جل هذه الأقاليم تحدى الطبيعة وحاول جاهدا أن يسخرها لنفسه ولمتطلباته اليومية بما توفر له من إمكانيات وظروف رغم بساطتها.

وما تتميز به التضاريس الصحراوية هو رتابتها وكذا استوائها غير أن القسم الشرقي منها يتميز بتعقيد أشد من القسم الغربي وتبدوا مظاهره أكثر تباين[4]، وللصحراء

1- محمد جودي: المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر، دراسة تحليلية مقارنة لقصور مزاب وورقلة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، تخصص علم الآثار والمحيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2013-2014، ص55.

2- خالد سليم فجال: العمارة والبيئة في المناطق الصحراوية الحارة، دار الثقافة والنشر، القاهرة، 2002، ط1، ص35.

3- محمد جودي، المرجع السابق، ص56.

4- فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية، سلسلة الملتقيات، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الأبيار، الجزائر، ص ص 22، 23.

خصائصها الطبيعية والاجتماعية المميزة، مما يؤثر على مظاهر الحياة فيها ويعطيها طابعا خاصا، وهذا ما انعكس على أسلوب البناء بصورة واضحة من خلال المؤثرات البيئية التي أسهمت في تشكيل الأنماط المعمارية في واحات الصحاري[1].

إن من طبيعة الإنسان في هذه الحياة وكونه جزء من الطبيعة والبيئة التي يعيش فيها مع مجموعة الكائنات الحية الأخرى يسعى إلى تأمين حياته ومطالبه سواء المطالب البيولوجية أو مطالب أخرى ذات أهمية كتوفير الأمن والاستقرار وهذا لن يكون إلا ببنائه لمسكن يؤويه من مخاطر الطبيعة وظروفها القاسية من حرارة مرتفعة صيفا أو برودة شديدة شتاء، أو من خطر الحيوانات المفترسة التي تعترض سبيله، فجاء مسكنه ملائما للبيئة التي يعيش فيها وبالمواد التي تتوفر في تلك البيئة، فالحرص كل الحرص هو بناء مسكن يوفر له الراحة وكذا السكينة والأمن ومن قوله تعالى:{**وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**}[2]، فعلى اختلاف هذه البيوت شكلا وفي مواد بنائها فكلها يوفر الراحة للإنسان من تعب الجهد الذي يبذله في كل يوم وعند راحة الجسد والعقل تستعيد النفس البشرية توازنها لتنطلق في يوم جديد وبإرادة وعزيمة أكثر قوة وتحدي وهنا وجب علينا تعريف المسكن والوقوف عند أهم التعاريف والمفاهيم التي تناولت جوانبه المختلفة.

1- سعد عبد الكريم شهاب، المرجع السابق، ص13.

2- سورة النحل، الآية 80.

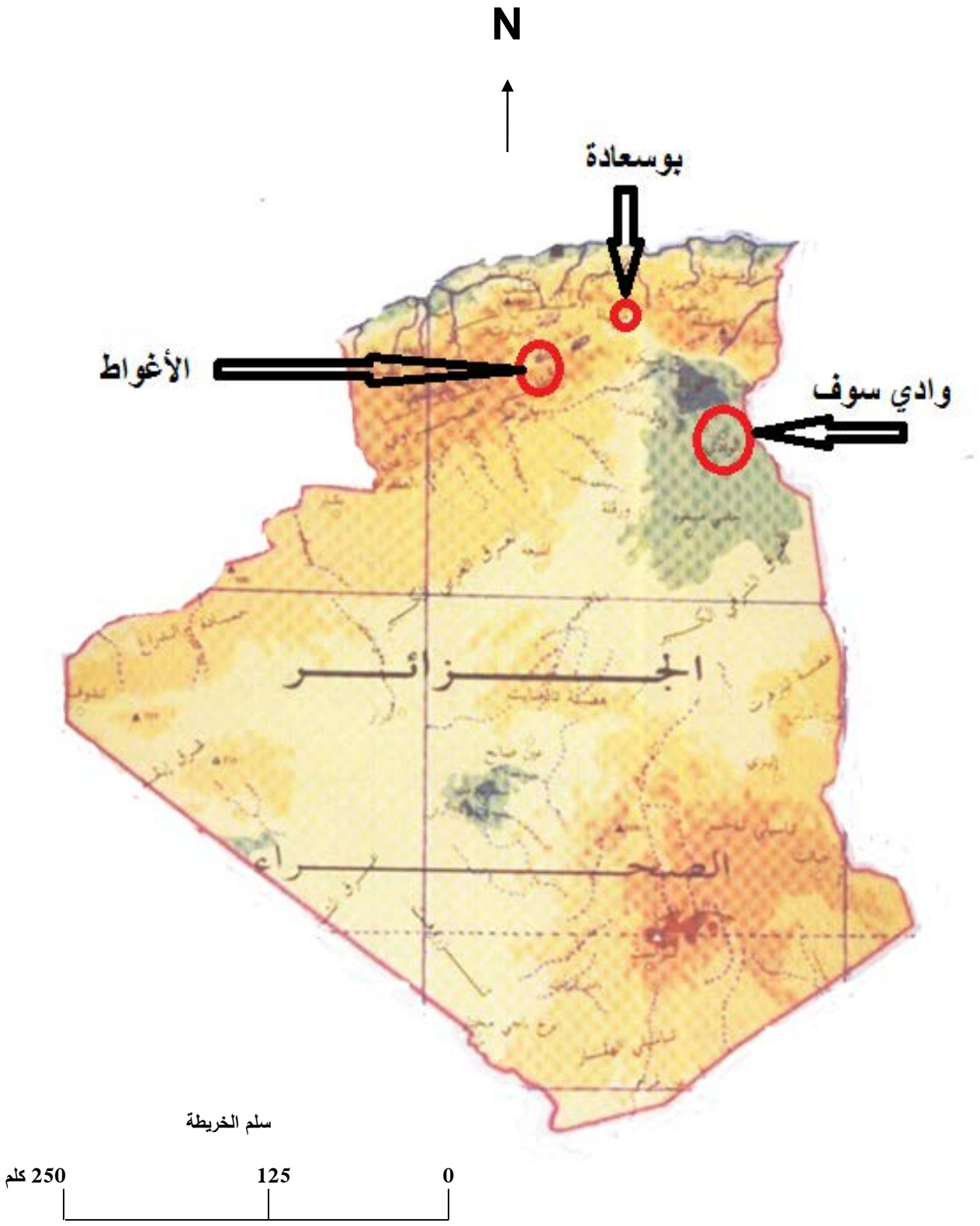

الخريطة رقم (01): خريطة الجزائر الطبيعية عليها مناطق الدراسة (عن أطلس الجزائر والعالم) ، ص 12.

❖ أهم عادات وتقاليد سكان الصحراء:

تختلف العادات والتقاليد من مجتمع إلى آخر، فتختلف عادات وتقاليد عرب الصحراء الكبرى عن عادات وتقاليد عرب الجزيرة العربية، ويساعد في هذا الاختلاف عوامل عدة تتأثر من منطقة إلى أخرى كالبيئة والمناخ وكذا الجانب الديني، كما تأثر هذه العادات في تركيبة المجتمع وطريقة بنائه وتصل إلى حد التأثير فيه عمرانيا، والمجتمع الصحراوي واحد من هذه المجتمعات التي أثرت في بنائه العادات والتقاليد نذكر منها:

- **تحفيظ كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله** ρ:

يحرص سكان الصحراء كل الحرص على تحفيظ أولادهم القرآن الكريم وأصول الدين وكذا أحاديث رسوله الكريم ρ، ويكثر عندهم المشايخ والعلماء والزوايا والكتاتيب فكل أسرة تعمل جاهدة على تنشئة أبنائها النشأة الصحيحة، وكثيرا ما نجد النساء يحفظن القرآن الكريم وأغلبهن يعرفن القراءة والكتابة، ومنه فالمرأة الصحراوية لها دور بارز في الحياة الاجتماعية فهي مثقفة وتحفظ الشعر وبعض العلوم والمعارف المختلفة.

- **الشجاعة:**

فسكان الصحراء يحترمون الشجاعة ويقدرونها ويربون أولادهم على بحبها فهم يفتخرون بشجاعة شجعانهم ويمجدونهم في أشعارهم وفي أمثالهم، كما تتناقل الصحراء بطولاتهم ويقصونها على أسماع أطفالهم في ليالي السمر وكذا بطولات ومعارك أبطال الصحراء لينشأ أطفالهم على حب الشجاعة[1]، والبيئة الصحراوية من مناخ وإقليم يفرض

1- محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، دار الرواد للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، ودار الملتقى للنشر ليسما سور، قبرص 1994، ص161.

شروطه على المدينة الصحراوية وتشمل هذه البيئة السكان الذين يقطنون الرمال والبادية ويمتاز أهلها بالشجاعة والإقدام[1].

- **الفروسية:**

يحب سكان الصحراء الفروسية فهم يدربون أولادهم عليها خاصة ركوب المهاري (الإبل) فيقومون بألعاب فوق ظهورها ويقفون على غواربها وهي تجري ويقفزون إلى الأرض ويطلقون الرصاص ويصيبون الهدف، والسلاح عندهم من مكملات الشخصية العربية في الصحراء، فالفرد الصحراوي لابد أن يكون له بندقية للصيد ولحماية نفسه وحيواناته من المعتدين ومن بعض الحيوانات المفترسة.

- **الكرم:**

الكرم صفة متوارثة عند سكان الصحراء من جيل إلى آخر، وبما أن مسكنهم في البداية كان الخيمة فنجد الضيف يدخل الخيمة مستأذنا بإلقاء التحية وهي السلام عليكم، والرد على تحيته هو بمثابة الإذن له بالدخول فيفرش له الفرش وتوضع له الوسائل ويذبح له الحيوان ويقدم له كل شيء ويؤانسونه في جلسته ويقدمون له الطعام ويلحون عليه أن يأكل دون خجل، وأن يستريح ويأخذ راحته وكأنه في بيته وإذا جاء الليل يسامرونه حتى لا يحس بالوحدة واشتياق لأهله، ويطلبون منه المكوث عندهم لأيام، كما يكرمونه راحلته بتقديم الشعير والحشائش والتبن، وعند الصباح يعدون له الفطور ويسمونه بالاصطباح، ولأنهم يعتبرون الضيف واحد منهم يوصونه في العودة بإحضار ما يلزمهم من مؤونة يفتقدون إليها مثل الزيت، الدقيق، الكبريت، وبعض الأشياء التي لا توجد عندهم[2].

1- بولعشب حكيمة، مشكلات التنمية الضارية بالمدينة الصحراوية، دراسة ميدانية لمنطقة عين الصحراء بمدينة توقرت، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، فرع علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2006-2007، ص54.

2- محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص162.

- **الولادة:**

تلد المرأة الصحراوية بجوار أمها إذا كانت باقية على قيد الحياة فإذا قرب موعد ولادتها يرسلها زوجها إلى أمها لتلد عندهم مهما كلفه ذلك من مصاريف، وعند ولادتها يحتفلون بالمولود الجديد، فهي تلد تحت رعاية العجائز الكبار لحنكتهم وتحكمهم في ذلك، وفي اليوم الثالث تذبح الذبائح ويحضر المولود لوالده ليراه مع الرجال فيستلمه أحد المشايخ فيؤذن في أذنه ليكون مسلما خالصا في نظرهم ويحنكه[1]، ويختارون له عدة أسماء ويجرون له القرعة ليفوز بأحدها ليسمى بذلك الاسم، وفي مناطق أخرى من الصحراء يكون اليوم السابع هو يوم التسمية وفي غالب الأحيان يسمي سكان الصحراء أبناءهم أسماء ثنائية مثل محمد الأمين، أو سيدي أحمد، أو بابا أحمد.

- **الختان:**

عندما يصل الطفل عامه الثاني أو الثالث يحتفلون بختانه فتذبح الذبائح ويقام الفرح ويلبس الفتى لباسا أبيضا جديدا ويزخرف بالزعفران والحناء ويعلق على شعره الفاسوخ وقرون الغزلان مخافة الحسد والعين[2]، وهناك العديد من العادات والتقاليد التي تختلف في المنطقة الواحدة مثل التي تتميز بها منطقة تمرنة بوادي ريغ منها ما هو باقي يمارس بصفة اعتيادية ومنها ما تغير ومنها ما اضمحل أو في طريق الزوال دون الاهتمام به ومنها نذكر:

- **عادات عاشوراء:**

وهي مناسبة دينية تقام كل سنة في اليوم العاشر من شهر محرم وفي تمرنة يبدأ الاحتفال في اليوم التاسع بالاغتسال بماء العين بالواحة في الصباح الباكر وفي جميع المواسم ويقولون "رايحين نتزمزموا"، إذ حسب اعتقادهم أن ماء العين فيه بركة لأنه آت

1- يحنكه: وهو مضغ حبة تمر طرية ثم توضع في فم المولود ويحك بها فمه عملا بسنة رسول الله ρ.

2- محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص168.

من ماء زمزم بمكة المكرمة ويقومون برشه في الأماكن المختلفة كأمكنة البهايم والدواجن، كما يقومون بما يسمى "التاملغيغ" وتقوم بها العائلة كلها ويقولون تاملغيغ تاملغيغ العقوبة للعام الجاي والإعادة بالعكس، كما يضعون الحناء على جميع الحيوانات التي يربونها، ويحافظون دوما على عادة ترك "طابق" أو قطعة من لحم أضحية العيد وهو الرجل الخلفية اليمنى للأضحية التي تملح وتعرض لأشعة الشمس لتصبح قديدا وتطبخ في يوم عاشوراء لاعتقادهم أن لالة عاشوراء شهدت على هذا ويقولون (لالة عاشوراء راني ضحيت والطابق راني دسيتو، ودرنا البخور ثم تزغرد النسوة، كما يستعملون البخور اعتقادا منهم أنه يطرد الأرواح الشريرة والشياطين والمس من الجن).

وخلال هذه الاحتفالات يلعب السكان العديد من الألعاب الغرض منها الترفيه والتسلية منها لعبة البعير وهو هيكل مصنوع من جريد النخيل بطول 2 متر وعرض 1متر ويأتون بغطاء يسمى الزاورة لونها أسود أو بني اللون بلون البعير توضع فوق الهيكل ويقومون بتحريك رأسه بواسطة عصى طويلة (دبوز) ليتحرك الهيكل فيخيفون به الأطفال، ولعبة الشايب عاشوراء إذ يلبس لشخص لباس كبير الحجم ويغير من شكله ويلون وجهه بالفحم ليخيف أصدقاءه، كما توجد هناك ألعاب نسوية كلعبة المرأة الستوتة التي تلبس ألبسة ممزقة وتدق بالمهراز وتقابلها امرأة تدعي الحمل تتلوى على الأرض بدافع أوجاع الحمل والولادة وكلها أهازيج وتمثيليات للضحك والفكاهة بمناسبة عاشوراء.

ومن العادات أيضا في احتفالية عاشوراء هو إعداد الفول الذي ينقع في الماء لمدة يومين ليوزع بعد طبخه وفي نيتهم أن هذا العمل هو صدقة حيث يقولون (راهي دارت الفول صدقة على والديها)، كما يقيمون إطعام جماعي في المسجد يشترك فيه الجميع يسمى المعروف ويأكل منه جميع أهل القرية خاصة الفقراء والمحتاجين والمساكين.

- **التويزة:**

وهي نظام قديم وصورة من صور التعاون والتضامن، حيث أن الفرد يكون بحاجة إلى مساعدة بواسطة العمل والجهد من أجل إنجاز شيء أو مصلحة ما، فتقدم له الجماعة التي ينتمي إليها المساعدة، وفي تمرنة مثلا تكون التويزة في المساعدة لبناء السكنات فعندما يريد أحد بناء مسكنه يقول للجماعة (راني حاب نبني) فالكل يعاون ويساعد حتى يكتمل المسكن، حيث يتم تقسيم المهام على مجموعات كل مجموعة لها مجال اختصاصها منها الخاصة بالبناء ومنها من يقوم بتغطية السقف ومنها التي تلبس الجدران وهذا حتى ينتهي العمل ويصير المسكن جاهزا، وتكون التويزة أيضا في تحضير مستلزمات الاحتفال بالزفاف عند العروسة كتحضير الكسكس والحلويات، وحياكة الملابس الصوفية ونسج الزرابي وفي الأعمال الفلاحية كالحصاد وجني التمور[1]، وتبقى هذه العادات والتقاليد تصارع العولمة والتطور الفكري والتكنولوجي خاصة في استعمال مواء البناء والأكثر من ذلك هو وصول بعض التأثيرات الأجنبية عن المجتمع الصحراوي والتي أثرت فيه سلبا خاصة على تقاليد وعادات هذا المجتمع المحافظ.

1- مريم لمام محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر تمرنة ولاية الوادي بين الاستمرارية والتغيير، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، وهران، الجزائر، 2013 على الرابط:

تاريخ الاطلاع: 2017/07/12 على الساعة 10.00http://insaniyiat.revues.irg

أولا: تعريفات هامة

عندما كان لمفهوم المسكن معنى يشترك فيه مع مصطلحات تؤدي الغرض ذاته الذي أنشئ لأجله المسكن ولأجل توضيح العلاقة التي تشترك فيها هذه المصطلحات لزم علينا تعريف هذه المصطلحات والتي نراها تزيد في فهم الموضوع أكثر، نذكر المسكن والبيت والدار والمنزل بالإضافة إلى تحديد مفهوم كل من المدينة والقصر لأنها الإقليم الذي يحتوي المسكن، ولولا المسكن لما كانت المدينة والقصر، وفي مناطق يأخذ القصر دور ووظيفة المدينة. وفي هذا الفصل سوف نبين معنى هذه المصطلحات لمعرفة الدور الوظيفي لكل مصطلح وعلاقته بالمسكن الصحراوي.

1. المسكن:

تعريفه لغة:

اشتق لفظ المسكن من الفعل سكن: السكون ضد الحركة، سكن الشيء سكن سكونا إذا أذهب حركته، وأسكنه هو وسكنه غيره تسكينا، وكل ما هدأ فقد سكن كالريح والحر والبرد وحو ذلك وسكن الرجل: سكت، وقيل سكن في معنى سكت[1]، قال تعالى: ﴿ **وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[2]، قال ابن الأعرابي: معناه وله ما حل في الليل والنهار، وقال أبو عمرو: الجذف السكان في باب السفن، الليث: السكان ذنب السفينة التي بها تعدل، ومنه قول طرفة كسكان بوصيٍّ بدجلة مُصْعِدِ، قال الأزهري: ...وسكن بالمكان سَكَنَ سُكْنَى وسكونا: أقام، قال كثير عزة:

وإن كان لا سعدى أطالت سكونَهُ

ولا أهْلُ سعد آخِرَ الدهر نَازِلة

1- ابن منظور، لسان العرب، مج13، دار صادر بيروت، ط1، 1992، ص2011.

2- سورة الأنعام، الآية 13.

فهو ساكن من قوم سكان وسَكْنِ، الآخرة اسم للجمع وقيل: جمع على قول الأخفش وأسكنه إياه وسَكَنْتُ داري وأسكنتها غيري، والاسم منه السكنى كنا أن العتبى اسم الإعتاب وهم سكان فلان، والسكن أن يسكن الرجل موضعا بلا كروة كالعمرى، وقال اللحياني: والسكن أيضا سكن الرجل في الدار يقال: لك فيها سَكَنً، أي سكنى، والسكن والمسكن والمِسكن: المنزل والبيت خيرة نادرة، وأهل الحجاز يقولون مسكن، بالفتح والسكن: أهل الدار، اسم لجمع ساكن كشارب وشرب أنشد الجوهري لذي الرمة:

فيا كرم السكن الذين تحملوا

عن الدار والمستخْلَفِ المتبدّل

قال ابن بري أي صار خلفا وبدلا للظباء والبقر، وقوله: فيا كَرَمَ يتعجب من كرمهم والسّكْنُ: جمع سكان كصحب وصاحب[1].

وجاء في تعريف موسوعة العمارة الإسلامية أن المسكن لغة: هو جمع مساكن، منزل، ربيت وربما قسم الدار إلى قسمين هما المسكن والإسطبل حيث لا يفصل بينهما حاجز بل ترتفع أرض الأول عن مستوى أرض الثاني بحوالي 75سم، والسكن: كل ما سكنت إليه واطمأنت به من أهل وغيره وربما قالت العرب السَّكْنُ لما سكن إليه، ومنه قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿...**جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا**...﴾[2]، والسَّكَنُ: المرأة لأنه سكن إليها، والسكن والساكن، قال الراجز:

ليلجؤوا من هدف إلى فننْ

وإلى ذرى دفء وظل ذي سكن

1- غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، 1998، ص407.

2- سورة يونس، الآية 67.

وسكان الدار هم الجن المقيمون بها وكان الرجل إذا إطرَفَ دار ذبح فيها ذبيحة يتقي بها أذى الجن فنهى النبي ρ عن ذبائح الجن.

والسكن بالتحريك: النار قال يصف قناة ثقعها بالنار والدهن: أقامها سكن وأدهان وقال آخر: ألجأني الليل وريح بلة إلى سواء إبل وثلَّةُ، وسكن توقد في مِظلَّه: يقول ابن الأعرابي: التسكين تقويم الصّعدة بالسكن، وهو النار[1].

تعريفه اصطلاحا:

المسكن هو البيت والدار، والمنزل، والمسكن مطلقا للإنسان والحيوان وسائر المخلوقات وهذا مصداقا لقوله تعالى:﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ [2]، أي مقرا ومنزلا تأوي إليه، وهو كل بناء حضري ينزل به من حجر أو آجر أو خشب، وكل خيمة بدوية من جلد أو صوف أو وبر[3]، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾[4]، فالمسكن إنما جعل للسكن وإن تعددت أشكاله وأنواعه فمنها المسكن الذي يصنع من الصوف ومنها المصنوع من جلود الحيوانات ومن مادة الطين والحجارة ويدل هذا النوع والثراء على تنوع حياة الشعوب والبيئة التي وجد فيها هذا المسكن.

وتعرف الموسوعة العربية العالمية: بأنه البناء الذي يوفر المأوى والأمان والحماية، وتتفاوت المساكن في الحجم من كوخ طيني يحتوي على غرفة واحد إلى قصور متعددة الحجرات والطوابق، وقد يكون المسكن بناء من طابق واحد فقط أو بناء من طوابق،

1- ابن منظور، المصدر السابق، ص2011.

2- سورة النحل، الآية 68.

3- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص408؛ عز الدين ميراز ناصر، الحق في حرمة السكن، مجلة الوافدين للحقوق، المعهد التقني، الموصل، مج12، العدد 46، ص29.

4- سورة النحل، الآية 80.

وتوجد المساكن في العواصم وكذا المدن والقرى، وكذلك في ضواحي المدن والأرياف، وتختلف أنماط المساكن بشكل كبير من بلد إلى آخر، كما أن نمط المساكن قد يتغير بمرور الزمن حيث يحمل نمط البناء اسم البلد أو الحقبة الزمنية التي يشيد فيها، بينما تحمل أنماط أخرى أسماء المهندسين المعماريين الذين قاموا بتصميمها[1].

أما مفهوم المسكن عند الإنسان العربي فينطلق بشكل عام من ذاتيته وكيانه المحدود ليتفاعل مع شمولية المجتمع الذي ينتمي إليه، وتعد العلاقة الفلسفية بين ذاتية الفرد واندماجه في المجتمع هي جواهر الجواهر في تنظيم الإسلام لشؤون العمارة الإسلامية، وأنماط بناء المساكن فكانت فكرة المسكن المعمارية أن تنطلق من الداخل إلى الخارج مع التأكيد على العناصر الداخلية المرتبطة بذاتية الفرد وخصوصية الأسرة ولكن هذا لم يفقد الداخل علاقته بالبيئة الخارجية أو عزلها عنه، ولكن قطع جزءا من البيئة واحتوتها داخليا في شكل فراغات المسكن ليؤدي دوره في توفير الأمن والاستقرار لمن يسكنه[2] وهو الوحدة الجماعة للمساحة أو المبنى معا، ومنه أي للسكن نتج عنه المنزل الأهل بالمقيمين من الناس[3].

كما ورد في التعريف أن المسكن يقصد به المنزل والبيت والدار ولكي يتضح المعنى أكثر وجب علينا أن نحدد المفاهيم المرتبطة بهذه المصطلحات التي تشترك مع المسكن في تعريفه الاصطلاحي.

1- المؤسسة العربية العالمية، مؤسسة أعمال للنشر والتوزيع، ط2، 1992، العدد 23، ح.ف.م، ص 263.

2- طارق دالي، البيان والتبيان في العمارة والعمران، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص45.

3- حواس محمد زكي، المسكن والبيئة في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام في الوطن العربي، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988، ص368.

2. البيت:

قيل البيت: هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان وما جاء في قوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام وه ويدعو﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا...**﴾[1]، فسمى سفينته التي ركبها أيام الطوفان بيتا وقيل بيت العرب شرفها والجمع البيوت، وقدر وردت لفظة البيت في القرآن الكريم وهي تعني المسكن وهذا في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[2]، فقد حذر الله عز وجل الإنسان بان لا يدخل بيتا غير بيته أي مسكنا غير مسكنه دون استئذان لما في ذلك من تعدية إلى محارم الناس ومنه فلفظة البيت هي نفسها لفظة المسكن بيته يعني مسكنه، وورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** ﴾[3]، وكذلك فيه قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ** ﴾[4]، وذكر اسم البيت ليدل على المسجد في قوله تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾[5].

أما سيد بسيوني في كتابه فن العمارة فيعرفه على أنه المأوى الذي يضم الفرد والأسرة وهو نواة الاستقرار، بمعناه الشامل الذي هو شرط أساسي للعطاء الإنساني ببعديه الفكري والحسي، ومن هنا تكمن أهمية البيت وقيمته للفرد والمجتمع[6].

1- سورة نوح، الآية 28.
2- سورة النور، الآية 27.
3- سورة الأنفال، الآية 5.
4- سورة النور، الآية 28.
5- سورة النور، الآية 36.
6- سيد بسيوني، فن العمارة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص28.

فالإنسان يسعى في بنائه لبيته ومسكنه لأنه يوفر له الأمن والحماية وفيه يستقر ليمارس نشاطاته المختلفة كمرحلة أولى للبناء، ثم اهتم بالناحية الشكلية والنظرة الجمالي لهذا المأوى الذي هو نتيجة تفاعله مع البيئة والطبيعة التي يعيش فيها، ومن المفاهيم الأخرى للبيت بأنه ذلك الملجأ النفسي الدافئ وأنه ليس مجرد حيز مادي لا يتلاءم مع الإنسان، فالعمارة الطينية تقدم عمارة الشكل في متعة مليئة بالحيوية، جذورها الأرض المحلية والطبيعة كشكل عام وتتلون في إيقاع كوني عميق في الحيز الملائم الطبيعي وفي انعكاسات الشمس وتحويلها إلى المبنى لتصبح العمارة جزءا من المحيط البيئي[1].

كما استخدم لفظ البيت في الأدبيات العربية الإسلامية على كل موضع يحيط به جدران أربعة ويعلوه سقف سواء كان هذا الموضع يستخدم بواسطة حجرات النوم أو المعيشة أو الاستقبال أو غيرها للحيوان كبيت للبقر أو يستعمل كغرف للتخزين[2].

3. الدار:

وردت لفظة الدار في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾[3]، والدار وجمعها أدؤر (بفتح أوله وسكون ثانيه) وفي الكثرة ديار وديران ودور وأدورة: المحل بجمع البناء والمساحة والمنزل أو الأهل بالسكان، ودار الحرب: بلاد العدو، ودار السلام: بلاد المسلمين، وهي أيضا الجنة والدارات الدنيا والآخرة، والدارة أخص من الدار[4].

1- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى والقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط1، 2013، ص164.

2- محمد عبد الستار عثمان، الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي، دراسة أثرية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص144.

3- سورة البقرة، الآية 84.

4- ابن منظور، المصدر السابق، مج 1، ص 298.

والدار على قول ابن منظور هي المحل بجمع البناء والعرصة، أنثى، قال ابن جني: هي من دار يدور لكثرة حركة الناس فيها، والجمع أَدْؤُرٌ في أدنى العدد والإشمام للفرق بينه وبين أفعل من الفعل والهمز لكراهة الضمة على الواو، قال الجوهري: الهمزة في أدؤر مبدلة من واو مضمومة قال: ولك أن لا تهمز، والكثير ديار، والدار فاسم جامع للعرصة والبناء والمحلة وكل موضع حل به فهو دارهم، وأما الدور فهي جمع دار.

4. المنزل:

المنزل جمع: منازل معنى زاره في منزله: في داره، أي مكان سكنه ومنزل الزوجية أي بيت الزوجية، والمنزل هو الدار[1].

والمنزل اسم ظرف من النزول، وشرعا دون الدار فوق البيت وأقله بيتان كما ذكره المطرزي، لكن في النهاية أنه اسم لما يشتمل على بيوت وصحن مسقف ومطبخ، سكنه الرجل بعيالة والدار اسم لما يشتمل على بيوت ومنازل وصحن غير مسقف هكذا في جامع الرموز[2] ومنه فالمسكن والمنزل والدار والبيت كلها ألفاظ لها نفس المعنى وتحمل نفس المدلول وهو المكان الذي يتخذه الإنسان مقرا ومأوى له لينعم بالاستقرار والأمن ولكون المسكن والمنزل هو أحد مكونات المدينة فإنه وجب علينا إعطاء مفهوم وتعريف لمصطلح المدينة لإبراز العلاقة التي تربطهما ببعضها البعض.

المنزل سكان نزل القوم وسكنهم، وصارت تطلق على كل بيت، وعلى الخيمة لدى البدو الرحل، أو على مسكن من حجر أو خشب أو قرميد لدى أهل المدن وهو كل حيز

1- ابن منظور، المصدر السابق، مج4، ص 299.

2- نفسه، مج4، ص655.

مبني يستعمل لإيواء عدد من الأفراد حيث يجدون فيه السكينة والجلوس إلى الراحة والحاجة إلى النوم[1].

وهي المنازل المسكونة والمحال وأردية ههنا القبائل والدور ههنا: قبائل اجتمعت كل قبيلة في محلة فسميت المحلة دارا وسمي ساكنوها بها مجازا على حذف المضاف أي أهل الدور، وفي حديث آخر ما بقيت دار إلا بني فيها مسجد، أي ما بقيت قبيلة، وأما قوله عليه السلام: وهل ترك لنا عقيل من دار؟ فإنها يريد به المنزل إلا القبيلة، والداريُّ هو اللازم لداره لا يبرح ولا يطلب معاشا، وفي الصحاح الداري ربُّ النعم سمي بذلك لأنه مقيم في داره فنسب إليها[2].

أما المعنى الأثري فهي البيت الذي سيكون لعائلة واحدة أو المبنى الذي تخصصه الدولة لمنافعها العامة كدار الإمارة التي كانت تخصص لسكن الوالي تكون ملاصقة لجدار القبلة بالمسجد الجامع[3].

5. المدينة:

مدن بالمكان، أقام به، فعل ممات: ومنه المدينة: وهي فعلية وتجمع على مدائن بالهمزة، ومدن بالتخفيف والتثقيل، وفيه قول آخر، أنه مفعله من دنت أي ملكت: قال ابن بري: لو كان الميم في مدينة رائدة لم يجز جمعها على مدن وفلان مدّن المدائن: كما يقال مصرّ الأمصار قال: وسئل أبو علي الفسويّ عن همزة مدائن وقال فيه قولان، من جعله فعيلة من قولك مدن بالمكان أي أقام به همزة ومن جعله مفعلة من قولك دين أي ملك لم يهمزه كما لا يهمز معايش.

1- منى دحمون، قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية تحليلية، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004-2005، ص52.

2- ابن منظور، المصدر السابق، مج4، ص، ص298، 299.

3- عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات الأثرية، مكتبة مدبولي، 2000، ص103.

والمدينة: الحصن بني في أصطمة الأرض مشتق من ذلك، وكل أرض يبنى فيها حصن في أصطمتها والنسبة إليها مديني والجمع مدائن ومدن[1].

وقيل المدينة هي: قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، وأنها كيان عمراني وإداري يخضع في تنظيمه لمجموعة من القوانين ويتطور عبر الزمان والمكان[2].

6. القصر:

تعريفه لغة:

هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر قرشية[3]، وسمي قصرا أيضا لأنه تقصر فيه الحرم وتحبس مصدقا لقوله تعالى:﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾[4]، وجمع قصور وهو ما ورد في قوله تعالى:﴿ ... **تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا** ...﴾[5]، وفي قوله أيضا:﴿**وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا**﴾[6].

تعريفه اصطلاحا:

ويقصد به مقر الخليفة أو الحاكم وأفراد عائلته، وقد اهتم الأمراء وكذا الخلفاء في العصر الإسلامي تشييد القصور الفخمة وهذا على مسافات أرضية كبيرة واسعة تتوسطها أفنية تدور حولها أجنحة خاصة بالحكم والسكن والمرافق المختلفة والمتنوعة وفي الغالب كانت سقوف وجدران هذه القصور تزين بالزخارف المختلفة الملونة والمذهبية كما وجد في القصور الأموية في بادية الشام في كل من قصر المشتى، والقصور الأموية في الأندلس

1- ابن منظور، المصدر السابق، مج8، ص 233

2- عبد الحق الطاهري، المدينة الإسلامية الوظائف والتنظيمات، مجلة كان التاريخية، عدد 28، ص155.

3- ابن منظور، المصدر السابق ، مج5، ص ص100، 102.

4- سورة الرحمن، الآية 72.

5- سورة الأعراف، الآية 73.

6- سورة الفرقان، الآية 10.

كقصر الزهراء بقرطبة، وقصر الحمراء بغرناطة، والقصور العباسية في العراق مثل قصر الأخيضر وقصر الجوسق الخاقاني وقصر بلكوارة[1].

أما في المدن الصحراوية فأغلبها يطلق على اسم القصر، والذي هو عبارة عن بناء ضخم محصن له شكل معماري مقيد في هذه المناطق ويكون مرتبط بزراعة النخيل والتي تحيط بهذا القصر، وتسمى عندهم بالواحات[2]، ومنه فالقصر في مفهومه العمراني هو مدينة بكل ما تعنيه لفظة المدينة عند المسلمين والمسكن والبيوت هي أهم مكوناته الأساسية وجزء لا يتجزأ منه.

أما مفهوم القصر الصحراوي: فيعرفه الأستاذ عقاب محمد الطيب بأنه المكان المأهول بالسكان والمبني على هضبات مرتفعة من سطح الأرض به مجموعة من المساكن والمنازل الموحدة الشكل واللون، محاطة بسور مرتفع تتخلله أبواب فوقها بروج مربعة أو مستديرة على ما بني مدخل القصر، وأحيانا تخلوا تماما من مثل هذه العناصر الدفاعية ومنه فهو الهيكل العمراني لمجموعة من الناس تربطهم رابطة الدم والقرابة والعقيدة[3].

وفي معنى آخر يرتبط مفهوم كلمة قصر عند الناس بالأبهة والفخامة، إلا أن الأمر يختلف بالنسبة للقصور الصحراوية التي هي مباني غاية في البساطة والتقشف مبنية بمواد محلية متوفرة وفي متناول غالبية الناس مما أضفى عليها نوعا من الوحدة والتجانس، وهي أيضا مجموعة من البيوت المبنية بالحجارة أو الطوب أو كلاهما معا متلاحمة ومتداخلة فيما بينها، تقع في مكان مرتفع وتكون مأهولة بقبيلة أو بمجموعة من

1- ماجد عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2000، ص121.

2- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص238.

3- عقاب محمد الطيب، مساكن قصر القنادسة الأثرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص15.

القبائل تشغل كل قبيلة حيزا خاصا بها، ولكن ما بقي من قصور لحد اليوم تشهد على فن معماري أصيل من كل جوانبه أنشئ بمواد محلية وبتقنيات بسيطة محلية[1].

كما يمكن أن يعرف القصر مرفولوجيا على أنه كتلة كثيفة متماسكة ومتجانسة تمتد أفقيا ذات علاقة مباشرة بمساحة خضراء مرتبطة بها هي الواحة وهو مرتبط بتوفير الموارد المائية كشرط لاستغلال المجال وإقامة البساتين وسقي واحة النخيل[2]، ويطلق سكان منطقة القصور اسم أغرام أو أغرماون بصيغة الجمع وهي كلمة شلحية أمازيغية.[3]

أسماء النواحي	مدن وقرى	قبائل وأعراش	سكان مستقرون	سكان رحل	مجموع السكان
ورقلة	7	3	14200	12000	26200
تماسين	16	2	9950	12600	22550
وادي ريغ	36	2	31080	2850	33930
واي سوف	8	5	31170	1200	32370
الزيبان	37	18	30340	55300	85640
الوطاية	3	2	800	11850	12650
الحضنة	6	11	11500	34650	46150
المجموع	113	43	129040	130450	259490

جدول يبين توزيع سكان الصحراء الشرقية (عن عميراوي وآخرون).

1- عبد الكريم عزوق، دور القصور الصحراوية في التنمية السياحية، أعمال الملتقى الدولي للآثار والبيئة، مجلة الآثار، تصدر عن معهد علم الآثار، جامعة الجزائر، العدد 7، 2007، ص 78.

2- محمد بيدي، التحصينات الدفاعية لقصور منطقة عين الصفراء، دراسة معمارية أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2015-2016، ص05.

3- نفسه، ص06.

ثانيا: جغرافية الصحراء

1. تعريف الصحراء:

الصحراء: هي أرض فضاء واسعة فقيرة الماء، والجمع الصّحاري، أرض واسعة لا نبات فيها ولا ماء، جمع صحاري، وصحار وصحاري.

نسب العرب الأرض المستوية في لين وغلظ دون السقف، وقيل الفضاء الواسع زاد ابن سيد لا نبات فيه.

وقال ابن منظور أن الصحراء هي الأرض المستوية في لِينٍ وغِلظٍ دون القُفِّ، وقيل الفضاء الواسع، زاد ابن سيدة: لا نبات فيه[1].

أما الفيروز آبادي فقال: أن الصحراء اسم سبع مجال بالكوفة، وقال الأرض المستوية في لين وغلظ دون القف، أو الفضاء الواسع لا نبات فيه، وإنما لم يعرف للزوم حرف التأنيث، جمع صحاري، وصحروات[2].

1- ابن منظور، المصدر السابق، مج8، ص203.

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص546.

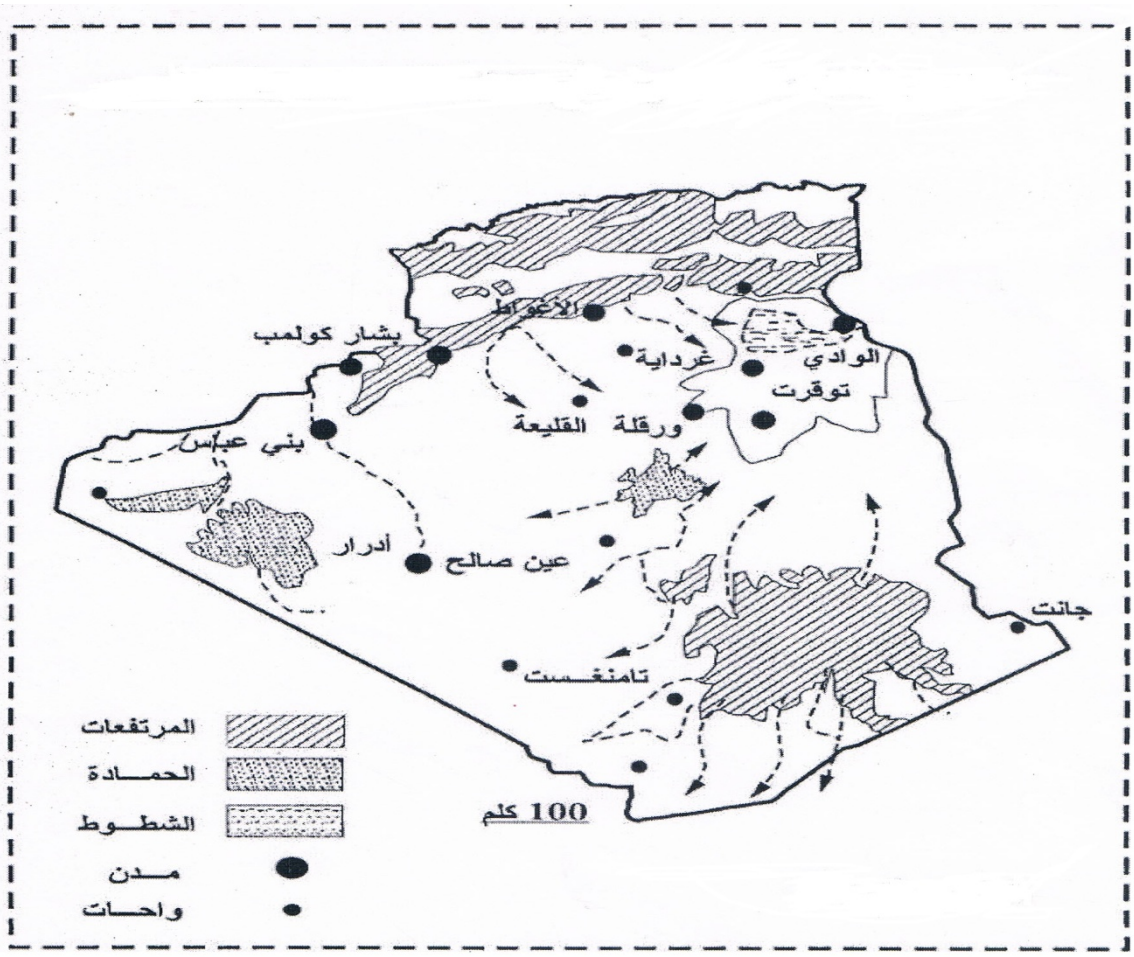

خريطة رقم (02): مدن وواحات الجزائر (عن عميراوي وآخرون، "السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916 ")

2. حدود الصحراء:

إن امتداد الصحراء الجزائرية هي جزء هام من الصحراء الكبرى الإفريقية والتي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا ومن جال الأطلس شمالا إلى بلدان الساحل جنوبا، حيث تغطي الصحراء الكبرى مساحة ثمانية ملايين كلم^2، وتشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وليبيا وشمال مصر، وغرب موريطانيا ومالي والنيجر والتشاد وجنوب السودان[1].

1- عميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص10.

أما مساحة الصحراء الجزائرية المعنية بالدراسة في موضوعنا حول المسكن الصحراوي فتبلغ مساحتها 1987600 كلم^2، وبذلك فهي تحتل مساحة واسعة تتجاوز نسبتها 90% من مساحة الجزائر كليا، حيث أنها أبسط من المنطقة التلية في تركيبها الجغرافي كما هو موضح في الشكل (01)، إذ لا بها الجبال المنقطة ولا المرتفعات المعقدة وحتى السهول الضيقة المحصورة، ولا الالتواءات الحديثة، ولكن نجد السهول التحتانية الواسعة والأحواض المغلقة والجبال بحافتها الشديدة الانحدار والعروق الرملية المتنقلة[1].

وليس هنا حد فاصل ومصطلح متعارف عليه لمفهوم الجنوب في الجزائر، فقد يعني تارة الخط الذي يلي الأطلس الصحراوي وبذلك تكون بسكرة وبوسعادة والمسيلة والأغواط والبيض وعير ماضي كلها جنوبية، وقد يعني فقط أرض الرمال، كالعرق الشرقي والعرق الجنوبي، فتكون سوف وتقرت ووقلة وشبكة ميزاب ومتليلي وتوات هي الخط الجنوبي وإلى آخر القرن الماضي، كان يقصد بالجنوب تلك الحدود والبلدان وكذا الواحات حيث النخيل والرمال والشمس المحرقة صيفا والبرد اللافح شتاء، ولكن مع نهاية القرن الماضي امتدت الحدود إلى بشار وتندوف ورقان وعين صالح والمنيعة وتمنراست وجانت، وأصبح الجنوب هو تلك المساحات الشاسعة من الصحراء التي تشكل الهقار وهنا تطلق كلمة الجنوب والمعروفة عند عامة الناس بالصحراء وهي كل المدن والقرى والواحات الواقعة وراء الأطلس الصحراوي وتمتد إلى حدود مالي والنيجر[2].

1- عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر طبيعية، بشرية، اقتصادية، طبعة 1968، ص56.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ط1، ج3، ص، ص213، 214.

3. تضاريس الصحراء:

إن ما يتميز به سطح الصحراء هي بنيته التضاريسية البسيطة والمتنوعة في أشكالها المورفولوجية التي نذكرها فيما يلي:

1.3. الصحراء المنخفضة:

وتتمركز الصحراء المنخفضة في الجزء الشمالي الشرقي حيث تتميز بمنخفض يقل بـ 31 متر عن مستوى سطح البحر، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها على ارتفاع 200 متر، ولها أهمية اقتصادية تتمثل في انتشار الواحات خاصة واحات الزيبان شمالا، وواحات وادي سوف ووادي ريغ جنوبا، وواحات بوسعادة، كما تزخر الصحراء الجزائرية بكميات معتبرة من المياه الجوفية والبترول.

2.3. السهول الرملية:

تحتل السهول الرملية مساحة واسعة من الصحراء متمثلة في العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير هذا إلى جانب عروق أخرى ثانوية مثل عرق الشاش، وعرف إيقدي، وعرف الراوهي وغيرهم بالإضافة إلى الرق وأشهرها رق تانزروفت.

3.3. الهضاب الصحراوية:

معظم الهضاب الصحراوية هي ذات تكوينات صخرية جبرية، وكذلك هضبة الحمادة والتي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية وكذا هضبة تادمايت الكريتاسية الفسيحة والممتدة في وسط الصحراء بين دائرتي عرض 27° و30° شمالا ويصل ارتفاعها إلى علو يناهز 600 متر.[1]

[1] - عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص11.

4.3. المرتفعات القديمة:

وهي مرتفعات تتمركز في الوسط بالجنوب الشرقي وتمثلها منطقة التاسيلي ومنطقة الهقار، فالتاسيلي منقطة عبارة عن صخور من صلصال الرمل شاهقة ومتقطعة، أصبحت تعد من أهم سجلات التراث الإنساني في العالم بعد العثور بها على أقدم الرسومات المعبرة عن حياة ومناخ هذه المنطقة في القدم.

أما المنطقة الثانية فهي مرتفعات واسعة المساحة حوالي 500 كلم^2 معظمها من الصخور القديمة البركانية حيث تعرضت إلى عملية الحت ورغم هذا لا تزال بها قمم جبلية تقارب في ارتفاعها 3000 متر كقمة تاهات التي يصل ارتفاعها إلى 2918 متر، وهي أعلى قمة جبلية في الجزائر.[1]

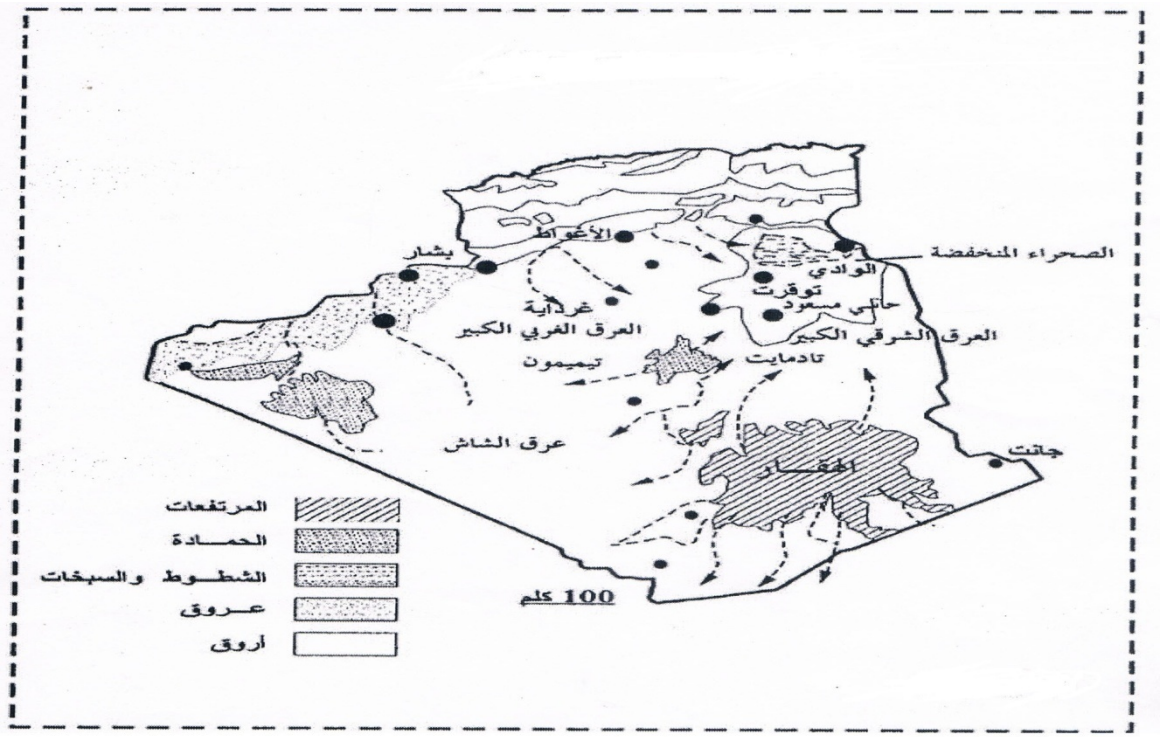

الخريطة رقم (03): تضاريس الجزائر (عن عميراوي وآخرون)

1- عميراوي وآخرون، المرجع السابق، ص11، ينظر: جيلالي صاري، دور البيئة في الجزائر، ط1، الجزائر، 1983، ص، ص 18، 20.

4. المناخ:

يؤثر المناخ دوما على الموقع الجغرافي وكذا الغطاء النباتي، وللموقع الجغرافي تأثير على المناخ، وفي الصحراء انعكس الموقع الجغرافي على المناخ فأصبح مناخ صحراوي ترتفع فيه درجة الحرارة صيفا لتصل أحيانا إلى + 50° في الظل، وفي مناطق مثل أدرار، وعين صالح تصل إلى + 47° وتنخفض في فصل الشتاء لتصل إلى درجة الصفر، ويكون المدى الحراري السنوي كبير جدا وما يميز المناطق الصحراوية هو هبوب الرياح الحارة والجافة، وفي بعض الأحيان تكون عواصف وزوابع رملية تكون سببا في توقف نشاط الإنسان على اختلاف نوعه، أما الأمطار فهي نادرة وغير منتظمة لا يزيد متوسطها السنوي عن 200 ملم، ونجد أن المطر في الصحراء تسقط في فترتين إحداهما تبتدئ من شهر نوفمبر إلى غاية شهر جانفي وهذا عندما تهب الرياح الشمالية الغربية الممطرة على الهوامش الشمالية، أما الفترة الثانية فتبتدئ من شهر ماي إلى شهر ديسمبر وذلك عندما تهب الرياح الموسمية على الهوامش الجنوبية[1].

5. الموارد المائية:

توجد الكثير من الأودية في الصحراء، حيث تنبع أغلبها من الأطلس الصحراوي لتصب أحيانا في الشطوط ومنها التي تختفي وسط الرمال ليس لها جوانب محددة تضبط حدود هذه الأودية، فهي غير منتظمة وفجائية الفيضان، **وتمشي** أحيانا وتنقسم الأودية في الصحراء حسب مناطق منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، وكذا أودية الهقار، أما أودية الأطلس الصحراوي فتجري مياهها على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وتغرس مياهها في الرمال مرة أخرى في شكل عيون فيضية أو آبار ارتوازية قامت عليها واحات النخيل في إقليم ميزاب في الهوامش الشمالية، ومن أهم هذه الأودية نذكر وادي جدي، ووادي الطويل، ووادي العرب، ووادي الأبيض وكلهم أودية

1- عميراوي وآخرون، المرجع السابق ، ص13.

يصبون في منخفض ملغيغ وهو وسط الأرجاء تحيط به الكثبان الرملية، وتظهر على حوافه النباتات الصحراوية المتنوعة وتغمره المياه في فصل الشتاء بالإضافة إلى ذلك، نجد الأودية التي توجد في الجهة الجنوبية مثل وادي زرقون ووادي سوقر ووادي الناموس، ووادي الساورة، أما عن الأودية التي تنحدر من جبال الهقار فتظهر في شكل شبكة منحدرة في اتجاهات عدة أهمها وادي تافاسات والذي يربط الهقار بدولة النيجر[1]، كما تزخر الصحراء وتتوفر على موارد مائية معتبرة يتم استغلالها في النشاط الفلاحي وسقي الواحات خاصة في الفترة الأخيرة واستغلال التقنيات الحديثة في استخراج المياه الجوفية أو في تخزينها.

6. الغطاء النباتي:

ينعكس المناخ السائد الغطاء النباتي، وفي المناطق الصحراوية نجد الغطاء النباتي ضئيل ويكاد يكون منعدما إلا بعض النباتات الشوكية، وفي الصحراء الجزائرية حيث يوجد حوالي 500 نوع من النباتات التي هي على العموم قصيرة وسميكة، بالإضافة إلى ثروة حيوانية تتكون من الغزال وذئاب الرمال ومجموعات الجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة وكذا الطيور[2]، أما الحيوانات الأليفة التي هي أساس حياة السكان في الصحراء مثل الجمال والماعز والأغنام التي هي مصدر رزقهم ووسيلة تنقلهم وترحالهم.

7. المدن والواحات الصحراوية:

الصحراء الجزائرية صحراء شاسعة وواسعة رغم عزلتها إلا أنها مهيكلة بشبكة من المدن والمراكز والواحات ذات الأهمية الاستراتيجية حيث تتركب هذه الشبكة من مدن وواحات تعتبر عواصم لأقاليم طبيعية كالزيبان، وبني ميزاب، ووادي سوف، والساورة

1- عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص14.

2- نفسه، ص16.

والهقار وهي مدن آهلة بالسكان تتفاوت ما بين 15000 و40.000 نسمة وأهم هذه المدن نذكر:

- مدينة الوادي من أهم وأشهر مدن وادي سوف وهي تبعد بـ 100 كلم عن الحدود الجزائرية التونسية وتشتهر باسم مدينة الألف قبة، ويقدر عدد سكانها حوالي 20.000 نسمة.
- مدن الجلفة والأغواط وهي أبواب أساسية للمغرب الأوسط نحو الصحراء العميقة.
- مدينة غرداية وهي عاصمة الزاب وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600 كلم، وهي حاضرة هامة آهلة بالسكان يبلغ عدد سكانها حوالي 15000-20.000 نسمة.
- مدينة توقرت عاصمة طبيعية لمنطقة وادي ريغ وهي الأكثر سكانا في الصحراء بحوالي 400.000 نسمة.
- مدينة بسكرة وهي بوابة الجنوب القسنطيني نحو الصحراء المنخفضة وعاصمة الزيبان وهي من أهم المدن الصحراوية المكتظة بالسكان وهي مدينة النخيل والجمال السحري البديع، وبها تجارة التمور منتعشة.
- مدينة تامنغست وهي عاصمة الهقار ومقر المحمية الطبيعية المسماة بحفيرة التاسيلي.[1]

8. أهم الواحات في الصحراء الجزائرية:

إن أهم ما يميز الصحراء الجزائرية هو وجود الكثير من الواحات ذات الأهمية الاستراتيجية رغم قلة عدد السكان بها ومن أهم هذه الواحات نذكر:

- واحات بوسعادة وهي أول الواحات في ناحية الشمال وتقع بين شط الحضنة وجبال أولاد نايل.

[1] - عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 22.

- واحة ورقلة وهي واحة الصراء المنخفضة الممتدة بين العرق الشرقي الكبير وسط ملغيغ وهي آخر واحات الصحراء الجنوبية قبل الهقار وسكانها حوالي 7000 نسمة.
- واحة الزيبان وهي واحات غنية توجد في سيدي عقبة وفي طولقة وأولاد جلال.

9. الصحراء والإمكانيات الاقتصادية:

إن جغرافية الصحراء وشساعة وفساحة مساحتها ومناخها القاسي لم يمنع أن تكون بها وبباطنها ثروات وقدرات طبيعية واقتصادية هائلة تتميز بالتنوع، ومن هذه الإمكانات والثروات نذكر المعادن والبترول والغاز الطبيعي والذهب والفلاحة المتنوعة كواحات النخيل، وجميع هذه الثروات جعلت من الصحراء منطقة استقرار للإنسان الصحراوي وهذا لتأقلمه مع الظروف القاسية والصعبة الخريطة رقم (04)[1].

كما أن الصحراء الجزائرية تعتبر أكبر خزان للطاقة الشمسية في العالم، حيث تدوم الإشعاعات الشمسية 3000 ساعة إشعاع في السنة وهو أعلى مستوى لإشراق الشمس على المستوى العالمي حسب الدراسة التي قامت بها الوكالة الفضائية الألمانية وذكرت الوكالة في تقريرها بأن ما يمكن إنتاجه من الكهرباء من الطاقة الشمسية في الصحراء الجزائرية يمكن أن يغطي 50 مرة احتياجات القارة الأوروبية من الطاقة التي تستهلكها سنويا.

1- عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص ص 22، 23.

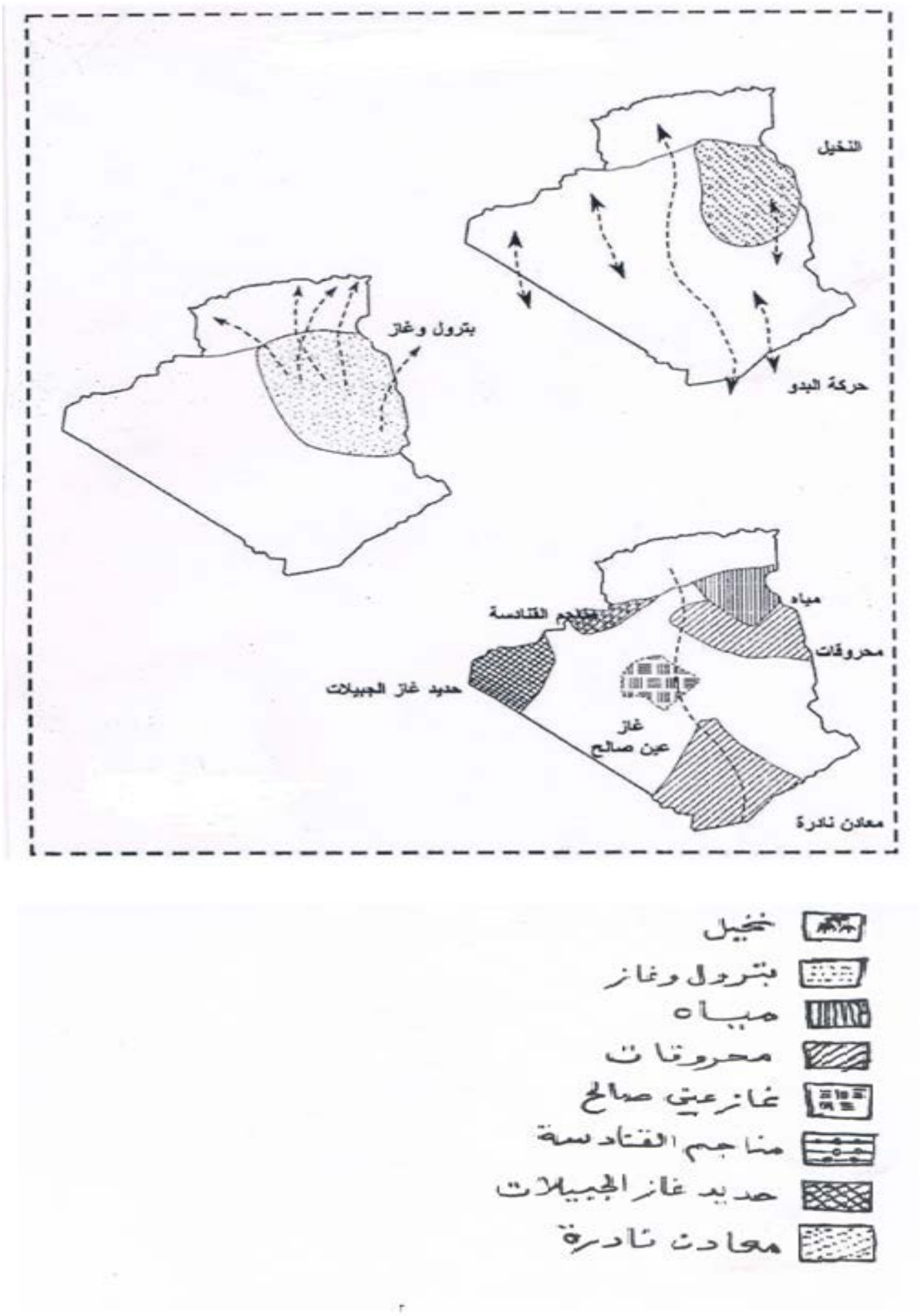

الخريطة رقم (04): الإمكانات الاقتصادية للصحراء الجزائرية (عن عميراوي وآخرون، بتصرف)

ثالثا: أنماط وأشكال المسكن

يعتبر المسكن جزء من حياة الإنسان وكذا تفاعله مع بيئته وهو بيته الذي هو نتاج وأداة في نفس الوقت تعكس العادات والتقاليد التي تسود المجتمع ضمن فترة معينة من تاريخ حضارة ما[1]، وقد بقي تفكير الإنسان مشغولا بتطوير هذا المسكن لكونه المأوى الذي يأوي إليه فظهرت أنماط كثيرة تعبر عن التطور الذي يساير حياته، فعرف التجمعات وشكل الجماعات وهذا ما فرض عليه أن يجد لنفسه وأسرته مكانا وسط مجموعته التي ينتمي إليها والتي هي جزء منها ويعود تاريخ هذا الانشغال إلى العصور الحجرية حيث أقام هذا الإنسان وسكن الكهوف والمغارات ثم بنى لنفسه بيوتا من مادة الخشب وهذا على ضفاف الأنهار والبحيرات كما شيد مضاجعه وهذا باستخدام حجارة ذات كتل كبيرة منها ما هو سقف ومنها ما هو جدار[2].

اختلف أنواع مساكن الإنسان منذ القدم حيث عاش الإنسان البدائي في الكهوف والمغارات، وكذا التجاويف الصخرية المسقوفة فكانت هذه الكهوف مستودعا لأسراره ومسجلة بما كان يختلج شعوره وأحاسيسه على جدران تلك الكهوف والمغارات، ولم ينس ما عاشته من أحداث مختلفة سواء الطبيعية منها الأعاصير والثلوج والزلازل والبراكين وكذا أخطار الحيوانات التي كان يعيش معها، فكان يهابها ويتقي شرها، وظهرت منذ العصر الحجري القديم الأعلى مساكن مبنية من الأخشاب فوقها مسكن وسميت بيوت الحضر، كما ظهرت بعض البيوت المبنية من مادة الطين والطوب والحجارة، بالإضافة إلى معرفة الإنسان على ما يسمى بالأكواخ وهي التي تتخذ صورة فنية من الأغصان والأوراق والأعشاب، وهي مقامة فوق إطار من الخشب وجل هذه الأكواخ تتخذ شكلا

1- وليد أحمد السيد، السكن والمسكن في العمارة العربية التقليدية، مقال عن موقع www.al.jazirah.com بتاريخ 2017/12/1، 05.00، ص01.

2 - Charles Garmier, Aammann, L'habitation Humaine librairie Hachette et ele, paris, 1992, p29.

قميعا لتمنع تجمع المياه على سطحها، وأحيانا تبنى الحجارة وسطحها يكون منحدرا[1]، وهناك بعض الأنماط والأشكال المختلفة للمسكن نذكرها فيما يلي:

1. المساكن المنحوتة في الجبال: (الصورة رقم 01)

وهي مساكن شيدت في الجبال عن طريق نحتها في هذه الجبال وهذا النوع من المساكن ذرك في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[2]، وقد جعلت هذه الجبال بيوتا لطبيعة تكوينها الذي لا يتأثر بعوامل الطبيعة من جهة وللحماية من بعض الأخطار التي تعترض سبيله وميار حياته اليومية.

2. الخيمة: (الصورة رقم 02، الشكل رقم 01)

وهي سكن البدو الرحل[3]، والخيمة (بيت الشعر)، مسكن (مأوى) العرب في الصحراء سمي ببيت الشعر لأنه منسوج من شعر الماعز الأسود وفي بعض أقسامه من وبر الجمال معا يضاف إلى ذلك مواد أخرى ضرورية لبناء البيت كالخشب والشجيرات[4]، وقيل أن الخيمة مسكن الجماعات الرعوية، وتلك التي امتهنت الرعي، ولذلك فوجود الخيام ليس في العادة دليل على قيام رعي متنقل كما أن هجرها وسكن الأكواخ ليس الدليل على تقدم اجتماعي أو اقتصادي فربما يهجر الخيام لموت الحيوانات، وما يتبع ذلك من فقر وبؤس[5]، فالخيمة تنسب إلى البدو والرحل ممن يتخذون مهنة الرعي وتربية

1- مهتاري فايزة، المسكن التقليدي في تلمسان خلال العهد الزياني، دراسة تاريخية أثرية، مجلة كان التاريخية، العدد 28، 2015، ص94.

2- سورة الأعراف، الآية 16.

3- الخيمة (بيت الشعر)، موقع التراث العربي Sites.google.com أطلع عليه بتاريخ 2017/12/23، على الساعة 12.00 سا.

4- العربي لقريز، المرجع السابق، ص105.

5- عبد الفتاح محمد وهيبة، في جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 28.

الحيوانات الأليفة خاصة منها الأغنام والماعز والجمال فهم يبحثون لهم دوما عن الماء والكلأ لهم ولحيواناتهم.

والخيمة هي المسكن الرئيسي لإنسان الصحراء ومصدر ظله وراحته فهي بيت متنقل يسهل ترحيله في كل رحلاته وتنقلاته التي يعود السبب في كثرتها –رحلاته–إلى بحثه المستمر عن الماء ومواقع الكلأ [1].

والخيمة مكونة من قطع منسوجة تدعى بـ: "الفليج"، وتظم هذه القطع التي يبلغ عرض كل واحدة منها الأربعة أذرع في الغالب، أما الطول فهو راجع إلى قدرة صاحب الخيمة المادية فمن خلال حجمها تحدد مكانة صاحبها المالية والاجتماعية فإن كان ذا جاه ومال كان كبر الخيمة رمزا لهذه المكانة وفي المثل الشعبي السائد في منطقة بوسعادة "بيت فلان خيمة كبيرة" دلالة على القدرة والكرم والشأن العالي بين أفراد المجتمع البدوي.

وترتفع الخيمة بالعمد(جمع عمود) ويتوسط الخيمة عمود أكثرها سمكا وأطولها يسمى "الركيزة" ويعلوها تاج وهو قطعة خشبية مستطيلة الشكل تعرف "بالقنطاس" والركيزة هذه هي عماد الخيمة ومقياس ارتفاعها وتأخذ موقعا مركزيا يتوسط القطعة المنسوجة والمشدودة بالأرض من الجانبين بإحكام بأوتاد خشبية ويتم توسيع الفراغ الداخلي في الخيمة برفع أجزائها بالأعمدة الصغيرة والتي لا تثبت في الأرض بل تبقى مشدودة إلى السقف حتى يتسنى تحريكها أو نزعها حين اشتداد العواصف.

وتحتوي الخيام الكبيرة الحجم على ركيزتين أو أكثر تشد في الأعلى معا بالتاج الخشبي (القنطاس) وينتج عن هذا فضاء مقسم إلى قسمين متساوين يفصل بينهما ستار من قماش، أما الجانب الخلفي منها فيسدل حتى يبلغ الأرض لتسد الفجوات الخلفية ومن الأعراف السائدة عند سكان بدو الصحراء أن يكون اتجاه الخيمة نحو القبلة مقابل مشرق

1– إبراهيم الحسن، مظاهر الحياة عند بدو الصحراء "طقوس واحتفاليات اجتماعية"، مجلة العربي، الكويت، العدد 673، ديسمبر 2014، ص40.

الشمس[1]، وربما يرجع ذلك إلى فوائد أشعة الشمس كالتخلص من بعض روائح النوم وتجديد الهواء، ومعرفة وقت طلوع النهار بدخول أشعة الشمس إلى الخيمة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من المساكن في قوله تعالى: ﴿**وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا و... وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾ [2]، ويتم تمييز الخيم وأصحابها انطلاقا من ألوانها وكإضافة المقرة*، ذات اللون الأحمر المائل إلى البني على سطحها لتشكل منها خطوطا حمراء[3]، أما عن الأماكن التي تنصب فيها الخيمة فهذا راجع إلى عامل القرب من منطقة جلب الماء، ففي فصل الصيف ينزل البدو في نقاط قريبة من مواقع المياه أما في الشتاء وعندما تكون الحاجة للماء قليلة تكون المسافات بعيدة نسبيا، وتوكل مهمة نسجها وصيانتها إلى المرأة.

1- العربي لقريز، المرجع السابق، ص106.

2- سورة النحل، الآية 80.

*- المقرة: مادة جيرية ذات لون بني مائل للحمرة تتواجد في تربة الواحات تدهن بها الخيم والبيوت.

3- العربي لقريز، المرجع السابق، ص106.

3. العريش: (الصورة رقم 03)

وهي مساكن مؤقتة تبنى من جذوع الأشجار وبناءات الحلفاء وتسقف به، كما يضاف إليه مزيجا من الطين وبقايا النباتات وتلبس بها من الخارج لكي تحمي ساكنها من خطر الحشرات والزواحف السامة والرياح والأمطار وهي منازل يشغلها الرعاة في المبيت مع أغنامهم في البوادي بعيدا عن الأهل، وتبنى عادة في فصل الربيع وتترك في باقي الفصول وهذا النوع من المساكن شائع في أرياف البلدان العربية[1].

4. المساكن المشتركة:

وهو نوع من المساكن القديمة التي ظهرت في بداية الحضارة المصرية، حيث كانت هذه المساكن الشعبية تبنى في حي خاص يفصله جدرا أو سور عن حي الأغنياء وهي مساكن تقتصر على ثلاث أو أربع غرف، تم تطور النموذج المصري إلى مساكن فردية تبنى بطريقة بسيطة وكانت من الطوب والطين، وقسمت هذه المساكن إلى قسمين سفلي يحتوي على فرن طبيعي وفناء صغير، وقسم علوي يصعد إليه بواسطة سلم من الأدراج البسيطة، ويعرف هذا النوع عند المصريين بمصطلح السطوح، حيث يعتبر النموذج المصري من أقدم أنواع البيوت، أما في الحيرة فنجد العرب قد أخذوا فن العمارة عن طريق القرس بحكم مجاورتهم من جهة وتبعيتهم لهم، وفيما بعد طوروها بعيدا عن تلك التأثيرات وقد اشتهرت الحيرة بقصورها مثل قصري الخورنقة والتي تعود إلى الفارسية خورن كان ما معناه موضع الأكل والشرب[2].

1- لعربي لقريز، المرجع السابق، ص، ص107، 108.

2- مهتاري فايزة، المرجع السابق، ص95؛ ينظر: أندريه إيمار، جانين أو بوابة تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، ترجمة فريد. م. وآخرون، منشورات عويدات، لبنان-باريس، ص 113.

رابعا: المسكن في العمارة الإسلامية

انطلاقا من الكثير من الآيات القرآنية والسنة النبوية المظهرة وما ورد في أثر الخلفاء الراشدين فإننا نجد أن تصميم المسكن في العمارة الإسلامية ارتبط ارتباطا وثيقا وكبيرا بالعقيدة الإسلامية، فكان لزاما عدم التطاول في البنيان، وكذا الالتزام بحرمة الجار وعدم التعدي عليه والتكشف عليه وهذا باتباع منهج الوسطية في اقتصاديات البناء من عدم الإسراف أو التقصير في استعمال الزخارف والتجهيزات، وهذا ما كان معمولا به بداية الدولة الإسلامية، فالمسكن لم تتضح معالمه في عهد رسول الله ρ، حيث كان مسكنه عليه الصلاة والسلام عبارة عن مجموعة من الحجرات شكلها قريب من المستطيل لكل واحد منها باب تفتح على بيت الصلاة، وكانت مساكن الأنصار بسيطة تتكون من طابق أو طابقين يتقدمهما الصحن أو ما يعرف بالمغرب الإسلامي "بالحوش"، حيث تذكر النصوص التاريخية أن الرسول ρ لما قدم المدينة أقام في مسكن أبي أيوب الأنصاري حيث سكن الرسول الكريم طابقه السفلي. [1]

ويبدو واضحا أن مساكن الأنصار والمهاجرين شبيهة بمسكن الصحابي "أبي أيوب الأنصاري" ويؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون "...فكان الدين أول الأمر مانعا من المغالاة في البينان والإسراف فيه غير القصد كما عهد لهم "عمر بن الخطاب" τ حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة، وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا من قبل، فقال افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاث أبيات ولا تطاولوا في البنيان، وألزموا السنة تلزمكم الدولة، وعهد

1- محمد موشموش، الفكر العمراني الإسلامي وأثره على تخطيط المدن وعمارتها (مدينتي تلمسان والجزائر أنموذجا)، دراسة تاريخية وأثرية من القرن 3-13هـ/9-19م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2015-2016، ص313.

إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا فوق القدر، قالوا وما القدر؟ قال: مالا يقربكم من السّرف ولا يخرجكم عن القصد[1].

وعندما استقرت الدولة الإسلامية في دمشق على عهد الدولة الأموية بدأت تظهر التأثيرات البيزنطية والفارسية والتركية وبدأت معالم المسكن الإسلامي تظهر عند احتكاك المسلمين بالسكان المحليين وكذا الوافدين[2].

ونتيجة لهذا الاحتكاك بالشعوب المختلفة وتوفير الأموال لدى المسلمين انعكس هذا على عمائرهم المختلفة فأبدعوا وتفننوا لتجاوز الجانب الوظيفي إلى الجانب الجمالين وإلى درجة كبيرة من البذخ والترف فشيدوا القصور وأسرفوا في تزيينها وزخرفتها لتضاهي العمائر الغربية ووصل بهم الحد إلى درجة جلب صناع وبناة من خارج إقليم الدولة الإسلامية مثلما حدث في الدولة الحمادية[3] مثلما يشير إلى ذلك ابن خلدون في التطور في تصميم المباني فيقول: "فلما بعد العهد بالدين والتحرج في امتثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب أمة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهم إليها أحوال الدعة والترف فحينئذ شيدوا المباني والمصانع"[4]. ورغم هذا الاحتكاك والتأثر يبقى المعماري المسلم يحاول أن لا يخرج عن قيم الشريعة الإسلامية، وكذا المناحي الاجتماعية والنفسية للإنسان في تخطيط هذا الأخير فهو يعتبر وحدة اجتماعية لا ينفصل فيها البناء عن الأسرة التي تقي فيه وتمارس فيها نشاطاته المختلفة.

1- مهتاري فايزة، المرجع السابق، ص94؛ ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، مطبوعات لبنان، 1971، ص 396.

2- موشموش محمد، المرجع السابق، ص 313.

3- مهتاري فايزة، المرجع السابق، ص95.

4- ابن خلدون، كتاب العبر، ص397.

❖ **سمات المسكن الإسلامي:**

انطلاقا من القاعدة الفقهية لا ضرر ولا ضرار تأتي ظاهرة الخصوصية التي أثرت تأثيرا واضحا في الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، وبالتالي في تكويناتها المعمارية وعلى الأخص المساكن، فقد حددت التعاليم الإسلامية نظام حياة الأسرة بما يحفظ الحرمات والعرض، فأخذ طابعها بمرور الزمن سلوكا حرص عليه السكان حرصا شديدا وأصدر الفقهاء أحكامهم التي تدعم الخصوصية وطبقها القضاة ولم يتسامح في كشف حرمات المنازل بالنظر من أبوابها أو أثناء المرور في الطريق أو بجوارها من خلال الاطلاع على المنازل المجاورة من الأسطح والكوى التي تكشف بيوت الغير وما قد يترتب على ذلك من فتح النوافذ والمضلات بمقاييس تتناسب غرض التهوية والإضافة والأطلال.

وهي حاجة تستند بصفة خاصة في المدن الإسلامية التي تقع غالبا في المنطقة الحارة من العالم، حيث تزداد الحاجة إلى الهواء في فصل الصيف على الأخص وتمثل الحل في الاقتصار على استخدام الطرق كشريان اتصال[1].

والمسكن الإسلامي لا يقتصر على الجانب الوظيفي أو الآلي فقط، كما تدعوا إليه بعض النظريات الغربية، ولكنه تعبير شامل لمواجهة المتطلبات الحياتية للأسرة في ضوء التعاليم والقيم الإسلامية بتصميم المدخل لحجب الفراغ الداخلي للمساكن فنجد لأفراد الأسرة مدخل خاص بهم، وللضيف اتجاه آخر معاكس كمبدأ لخصوصية المسكن وكلا الاتجاهين يلتقيان في حيز مشترك يمكن أن يضاف إلى الأولى فيزيد من إمكانية استغلاله لأفراد الأسرة، أو يضاف إلى الثاني فيزيد من إمكانية استغلاله لضيوف الأسرة.

والوحدة السكنية في المفهوم الإسلامي لبيت الآلة التي يقتصر أداؤها على الاحتياجات الوظيفية للأسرة، بل توفر الراحة السكنية لأصحابها، وهنا يدخل الجانب

1- خالد بن أحمد العلياني، البيوت القديمة في محافظة ظفار، المطابع العالمية روي، سلطنة عمان، 1994، ص13.

التشكيلي والجمالي لاستكمال المضمون الإسلامي من واقع القيم التراثية والثقافية للمكان، فالمضمون هو المكمل للشكل مع المخزون في وجدان المعماري المسلم من قيم تشكيلية ترسب عنده على مدى فترات تكوينه العلمي والعملي، نتيجة لقراءاته ومشاهداته أو انطباعاته التي قد تتغير وتتطور بتغير البيئة التي يتحرك فيها حتى يصل إلى النضوج حيث تثبت عنده فلسفة معمارية خاصة أو نظرية تشكيلية مميزة أو قيم جمالية معينة[1].

ومنه فالذي ينظر إلى سمات ومميزات المسكن الإسلامي باختلاف سيئاته يجد أنه يستمد هذه السمات والمميزات من الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة ومن السنة العطرة ثم من العادات والتقاليد وطبيعة البيئة التي يستند عليها.

1- عصام مخيمر، المضمون الإسلامي في تصميم المباني السكنية، مقال من موقع Kehaahamline.com تاريخ الاطلاع 2017/12/24 الساعة 16.40 سا.

أولا: البيئة

تعتبر البيئة عنصر أساسي في إنشاء العمائر وبنائها، فهي تؤثر تأثيرا كبيرا في توزيع هذه العمائر من جهة لأخرى وفي تصميم مخططاتها المختلفة ومنه لزم علينا إعطاء مفهوم للبيئة لنبين مدى تأثيرها على الإنسان وعلى ما يشيده من مساكن في البيئة الصحراوية.

1. مفهوم البيئة:

وهي الإطار والحيز الجغرافي الذي يعيش فيه الإنسان يؤثر فيه ويتأثر به وهي ما يحيط بالإنسان من ماء وهواء وتربة وضوء الشمس وكذا المعادن في باطن الأرض والنبات والحيوان على سطحها وفي برها ومحيطها وأنهارها[1]، فالبيئة إذن هي ما يعيش مع الإنسان ويتفاعل معه في هذه الطبيعة خاصة تلك الكائنات الحية والموارد الطبيعية التي يستغلها في حياته، ووردت في مفهوم آخر بأنها ذلك الإطار أو الظروف المحيطة بتلك الكائنات الحية فتؤثر في حياتها وعلى نموها وتحصل منها على المقومات الأساسية لحياتها، والإنسان هو جزء من هذه الكائنات كعامل مؤثر ومتأثر في الوسط البيئي[2].

كما قيل أن البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من ظاهرات أو مكونات طبيعية أو غير حية من خلق الله متمثلة في مكونات سطح الأرض من جبال وهضاب، وسهول، ووديان وصخور وتربة وعناصر المناخ المختلفة من حرارة، وضغط، ورياح وأمطار وأحياء مختلفة،

1- محمد جبار سليم وآخرون: علوم البيئة، الجزء الأول، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع كلية التربية بجامعة عين شمس، القاهرة، 1983-1984، ص3.

2- يحي وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2004، ص7.

إضافة إلى موارد المياه العذبة والمالحة، وهي بيئة أحكم الله خلقها وأتقن صنعها كما ونوعا ووظيفة[1].

من خلال التعريفين السابقين يتجلى لنا أن البيئة في مفهومها تختلف من منطقة إلى أخرى وهذا على حسب تكويناتها وعلى حسب اختلاف وتغير مناخها وكذا غطائها النباتي وما يوجد في باطنها من ثروات طبيعية متنوعة والمناطق الصحراوية هي إحدى هذه المناطق، فهي تتميز باختلاف العوامل الداخلية بها من نوعية التربة ومكوناتها واختلاف العوامل الخارجية من رياح، وحرارة وأمطار فهي تتأثر بالأقاليم الصحراوية السائدة فيها مما يجعل الحياة والاستقرار بها صعب لقساوة بيئتها الصحراوية وهذا ما جعل الإنسان في هذه البيئة القاسية يؤثر فيها وتتأثر بها، فنجده صمم عمارة تتوافق مع هذه البيئة وتقاوم كل متغيراتها خاصة وأن التزما يميز البيئة الصحراوية هو طابعها العمراني والذي تظهر فيه وكأنها عمارة تقليدية في قالب إسلامي وبمواد محلية مستخلصة من بيئتها الصحراوية الأصلية، حيث لا تتدخل السلطة في توجيهها وإنما تتدخل في حالات الصراع والخلاف بين الأفراد[2]، وحتى يستقر الإنسان في هذه المناطق الصحراوية لابد من توفر مجموعة من الظروف المساعدة على الاستقرار خاصة في أزمنة خلت نذكر منها البعض لنبين دورها وأثرها في استقرار الإنسان في هذه المناطق الصحراوية.

2. ظروف وعوامل الاستقرار:

يذكر العديد من المؤرخين والأثريين المهتمين بدراسة الاستقرار وكذا الاستيطان بالأقاليم الصحراوية بأن الصحراء قد دخلت التاريخ الحضري منذ العصر الحجري الحديث

1 – سعد عبد الكريم شهاب: أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، دراسة تحليلية مقارنة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2009، ص164.

2– جميل عبد القادر أكبر: عمارة الأرض في الإسلامي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1992، ص12.

بحوالي 10 آلاف سنة وهذا بعد أن جال هذا الإنسان الصحراء ليقيم بها مدينته ومسكنه ويمارس بها نشاطاته المختلفة في جميع المجالات، وقد بقيت بصمات مدينة العصر الحجري الحديث في واقع حياة الناس وهي متمثلة في حرفة الزراعة والحرف المرتبطة بها[1].

- **الماء:**

يعتبر الماء من أهم العناصر البيئية المساعدة على الاستقرار إلى جانب المرعى فالبئر إلى جانب كونها وسيلة للحياة يجلب منه الماء للشرب وللسقاية فهو كذلك مركزا اجتماعيا وثقافيا وتجاريا فقيمته كبيرة في الصحراء فعنده يتبادل الناس الأخبار، ويلتقي التجار من كل الأمصار والمناطق لتبادل التجارة بالبيع أو بالمقايضة، والقيمة الاجتماعية التي يقدمها في تلاحم وتراحم وتعارف السكان الأصليين مع الوافدين والرحل المارين على هذه البئر، ومنه فالماء وتوفره في هذه المناطق والبيئة القاسية يكون عامل وظرف قوي ودافع على الاستقرار والاستيطان بهذه المناطق.

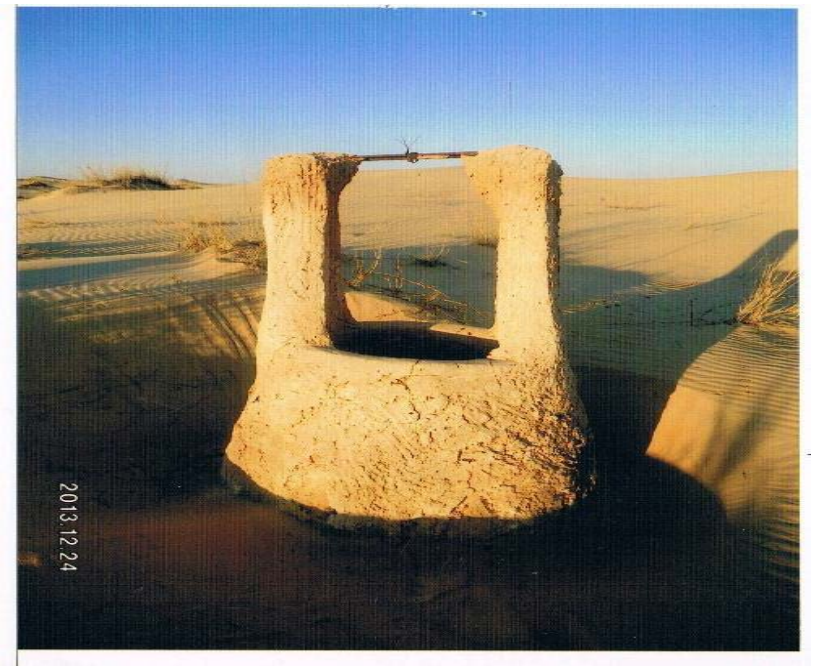

الصورة رقم(04): البئر في منطقة وادي سوف

1- محمد مزراق: البيئة وأثرها في توجيه العمارة المحلية، إقليم تيديكلت الشرقية نموذجا، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر-2-، 2009، ص25.

- **المرعى:**

عندما كان نشاط الإنسان الرعي لزم عليه أن يبحث دوما على أماكن الرعي وهذا حتى يوفر لأغنامه وبقية الحيوانات التي يمتلكها الكلأ وهذا ما جعله ينتقل من منطقة لأخرى أين يتوفر الماء والعشب فيساعدانه على الاستقرار في هذه المناطق الصحراوية[1].

- **الموقع:**

للموقع أهمية كبيرة في الاستقرار في المناطق الصحراوية فهناك مواقع تحتل مكانة استراتيجية في عمق الصحراء وهذا لتوسطها المدن التجارية الهامة مثل موقع مدينة عين صالح التي تتفرع منها مختلف المسالك التجارية الكبرى نحو الشرق والغرب والشمال والجنوب وهذا ما يساعد هذا الموقع إلى حد كبير في عملية تمشيط الحركة التجارية بين التجار للبيع والمقايضة وللراحة أحيانا[2]، والدارس للعمران الصحراوي يلاحظ أن جل إن لم نقل كل المدن الصحراوية أنشئت في مواقع استراتيجية مهمة أثر ذلك على تطور تلك المدن وازدهارها في جميع المجالات الحياتية.

- **التجارة:**

التجارة في الصحراء هي القلب النابض بعد وجود الماء، فهي تلعب دورا فعالا في خلق الحركية وبعث الحياة في هذه البيئة القاسية، وذلك بتنقل التجار من إقليم لآخر عبر الجمال والخيول[3]، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ والرحالة ابن بطوطة أن الطرق التجارية التي كانت القوافل تعبرها عديدة ومتشعبة، وقد نشأ على طولها مدن كبيرة قدمت الكثير

1- محمد مرزاق، المرجع السابق، ص25.

2- نفسه، ص27.

3- نفسه، ص28.

للتجارة والتجار ويذكر منها سجلماسة وورقلة وغدامس ومدن بتوات وتيديكلت والسودان الغربي[1].

- **السوق:**

وهو مكان تعرض فيه السلع للبيع وللمقايضة ويكون عادة خارج أسوار القصر للأجانب وداخل ساحة القصر سوق صغير لساكني القصر وهذا حفاظا على حرمة القصر، وقد كان السوق عامل أساسي ساعد على الاستقرار في المناطق الصحراوية، لأنه وفر لهم عناء السفر بحثا عن متطلباتهم وأمنهم من خطر الصحراء وفلاتها، وقد أوصى المكتشف الألماني (جير هاردرو هلفس) الذي حل بإقليم تيديكلت فتجول في أسواقها ومنها سوق القصر الكبير وانبهر بما وجد السلطة الفرنسية بضرورة إبقاء السوق والمحافظة عليه والاعتناء به أكثر بعد احتلالها لهذا الإقليم لأن ذلك السوق سوف يعود بالنفع على الخزينة الفرنسية[2]، إذن بالسوق له دور هام في استقرار الإنسان في الصحراء ومناطقها المختلفة، وله دور اجتماعي وحضاري وما زال يقوم به إلى يومنا الحالي.

- **البعد عن مواطن الصراع والنزاع السياسي:**

تتميز الصحراء بأنها تحوي الأمن والاستقرار كونها تبعد عن مواطن الصراع السياسي وكذا الصراع المذهبي، فنجد الكثير يلجأ إليها ويسكن بها ومثال ذلك أولاد يوسف بن تاشفين حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس فروا وهربوا إلى أرض توات واستقروا بها لوجود الأمن فبنوا قصورهم وحفروا آبارهم واستوطنوا في أول قصر بنوه هو قصر تيلوت[3].

1- محمد بن عبد الله (ابن بطوطة)، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، 1387، ص43.

2- محمد مرزاق، المرجع السابق، ص30؛ أنظر:

Déporter, la question du Tautte Sahara Algérien, Alger, 1981, p37.

3- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص116.

ثانيا: مناطق الدراسة

إن اهتمام الأثريين والباحثين في مجال البحث والتنقيب عن مخلفات الشعوب الماضية شملت جميع الحقب الزمنية والأطر المكانية التي استقر بها الإنسان محدثا بذلك تفاعل بينه وبين جميع من حوله انطلاقا من بيئته التي عاش فيها وحاول بكل ما توفر لديه من إمكانات، أن يشيد حضارة بقي التاريخ يتحدث عنها رغم سقوطها وانهيارها لعوامل مختلفة، والصحراء الجزائرية بمساحتها الشاسعة فقد مرت عليها عدة حضارات، واستقر الإنسان في هذه البيئة القاسية ومناخها الصعب كان لعدة اعتبارات وصمود وتحدي كبير لهذا الإنسان الذي تكيف مع الوضع العام لهذه الصحراء، وفي دراستنا هذه حول المسكن الصحراوي في الجزائر سوف نحاول أن نسلط الضوء على مناطق مختلفة من الصحراء الجزائرية لنحاول معرفة أهم الخصائص والمميزات التي يتميز بها المسكن الصحراوي في هذه المناطق وهي منطقة وادي سوف وبوسعادة والأغواط وقبل التطرق لطبيعة المسكن في هذه المناطق لزم علينا تناول الإطار الجغرافي والإطار التاريخي وأصل التسمية لعلاقة ذلك بموضوع الدراسة.

1. منطقة وادي سوف:

1.1. الإطار الجغرافي:

وادي سوف والمعروفة حاليا بولاية الوادي انبثقت عن التقسيم الإداري لسنة 1984م، تقع في الجهة الشمالية الشرقية من الجنوب الجزائري، وتنحصر فلكيا ما بين دائرتي عرض 31° و34° شمالا، على امتداد نحو 650 كلم من منطقة أسطيل (الحدود الشمالية) إلى الجنوب الشرقي الحدود الليبية وجنوبا ورقلة وبين خطي طول 6° و8° شرقا على مسافة 160كلم، ومن منطقة وادي ريغ غربا إلى الحدود مع تونس شرقا الخريطة رقم (2)[1].

1- عبد العزيز حسنونة، عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13هـ، دراسة أثرية عمرانية، مديرية الثقافة لولاية الوادي، مطبقة مزاور، الواد، ط1، 2013، ص7، ينظر:
Paulpelet, la position géographique d'Eloued (Sauf), la géographie, bulletin de la société de géographie, Tom XII, paris, 1905, p29.

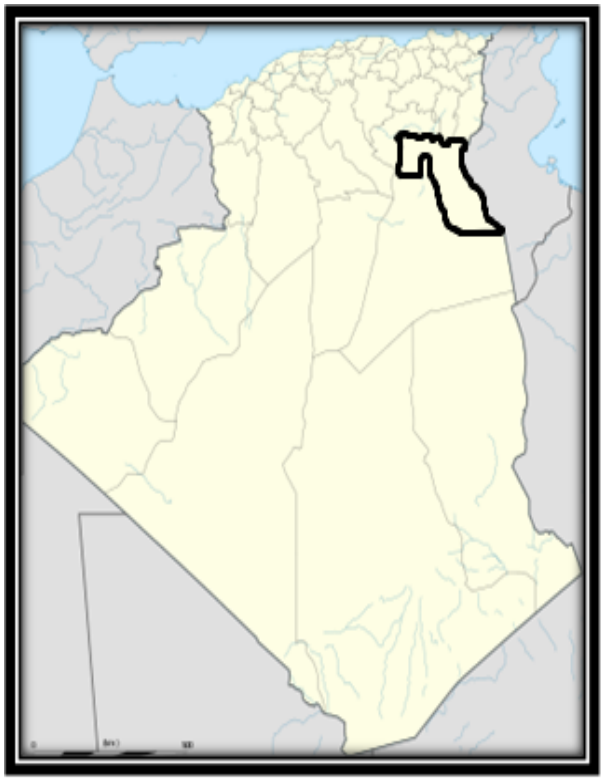

الشكل رقم (02): حدود ولاية وادي سوف الخريطة رقم (05): موقع ولاية وادي سوف

ومنقطة سوف عبارة عن غطاء رملي كثيف على التخوم الشمالية للعرق الشرقي الكبير، هي محاطة بثلاث شطوط (سبخات) هي شط وادي ريغ من الغرب، وشط مروانة، وشط ملغيغ، وشط الغرسة وهذا من الشمال وشط الجريد من الشرق، وبهذا فهي تتشكل من نصف دائرة وتتجمع حول عاصمة الإقليم مدينة الوادي بمساحة تقدر بـ 82000 كلم[12] . وقال عنها أحمد توفيق المدني: وادي سوف بلاد واحات شاسعة مترامية الأطراف جنوب مقاطعة قسنطينة، تمتد من بلاد الجريد التونسية إلى وادي الشبكة "ميزاب" وتشمل قرى كثيرة جميلة أهمها الواد وقمار[2]، أما الارتفاع على مستوى سطح البحر فيصل إلى 80م، بينما تنخفض في وسط ملغيغ إلى حوالي 24 تحت مستوى سطح البحر، وبهذا فإن منطقة سوف تتميز بطابعها المناخي المتمثل في المناخ القاري، فقد ترتفع درجة الحرارة فيه إلى 50 درجة

1- André Voisin, le Souf, monographie, manuscrit, EL.OUED, 1965, p1.

2- أحمد توفيق المدني، كتاب تاريخ الجزائر، د.ت.ن، د.ط، ص243.

في فصل الصيف نهارا، وتنخفض إلى ما تحت درجة الصفر في فصل الشتاء، أما الرياح فيهب على سوف رياح تسمى بالشهيلي، والتي تهب في فصل الصيف عندما يكون الجو حار، لكنها تصبح رياح جافة وباردة ليلا، يستمتع السكان بالجلوس لها ليلا ووقت السحر، ليصبح الجو في منطقة وادي سوف من أحسن الأجواء فهواؤه نقي وطيب وخفيف يساعد على الراحة والهضم.

ونتيجة بعدها عن المسطحات المائية فالأمطار نادرة التساقط، ولكن رغم هذا يبقى نزول المطر كثير خلال فصل الأمطار ويتجاوز أحيانا 100 ملم سنويا[1].

- **التضاريس:**

لا توجد تضاريس متنوعة ما عدا مظهرين رئيسيين هما:

- الكثبان الرملية التي تحيط بكل مدن وقرى سوف وهي عموما قليلة الارتفاع ما عدا في الجهة الجنوبية على طريق القوافل المؤدي إلى غدامس الليبية حيث تكثر الغرد[2].
- والشطوط والمنخفضات التي تحد المنطقة من الجهة الشمالية على شكل هلال تتمثل في شطوط ملغيغ ومروان هذا الأخير ينخفض بنحو 36م دون مستوى سطح البحر[3].

- **الرياح:**

تتجه الرياح في سوف إلى الاتجاه الشرقي والشمالي الشرقي وهي رياح مسيطرة ثم تليها الرياح الجنوبية الغربية حيث تمتاز بحرارتها المرتفعة وتعرف محليا باسم رياح "الشهيلي".

1- إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، 37، ينظر كذلك، إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف، مدينة الألف قبة، مجلة الثقافة، عدد 113، الجزائر، 1996، ص194.

2- جمع غرد أي الغريد من نوعه أو الشيء الذي يصدر عنه صوت غريب، وهذا كناية عن الصوت الذي تصدره الكثبان الرملية أثناء هبوب الرياح، ينظر لسان العرب لابن منظور.

3- عبد العزيز حسونة، عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف، "مدينة قمار نموذجا"، أشغال الملتقى الدولي، تحولات المدينة الصحراوية، تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية، يومي 3-4 مارس 2015، جامعة ورقلة، ص139.

وتكون الرياح قوية أكثر في فصل الربيع، وتكون محملة بكميات كبيرة من الرمال وهذا ما يعطي اللون الأصفر الفاقع للسماء وأحيانا تدوم ثلاثة أيام متتالية تفوق سرعتها أكثر من 50 كلم/سا[1]، والجو في منطقة وادي سوف من أحسن الأجواء فهواؤه نقي وطيب وخفيف يساعد على الراحة والهضم.

- **الغطاء النباتي بوادي سوف:**

المناخ السائد في منطقة وادي سوف سمح لأنواع عديدة من النباتات وكذا الأعشاب ولحشائش بالنمو الكثيف في المنطقة خاصة الحشائش العلفية التي ساعدت السكان البدو الرحل من ممارسة حرفة الرعي وتربية المواشي نذكر منها البشنة، والعرجف والحلفاء والصفار والصمري، والخبيز والقريطفة والقطف والحميض والنجم والشيح وغير ذلك من الأنواع التي يكثر نموها في هذه المناطق الصحراوية.

بالإضافة إلى أنواع أخرى علاجية كثير من الأمراض الجلدية والأمراض الداخلية كالحرمل، والفيجل، العرعار والشرثوث، وشجيرة عنب الذئب.

أما أنواع الأشجار وخاصة تلك التي يتخذ منها الحطب للطهي من جهة ومواد للبناء من جهة أخرى كالرتم والأرطي، والزيتاء والبلبال، والأزال، والعرعار والطرفاء وغير ذلك وفيما يخص الخضر والفواكه فنجد الفقوس والدلاع وأنواع الفلافل، والحلبة والحناء، إضافة إلى ورق التبغ[2].

وأهم شجرة تتميز بها المناطق الصحراوية على الإطلاق وخاصة وادي سوف هي شجرة النخيل (الصورة رقم 05)، هذه الشجرة المباركة فهي مصدر رزق لأغلبية السكان

1- ريان جابر، الزراعة في إقليم وادي سوف، الآليات، الواقع، الآفاق، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2015، ص21.

2- إبراهيم العوامر، المصدر السابق، ص52.

ويتنوع إنتاجها بتنوع أنواعها[1] مثل دقلة نور، الغرس، فزاني، فطيم، ودقلة عش، والكركوبية، وزق المنقار، والقامدة، ولولو، وأم القطوشة، وبيضين جمل، وبيض حمام، وكنتة والحلواية وظفير قط، وتاروخت، وكسباية، ودقلة مامن، وقصبي، مرلاقو، وأصباع عروس إلى أنواع أخرى وهذا يدل على كثرة أنواع النخيل وكثرة فصائلها التي رجعت بالفائدة على سكان وادي سوف[2] ووصفها العياشي في رحلته "ماء الموائد" أن سوف هي خط من النخيل مستعرض في وسط الرمل قد غلب على أكثره، وفيه بلاد عديدة وماؤها طيب غزير قريب من وجه الأرض... وكثيرا ما يقتنون الكلاب للصيد فإن بلادهم ذات صيد كبير وجل معيشتهم منه ومن التمر وتمرهم من أطيب تمار تلك البلاد[3]، وما ذكره العياشي كحقيقة عن سوف من وفرة الماء الطيب والغزير جعل منها واحات للنخيل، وأرض يكثر فيها الصيد لملائمة هذه البيئة لتكون مأوى وأرض تعيش فيها حيوانات كثيرة يتغذى عليها الإنسان.

ولأن النخلة شجرة مباركة وتمرها من ثمار الجنة وشفاء من السم ففي الحديث الشريف يقول رسول الله ρ«من تصبح بسبع تمرات عجوة[4] لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»، رواه مسلم، وعن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ρ قال: «إن في عجوة العالية شفاء أو أنها ترياق أَوَّلُ البُكْرَةِ»، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ρ قال: «...لا يجوع أهل بيت عندهم التمر» رواه مسلم[5].

ومنه فأهل سوف يعتنون بالنخيل ويتفاخرون بامتلاكها، ويحبون تمورها ويخزنونها في "الخابية" كعولة أساسية في معاشهم، وقال المقدسي: «وقد أكرمهم الله تعالى بخير الثمار

1- إبراهيم العوامر، المصدر السابق، ص64.

2- Ahmed NAJAH, le souf des ouasis, Alger, 1971, p156.

3- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية "ماء الموائد"، مج 01، ط01، 2006، ص 123.

4- عجوة: هي التمر التام النضج.

5- إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف، ص197ن نقلا عن صحيح مسلم، ج2، دار الفكر، ص، ص 218، 219.

وسيدة الأشجار التمر والنخل»[1].

- **أنواع الحيوانات الموجودة في وادي سوف:**

عاشت في وادي سوف حيوانات وحشرات كثيرة ومتنوعة منها الحيوانات الوحشية والتي انقرضت والتي مازالت موجودة إلى اليوم، منها الأسد والنمر، والفيل والحمار الوحشي والزرافة وغيرها، أما الأليفة فمازالت موجودة إلى اليوم كالإبل والماعز والغنم والحمار وهي حيوانات يستعين بها أهل سوف على حياتهم ومتطلباتهم وفي تنقلاتهم وفي حروبهم، وهناك حيوانات أليفة أخرى كالأرانب والدواجن والقطط والكلاب هذه الأخيرة يعتمد عليها في الحراسة وفي الرعي.

كما تشتهر المنطقة بأنواع مختلفة من الطيور منها، الحبارة، الخطايفية، الخفاش، العقاب، البوم، الحداءة، القنبرة وأنواع أخرى تعيش في صحراء سوف[2].

أما أنواع الحشرات التي تعيش في المنطقة فنذكر منها الشرشمان الملقب بسمك الصحراء، وهذا لتشابه هيكله العظمي بهيكل السمك ويغوص في الرمل مثلما يغوص السمك في الماء، وأنواع أخرى مثل الورل، والزرزومية وبوكشاش والحنش والصنب والأفعى والعقرب واليربوع والفأر وأنواع أخرى[3].

2.1. الإطار التاريخي:

مرت مدينة وادي سوف بمراحل تاريخية كبرى يمكن تقسيمها إلى أربعة مراحل هي:

1.2.1. فترة ما قبل التاريخ:

عاش الإنسان في هذه المنطقة في فترة ما قبل التاريخ بسبب توفر الماء والكلأ مما ينجم عنهما توفر الحيوانات التي يصطادها الإنسان وينتفع بها يحتاجه منها: لحم وجلود

1- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1411هـ/1991م، ص ص105، 106.
2- إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف، ص ص 197، 198.
3- نفسه، ص198.

وشعر وصوف وعظام، وما دل على وجود الإنسان وعيشه في المنطقة هو وجود الشواهد والبقايا الأثرية كالتي عثر عليها في سنة 1957م وتتمثل في هيكل عظمي لفيل عظيم منقرض من نوع "الماموث" في حالة جيدة، كان مدفونا شرق منطقة حاسي خليفة، كما تم العثور على عدة صدف رخويات ومحار بيض النعام، وهذا بالعرق الشرقي الكبير، وعثر على بيضة كاملة للنعام على عمق ستة أمتار في واحة هية وهي معروضة بمتحف الوادي.

ونظر لشساعة المنطقة وإمكانية انتشار الإنسان بكثرة في سوف فقد يعثر على بقايا أخرى كالحيوان المنحوت من أدوات كثيرة بحيث يمكن أن نلتقط السهام المنحوتة شاهدة على العصر الحجري بسوف[1] ويتكلم عنها العداواني في رحلته فيقول: «إن سوف كانت خالية من زمن آدم عليه السلام إلى زمان إبراهيم الخليل، ثم عمرت وقت العمالقة[2]» أربعين عاما ثم خربت إلى زمان داوود عليه السلام ثم أعمرت أربعين عاما ولها خط كامل وعمارة قوية، والنيل جيري عليها، ثم خربت إلى زمان لوي فأعمرها أربعين عاما، ثم أتوا إليهم بني مرين فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاما، ثم أتوا إليهم مرداس وعمروها أربعين عاما ثم أتوا إليها زناتة وعمروها أربعين عاما ثم أتوا إليهم عدوان فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاما" قد يكون ما ذكره العدواني صحيحا لكن ليس بهذه الرواية والتي نلمس فيها المبالغة خاصة في تقدير عدد السنوات التي عمرها كل قوم في أرض سوف[3].

2.2.1. وادي سوف في الفترة القديمة:

توجد الكثير من الأدلة وكذا الشواهد التي تدل على عمارة المنطقة في الفترة القديمة ومن ذلك نذكر زمالة سندروس بقرية أعميش على بعد 20 كلم جنوب شرق الوادي، فقد

1- Ahmed NAJAH, op.cit, p27.

2- العمالقة: جيل من العرب القدماء يمتازون بطول الأجسام، وهم أمم كثيرة تذهب الروايات الشعبية إلى أن مساكنهم في سوف وما حولها كانت بوادي الجردانية قريبا من عيون النازية، كما سكنوا قرطاجنة وكانوا أصحاب هاشية، انظر محمد العدواني، المصدر السابق، ص134.

3- محمد العدواني، المصدر السابق، ص134.

تكون البقايا المعثور عليها عبارة عن تحصينات عسكرية رومانية غمرتها الرمال، بالإضافة على بئر ماء قديم تعرف بـ "بئر رومان" يعتقد أن الرومان هم من أنشأها لتأمين طريقهم إلى أرض السودان الغربي، كما يوجد الكثير من المسكوكات البيزنطية التي تعود للقرن الرابع الميلادي وهي محفوظة في المتحف البلدي بوادي سوف[1].

أما ما ذهب إليه العدواني[2] في كتابه "تاريخ العدواني" أن جلهمة كان يقطنها النصارى من زناتة قبل مجيء العرب إليهم[3]، وهذه المنطقة التي قطنها النصارى هي من أقاليم سوف والمسماة اليوم بقمار وكذلك المنطقة المسماة بتاغزوت وهذا قبل وصول الإسلام إليها، بالإضافة إلى ما هو معروف تاريخيا إلى أن الشمال الإفريقي تعرض للغزو الروماني منذ القرن 2 ق.م والذي أخذ بالتوسع على حساب مملكة نوميديا وهذا للسيطرة على الأراضي الزراعية مما جعل السكان الأصليين ومنهم البربر المنتمون لزناتة يلجئون إلى حواف الصحراء جنوب منطقة الأوراس والاستقرار في منطقة الشطوط الواقعة ما بين تونس والجزائر على حواف الأودية، ومنها وداي الجردانية الذي ينبع من جبل مجور في الأوراس النمامشة وينحدر جنونا متوغلا في العرق الشرقي الكبير[4].

وللبحث عن تاريخ سوف في الفترة القديمة لا بد من تنشيط الأبحاث والقيام بحفريات لعلها توصلنا إلى العثور على مخلفات وبقايا أثرية من شأنها أن تقدم الكثير لمعرفة ما نجهله حول الشعوب التي سكنت المنطقة وأصلها.

1- عبد العزيز حسونة، عمارة مدينة قمار، ص24.

2- الشيخ العدواني: شخصية تاريخية من قرية الزقم، تشير المصادر أنه عاش في منتصف القرن 11هـ/17م، كان عالما مولعا بالبحث والتنقيب، كتب كتابه المعروف بتاريخ العدواني، والذي تضمن تاريخ منطقة سوف والمناطق القريبة منها وقد قام بترجمته Ch.Feraud سنة 1868م، كما حققه الدكتور أبو القاسم سعد الله، أنظر عبد العزيز حسونة، عمارة مدينة قمار، ص22

3- محمد العدواني، تاريخ العدوانين تحقيق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ص125، وكذلك إبراهيم العوامر، العروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص114.

4- عبد العزيز حسونة، عمارة الحواضر، ص129.

3.2.1. وادي سوف في الفترة الإسلامية:

توقفت الفتوحات الإسلامية عند برقة والجزء الشرقي من ليبيا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سمح للجيوش الإسلامية بالتوجه نحو المغرب، فأرسل حملة لفتح إفريقية في حدود سنة 24هـ الموافق لسنة 646م بقيادة أخيه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[1] على رأس جيش مكون من عشرين ألف جندي، ساروا إلى أن وصلوا بسيطلة التي هي دار الملك جرجير[2] البطريق البيزنطي وملك الروم بإفريقيا وكان سلطانه من برقة إلى طنجة حيث كانت بينه وبين عبد الله بن أبي سرح مراسلات من أجل السلم، لكن جرجير أبى وتأهب للحرب والتحم الجيشان في قتال تغلب فيه جيش المسلمين بعد مصرع جرجير ودخل المسلمون المدينة وكان ذلك هو عام فتح إفريقية[3].

إن تعمير منطقة سوف في الفترة الإسلامية مر بمراحل بدأت بوصول الفتح الإسلامي إلى المنطقة وشهد عدم استقرار بسبب الصراعات والتناحر وهما عاملين يؤثران في تطور العمران واستقرار الحكم.

وقد ذكر أن عقبة بن نافع في أيام ولايته الأولى عام46هـ قتل وسبى وبلغ في غزوته عاصمة بلاد البربر حيث فتح فزان، ودان، وقفصة وقصطيلة وما حولها فتحا ثانيا لأنها

1- عبد الله بن أبي سرح العامري: كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ارتد عن الإسلام والتحق بالمشركين في مكة وكان معاوية بن أبي سفيان قد أسلم فاتخذه الرسول كاتبا للوحي بدلا من عبد الله بن أبي سرح، ولما فتح المسلمون مكة استجار عبد الله بدار عثمان بن عفان فأخذ له الأمان من الرسول صلى الله عليه وسلم فحسن إسلامه بعد ذلك، وفي خلافة عثمان رضي الله عنه ولاه على مصر وجندها. انظر إبراهيم العوامري، المرجع السابق، ص 143.

2- جرجير: البطريق البيزنطي، كانت عاصمة مملكته سيطلة وهو الذي قتله عبد الله بن الزبير في أول غزوة للمسلمين لإفريقية.

3- إبراهيم مياسي، الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف (دراسة تاريخية)، دار هومه، الجزائر، 2014، ص123. ينظر إبراهيم العوامر، الصاروف في تاريخ الصحراء وسوف ، المرجع السابق، ص، ص 143، 144.

فتحت قبله وارتدوا فأعادهم بغزوته هذه حتى أذعنوا له وكذلك نفطة وتقيوس والحامة وهذا ما يفيد أن عقبة ومن معه وصلوا إلى سوف وفتحوا قراها[1].

أما في الفترة العثمانية: فلم تخضع منطقة وادي سوف للحكم المركزي في الفترة الممتدة من 1518م–1830م إلا في بعض الفترات الأخيرة منه وهذا لأن أغلب المناطق الصحراوية في هذا العهد تكون في عزلة تامة عن الأتراك العثمانيين بالجزائر حيث كانت تعيش شبه مستقلة وتخضع لحكم ما يسمى بالجماعة[2]، ولم تخرج المنطقة عن هذا النظام، لكنها أصبحت تابعة رسميا وصوريا لنفوذ شيخ العرب الممثل لباي قسنطينة في الصحراء من جهة، وممثل سلاطين بني جلاب بتقرت من جهة أخرى، وهذا خلال النصف الثاني من القرن 18 م وبداية القرن 19م [3].

4.2.1. الفترة الاستعمارية:

توسع الاستعمار الفرنسي في وادي سوف وهذا بعد رحلة طويلة وشاقة وصعبة دامت حوالي نصف قرن، غير أنه لم يهنأ ولم يستقر له الأمر ولو للحظة واحدة في تلك الديار، حيث قاوم أهل سوف هذا الدخيل المحتل مقاومات باسلة وبطولية بدءا بالفرق الأول لمحمد الصغير بن بلحاج، خليفة الأمير عبد القادر وهذا لرد العدوان على المنطقة إلى متاريس السوافة، ثم رجال الإصلاح الذين تصدوا للفساد ومن أبرزهم الشيخ العلامة إبراهيم العوامر والذي وقف في وجه المخططات الإدارية الاستعمارية في الجزائر والذي ضمن إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية في بداية هذا القرن، حيث ظهر الشيخ العوامر[4] بشخصية المرشد والمصلح في نواحي وادي سوف مدافعا بذلك عن حمى الدين وعن اللغة العربية.

1- إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص145.

2- الجماعة: هم العقلاء الذين يقع عليهم الاختيار من طرف الأهالي.

3- إبراهيم مياسي، الصحراء الجزائرية، ص132.

4- الشيخ العلامة إبراهيم العوامر: هو إبراهيم بن محمد الماسي بن عامر الملقب بالعوامر من مواليد وادي سوف سنة 1881م، نشأ في وادي سوف قرأ ودرس على يد شيوخها ثم رحل إلى تونس ودخل الزيتونة ليكمل دراسته، توظف في القضاء بمحكمة الوادي وعمل مفتيا وارتبط بالطرق الصوفية وخدمتها وألف العديد من الكتب والرسائل، أصيب في آخر حياته بمرض أقعده الفراش و تسبب في وفاته سنة 1934م بمدينة تقرت. انظر: عادل نويهض، أعلام الجزائر، بيروت، 1980.

ثم نشاط شيخ الزاوية القادرية بوداي سوف الشيخ الهاشمي الشريف[1] والمتمثل في تحريض القبائل الصحراوية ضد الوجود الفرنسي نتج عنها ثورة سميت هدّة عميش في خريف 1918م، ثم هدّة ثانية بقيادة ابنه عبد العزيز الشريف، وكذا نشاط الحركة الوطنية وتكوين خلايا الأحزاب وآخر مشاركة فعالة كانت هي الثورة التحريرية ومدها بالأسلحة والدعم حتى نيل الاستقلال رغم كل الصعوبات التي واجهتهم في بيئة صحراوية اجتمعت فيها قساوة الطبيعة وشياعة ونذالة المستعمر[2].

3.1. أصل تسمية وادي سوف:

وادي سوف كلمة مشتقة من الاسم الأمازيغي القديم سوف أو السوف وبالقبائلية العصرية "أسيف"، وتعني الأراضي المنخفضة، أو ضفاف النهر (مثل وادي النيل) فأدغمت كلمة الوادي مع سوف وأصبحت وادي سوف، كما يشير علم اللسانيات بأن لفظة الوادي ترادفها بالأمازيغية لفظ سوف[3].

أما الشيخ إبراهيم العوامر في كتابه العروف بأنه كانت أرض في سوف في القديم تسمى الظاهرة قال القدماء إنها سميت بذلك لأنها أو قطعة في الأرض ظهرت بعض أرض نفطة (بتونس) حين انحصر عليها ماء الطوفان، كما أن أرض نفزاوة ظهر منها جانب في ذلك العهد وهو إلى الآن يسمى الظاهر[4].

1- الشيخ الهاشمي الشريف (1853-1923م): ولد بنفطة بالجريد التونسي من أب تونسي وأم سوفية جزائرية قاد انتفاضة شعبية ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1918 كان يشرف على زاوية عمش (البياضة) وعلى شؤونها كان يعمل دوما على فتح الزوايا لطريقة القادرية كلما سنحت له الفرصة مثل الزاوية القادرية بأولاد جلال ببسكرة وزاوية الأغواط، كان يحتل مكانة معتبرة لدى الحاكم الفرنسي لملحقة وادي سوف والسلطات الفرنسية بفضل دهائه وفطنته، وكانت له علاقات مغاربية انطلاقا من تونس، حبس كل ما لديه في سبيل العلم وبعث بأبنائه إلى جامع الزيتونة، توفي يوم 03 سبتمبر 1923م أنظر: سعد بن البشير العمامرة/ أحمد بن الطاهر المنصوري، اعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، مطبعة مزوار، الوادي،(ب.ت)، ص22.

2- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص162.

3- إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف، ص، ص191، 192؛ ينظر: Ahmed NAJAH, op.cit, p32.

4- إبراهيم بن محمد المياسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص38.

أما تعريف المصطلح عن ابن منظور فنجد أن كلمة "السوف" والسائفة تعني الأرض بين الرمل والجلد[1]، وسوف أطلقت على الكثبان الرملية ذات الارتفاعات المحدبة والتي تشبه السيف.

كما أطلقت تسمية الوادي على عاصمة الإقليم المركزي الإداري لسوف كلها، وهي مدينة الوادي ومنه فكلا الكلمتين "وادي" و "سوف" لها مغزى واحد وهو وادي متدفق، ولكن هنا الواد صار جافا لغو مياهه في جوف الأرض.

وقيل أنه كان بها رجل عليم أي صاحب حكمة يسمى ذا السوف فسميت هذه الأرض به والسوف في اللغة معناه العلم أو الحكمة[2]، ومن جملة الآراء حول التسمية فقد يكون الرأي القائل بأن أصل الكلمة لوادي سوف هو تمييزها بكثرة الأحقاف والكثبان الرملية التي تشبه السيف وهذا ما وقفنا عليه في زيارتنا الميدانية لمنطقة وادي سوف ومشاهدة لهذه الكثبان الرملية.

2. مدينة بوسعادة:

1.2. الإطار الجغرافي:

بوسعادة بوابة الصحراء[3] تقع على السفوح الشمالية الشرقية لسلسة جبال أولاد نائل بالأطلس الصحراوي محصورة بين كتلة صلبة من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية الغربية والجنوبية الغربية وبين المناطق المنخفضة في الجهة الجنوبية الشرقية والشرقية، فهي تكل على شط الحضنة من جهته الجنوبية الغربية[4].

1- موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف ونشأنها وتطورها (1900-1939)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعة 2005-2006، ص11.

2- إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، ص43.

3- Despois, J. La Hodna, P.U.F, paris, 1957, p21.

4- العربي لقريز، المرجع السابق، ص15.

وبوسعادة هي إحدى دوائر ولاية المسيلة وتسمى بالواحة حيث تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 250 كلم وعن مقر الولاية بـ 70 كلم، عدد سكانها يقدر بـ 10.2245 حسب إحصائيات 1998، وتعتبر نقطة تقاطع للطريقين الوطنيين رقم 8 الذي يصل الجزائر العاصمة بالجلفة، ورقم 46 الرابط بين بسكرة والجلفة[1] (أنظر الخريطة رقم (06))، وتشغل موقعها داخل إقليم ولاية المسيلة، فهي تستغل الحير الجنوبي من إقليم الولاية حيث تعتبر ثاني تجمع ديمغرافي بعد مقر الولاية تقع فلكيا بين خطي طول 11° 4 طول شرقا و13° و35 شمالا. جدول رقم (1).

المعلومات الفلكية	11° 4 طول شرقا و13° و35 شمالا
المسافة عن الجزائر العاصمة	250 كلم جنوب شرق العاصمة
الارتفاع	560 م
الموضع	ما بين جبل كردادة في الجنوب و الرمل في الشمال
ملتقى الطرق	ما بين الهضاب العليا الوسطى (الجلفة) والتل العاصمي والزاب (بسكرة)

جدول رقم (01): الموقع الجغرافي لبوسعادة، عن Youssef.N 1986 بتصرف.

1- النذير قوادرية، العمارة التقليدية بمنطقة بوسعادة، دراسة أنموذجية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص أثار ريفية وصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2010-2011، ص27.

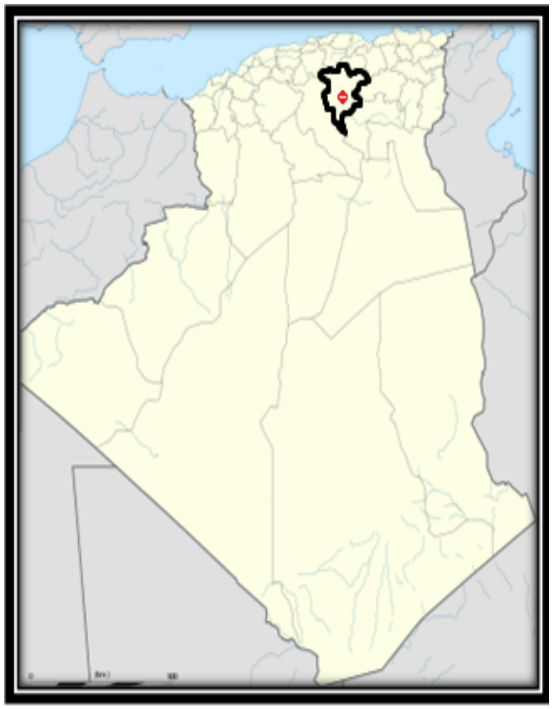

الشكل رقم (03): حدود منطقة بوسعادة الخريطة رقم (06): موقع منطقة بوسعادة

يحدها شمالا بلدية أولاد سيدي إبراهيم، ومن الشمال الشرقي بلدية المعاريف، وممن الشرق لدية الحوامد، ومن الغرب بلدية التامسة ومن الجنوب الشرقي والجنوب الغربي بلدية ولتام والهامل ويحدها شط الحضنة من الجهة الجنوبية الغربية وتتشكل مرتفعات الحضنة من الكلس والحجارة الجبلية والحجر الرملي[1]، ولهذا فمنطقة بوسعادة تمثل نقطة التقاء بين الصحراء المرتفعة أين تسود جبال الأطلس الصحراوي، والصحراء المنخفضة والتي تتميز بالوفرة المائية حيث توجد منطقة الشطوط[2].

- **المناخ:**

1-Youssef Nacib, cultures oasiennes, Bou-ssada, essai D'histaire sociale, E.N.A.L, Alger, 1986, p32.

2- النذير قوادرية، المرجع السابق، ص28.

للتوضيح أكثر حول هذه النقطة ينظر:

Edmond Sergent, le peuplement Humain du Sahara lnstitut pasteur D'Algérie, T31, N°1, Alger, 1953, p15.

يسود المناخ القاري منطقة بوسعادة على غرار باقي المناطق الداخلية السهبية والشبه صحراوية، فالأمطار فيه موسمية منتظمة، حيث تعتبر منطقة انتقالية بين مناخ رطب وومطر إلى حد ما في الشمال، وآخر جاف وحار في الجنوب الجزائري ورياح وتيارات هوائية شمالية باردة في فصل الشتاء، وأخرى جنوبية حارة وجافة في فصل الصيف لأنها تنتمي إلى منطقة الحضنة والتي لها مناخ نادر ومتغير سنويا وربيعيا وفي فصل الخريف فهو قليل التساقط وغير منتظم فيها[1].

وتمتد المدينة من الجنوب باتجاه الشمال والشرق على منحدر طبيعي يقارب (3%) إلى (8%) نحو الكثبان الرملية، وهي محصنة تحصينا طبيعيا يتمثل في جبل شاهق في شرقها وآخر في غربها.

ونظرا للموقع الاستراتيجي المتميز لمنطقة بوسعادة والذي أكسبها طابعا خاصا قلما نجده في مناطق أخرى، فمحاذاتها لشمال الصحراء الشرقية الجزائري وقربها من منخفض شط الحضنة، واستنادا إلى سلسلة جبال الأطلس الصحراوي جعل منها عرضة لمجموعة من المؤثرات الطبيعية المختلفة سمحت بتكوين بيئة طبيعية خاصة التقت فيها خصوصية الصحراء بحرارة وجفاف مناخها وكثرة رمالها[2].

- **الحرارة:**

ويبلغ متوسط الحرارة ما بين 9° مئوية كدرجة عظمى و3.6° مئوية كدرجة صغرى خلال فصل الشتاء وهذا راجع إلى المناخ السائد فيها من جهة وإلى طبيعة موقعها الطبيعي الجغرافي الذي تتميز به المنطقة.

التساقط:

1 – Youssef Nacib, op.cit, p35.

2– العربي لقريز، المرجع السابق، ص16، عن كتب الدراسات والإنجازات في التعمير، وحدة بسكرة، المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، بوسعادة، أرشيف بلدية بوسعادة، 2005، ص03.

تتميز منطقة بوسعادة بالجفاف وقلة التساقط في معظم أيام السنة وقد يستمر ذلك إلى شهور أو حتى سنوات، تسقط أحيانا لكن سقوطها يكون غير كافي، وأحيانا أخرى تأتي فجائية وتتحول إلى أمطار طوفانية مخلفة وراءها كوارث كبيرة، مثل التي حدثت في منتصف القرن الماضي في فترات 21 سبتمبر 1945مو22 مارس 1946مو26 ماي 1957مو15جوان 1959م، فقد شهدت المدينة فيضانات خطيرة كانت سببا في انهيار المساكن المعرضة منها للسيول وأحدثت خرابا كبيرا ودمارا شمل مجالات عدة[1]، وفي الغالب يكون فصل الخريف أكثر الفصول مطرا ويقابله فصل الصيف الأكثر جفافا[2].

- **الرياح:**

تتعرض منطقة بوسعادة إلى أنواع من الرياح والتي بدورها تؤثر في المناخ وفي الغطاء النباتي وحتى في توجيه أبواب ونوافذ المساكن ومن هذه الرياح نذكر:

- البحري: وهي الرياح التي تأتي من السواحل البحرية للجزائر تكون في الغالب محملة بأمطار وبالثلوج أحيانا وهذا خلال فصل الشتاء.
- الظهراوي: وهي رياح تهب من الجهة الغربية، وهذا خلال فصل الشتاء ويكون مشبع بالرطوبة والبرودة وأحيانا بالأمطار التي ترسلها جبال الأطلس المغربي مرورا بمرتفعات الغرب الجزائري متوجهة نحو بوسعادة.

1- Youssef Nacib, op.cit, p41.

2- تقرير محطة الأرصاد الجوية ببوسعادة (معدل التساقط حسب الفصول خلال الفترة الممتدة بين (1994-2003)).

- الغربي: رياح تأتي من الغرب وما يميزها أنها تكون جافة وباردة تجلب معها بعض العواصف في فصل الصيف.
- السيروكو: وهي رياح ساخنة تهب على المناطق الاستبسية ومنها بوسعادة وتمسى وتعرف بالمنطقة بالشهيلي.
- الشرقي: رياح تهب من الجهة الشرقية وبالتحديد من منطقة جبال الأوراس حيث تتحول في الصيف إلى رياح جافة[1].

ولتفادي هذه الرياح وما قد يترتب عنها من أخطار متنوعة، أخذ السكان حركتها بالحسبان وأعطوها أولوية في تصميم عمائرهم انطلاقا من المسكن إلى الأحياء إلى الشوارع ثم المدينة بكاملها، فالرياح ظاهرة طبيعية تعتبر عائقا لراحة الإنسان ولذا كان من الضروري إيجاد حلول للتخفيف من سرعتها وكذا التخفيف من حدتها إن أمكن ذلك خاصة في اختيار موقع البناء وتضييق الشوارع وجعل النوافذ صغيرة وأحيانا يسدها إن كانت مطلة على الخارج، وجل هذه الإجراءات وغيرها إنما وضعها المعماري المحلي ليستطيع التغلب على سلبياتها المؤثرة في حياة السكان، خاصة وأن هذه الرياح تجلب معها الحرارة المرتفعة في فصل الصيف والزوابع الرملية والرياح الباردة في فصل الشتاء وقد تستمر أيام وليالي[2].

- **الوديان:**

تعتبر الأودية هي مصدر المياه التي تزود السكان بها، وبها يمارسون نشاطاتهم المختلفة خاصة الزراعة منها، وكذلك مصدر تزويد المياه الجوفية في حالة جريانها، وأهم الأودية في منطقة بوسعادة هو وادي ميطر ووادي بوسعادة هذا الأخير الذي يحمل مياه الأمطار من المنحدرات الشمالية لجبال أولاد نائل مارا ببوسعادة منتهيا بدوره إلى الشط، وسرعان ما يتوقف جريان هذه الأودية بانتهاء سقوط الأمطار وتلعب دورا كبيرا في استقرار

1- Youssef Nacib, op.cit, p36.

2- العربي لقريز، المرجع السابق، ص29.

الإنسان على ضفافها مثل منطقة الهامل التي أسست فوق هضبة مطلة على واد بوسعادة جنوب بوسعادة بـ 10 كلم، وبنيت عين ملح بالقرب من واديها المسمى بواد عين الملح، وواد شعير، وكذلك عين الريش فقد جاء قيام هذه التجمعات البشرية مرتكزا بمحاذاة الأودية نتيجة لتوفر المياه وحاجة الإنسان الضرورية للماء، وتفكيره في ابتكار طرق وأساليب لتجميع المياه ليعود إليه وقت الحاجة كالحواجز والسدود وهذا منذ حقب الزمن المختلفة[1].

- **العيون:**

كثيرة هي منابع الماء الطبيعية التي توج في منطقة بوسعادة والمناطق المجاورة لها، والتي سميت في الغالب بأسماء هذه الينابيع مثل عين الريش، وعين الملح، وعين النخلة وعين بن سالم، وعين شرقين وكذا العيوينات[2]، ولتقريب الماء أكثر من البساتين وكذا المساكن تم حفر آبار للشرب والسقي وحفرت أيضا في المناطق البعيدة أين يستقر البدو الرحل مثل منطقة عين الريش وما وجد فيها من آبار كحاسي بكارة، والحاسي القبلي.

2.2. الإطار التاريخي:

إن البعد التاريخي لمنقطة بوسعادة لا يمكن أن ينفصل تاريخيا عن المسيلة هذه الأخيرة التي عرفت تعاقب عدة حضارات منذ عصور ما قبل التاريخ إلى العصور القديمة وصولا إلى الفترة الإسلامية وأخيرا الحقبة الاستعمارية والتي تعتبر منطقة بوسعادة أحد أهم الأقاليم التي مرت بها هذه الحضارات وتركت إرثا حضاريا شاهدا على قوة تلك الحضارات ولتوضيح الأمر أكثر لابد من استعراض هذه الحقب الزمنية للوقوف على إنجازات ومدى مساهمة المنطقة في كتابة تاريخها وماضيها العريق.

1.2.2. فترة ما قبل التاريخ:

1- نفسه، ص، ص 30، 31.

2- نفسه، ص32.

سكن الإنسان المنطقة في فترة ما قبل التاريخ ونتيجة الأبحاث والدراسات التي قام بها علماء الآثار والأنثروبولوجيا والتي تؤكد في مجملها وجود حضارات قديمة تعود إلى العصر الحجري القديم، فقد عثر على صناعات حجرية من الفترة الإيبرومغربية الممتدة إلى حوالي 15000 سنة قبل الميلاد، بالإضافة إلى الرسوم الجدارية والتي تحمل صور آدمية وأخرى حيوانية ورموزا مختلفة[1].

وخاصة تلك المستحقات النباتية والتي أخذت من مناطق مختلفة كعين غراب وجبل مساعد والهامل وذراع العش[2].

بالإضافة إلى ما وجد من رسومات صخرية بمنطقة التافز والتي يغلب علها المواضيع الحيوانية ويجب التذكير أنه مع بداية القرن 18م كانت سهوب الحضنة مأهولة ببقريات تسمى من قبل الرحل بيقرا الوحش حسب ما ذكره الدكتور شو[3]حيث وصفها بقوله: «أفراد هذا النوع يختلف عن البقر المعادي، حيث أنها لها أجسام كبيرة ودائرية ورأسها مسطح كثيرا وقرونها متقاربة جدا»[4].

2.2.2. الفترة القديمة:

إن خير ما يستدل به على التواجد الروماني بمنطقة بوسعادة هو ما ذكر الشيخ الميلي في كتابه تاريخ الجزائر وهذا عند تعرضه للحد الروماني في القسم الجنوبي من التراب الجزائري في بداية القرن الثالث المسحي[5]، كان الحد الروماني مارا بجنوب أوراس وشاطئ

1- العربي لقريز، المرجع السابق، ص36، للمزيد حول الموضوع ينظر:
«Heddouche Abdekader, Le gisement épipaléolithique dEL-Onçor.Bou-saada, Algérie» Lybica, TXXXV crape, Alger, 1977, pp73, 84.

2- Youssef Nacib, op.cit, p59.

3- Ibid, p62.

4- Show Thomas, Voyage dans la régence D"Alger, ED Bouslama, Tunis, 1980, p45.

5- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، دار الكتاب العربي، 2007، ج1، ص 312.

وادي جدي[1]، ثم يصعد شمالا فيمر بوسط جبال الزاب[2]، ويقطع وادي الشعير[3]، حيث القاهرة[4] ويمر بناحية بوسعادة ويشمل على الحضنة من جهتها الغربية، ثم يذهب إلى قرب سور الغزلان جنوبا، ويمر ببوغار وتيهرت وتلمسان ولالا ومغنية، كما قد يكون للحرس الروماني نقطة حربية خلف الحدود وقد تقدموا بها بعض الجهات إلى الصحراء من أن منها ما كان على الأغواط بثلاثين ميلا[5].

فبوسعادة كانت مستعمرة رومانية قبل أن تكون مدينة، وكانت فيالق الجيش تمر بها في اتجاه الحدود الجنوبية أحيط موقعها بمدن رومانية محصنة نذكر منها مدينتي أوزي Ausia (صور الغزلان) شمالا، ودميدي Dimmidi (سعد) في الجنوب الغربي، وعلى مقربة من بوسعادة كانت تمر طرق رومانية شيدت بها بعض القلاع[6]، وقد يكون عامل وفرة المياه آنذاك هو سبب جذب الرومان للمجيء لبوسعادة وإلى ما جاورها من المناطق، فالدكتور شاو يقول: «أين كان الرومان يكتشفون منابع مائية أو وديان جارية ي أراضي خفيفة أو سبخة، كانوا يقومون بتكسية حوافها بالحجارة المصقولة ويفرشون أرضيتها بالحصى»[7].

ووجود بعض الآبار والبقايا المختلفة والتي تعود للفترة القديمة يجعلنا نستنتج أن الرومان اتخذوا منطقة بوسعادة كمنطقة عبور واستراحة، أو أقاموا بها محميات عسكرية

1- وادي جدي: نبعث أصله من جنوب مدينة أفلوا من جبال عمور، ويشير إلى ناحية الشرق مجتازا الزيبان إلى أن يصب في سبخة تعزارة في بلاد الجريد، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، 2010، ج1، ص109.

2- الزاب: هو نوميديا القديمة وقادته مدينة طبنة على بعد ثلاثة أميال جنوبي بركية وبسكرة وهو ينقسم إلى قسمين، الزاب الأعلى ويمتد جنوب قسنطينة إلى ساحل البحر إلى المغرب، والزاب الأسفل ويمتد من جنوب قسنطينة إلى سفوح جبال الأوراس، أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، 2010، ج1، ص71.

3- واد الشعير: يقع في الجنوب الشرقي لمدينة بوسعادة.

4- القاهرة: مركز روماني متقدم، آثاره مازالت ظاهرة للعيان، ببلدية محمد بوضياف (واد الشعير) أنظر: خليفة الحاج محمد، الإفادة كما علم من أخبار بوسعادة، ويليه إرشاد الحائر إلى ما علم من أحوال بوسعادة وأخبار سيدي ثامر، دراسة وتحقيق الأستاذ، محمد بسكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2014، ص66.

5- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص312.

6- خليفة الحاج محمد، المرجع السابق، ص65.

7- Shaw, op.cit, p395.

صغيرة وهذا لأجل الاتصال والإمداد والاستطلاع وبمرور الزمن طمست هذه الآثار لأسباب مختلفة[1]، تنتظر جهود علماء الآثار والمؤرخين لإعطاء حقائق تنير طريق الدارسين في هذا الموضوع.

3.2.2. الفترة الإسلامية:

انطلاقا من الموقع الاستراتيجي الذي تحتله منطقة بوسعادة، خاصة توفر الأودية والمنابع الطبيعية للمياه، ممار فرض على القوافل التجارية التي كانت تجوب شمال إفريقيا وتربط التل بالصحراء المرور بالمنطقة لتقايض أو تبيع أو تشتري ولتتزود بالماء اللازم للشرب لمواصلة الطريق[2].

شهدت منطقة بوسعادة أحداثا تاريخية كبرى أيام الفتوحات الإسلامية، فقد كانت معبرا لجيوش المسمين وهذا بقيادة الفاتح عقبة بن نافع في حملته الثانية لشمال إفريقيا، حيث لا تبعد منطقة تاهودة القريبة من منطقة سيدس عقبة حاليا إلا بمسافة لا تزيد عن 200كلم، وهو المكان الذي استشهد فيه الفاتح عقبة رفقة مع من كان معه من الفاتحين وهذا عند العودة من حملته الثانية متجها نحو القيروان[3]، ويذكر المؤرخ الحميري في كتابه روض المعطار على أن مدينة "أذنه" أو "أربة" والتي تقع قرب المسيلة وطبنة قد مر بها عقبة بن نافع في رحلته لأجل الفتح، كما ذكرها الحميري في قوله: «...وبالزاب من أرض إفريقية مدينة اسمها أذنه أيضا على مقربة من المسيلة بينهما إثنا عشر ميلا وبينهما مدينة طبنة مرحلتان، وأذنه هذه أضربها، علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي سنة أربعة وعشرين وثلاثمائة، وهي كثيرة الأنهار والعيون العذبة، وهي مدينة رومية قديمة، وكان حولها ثلاثمائة

1- النذير قوادرية، المرجع السابق، ص46.

2- نفسه، ص48.

3- العربي لقريز، المرجع السابق، ص48، نقلا عن الحميري، الروض المعطار، ص20، للاستزادة ينظر: ابن الأثير علي، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1987، ص451.

وستون قرية للروم كلها عامرة، وهي كانت مملكة الروم بالزاب...»[1]، وما ذكره الحميري أن أرض إفريقية كانت عامرة بمدنها قبل وصول الفتح الإسلامي، ويرجع ذلك إلى ما تزخر به أراضيها من خيرات متنوعة جلعت من يصل إليها يستقر بها لتوفر عوامل الاستقرار وشروط الحياة.

وفي سنة 93هـ/713م فتح المسلمون الأندلس على يد القائدين العظيمين القائد موسى بن نصير والقائد طارق بن زياد، وقد ارتحلت قبيلة بني برزال التي كانت تسكن بوسعادة إلى الأندلس فأقامت بها، وظلت بوسعادة من غير بنيان يذكر برهة من الزمن، وإنما هي عبارة عن سوق ومورد للقاطنين حولها، وفي سنة 184هـ/801م تأسست الدولة الأغلبية وقادة ملكها الزاب، وبوسعادة بلدة من بلدان الزاب ففي سنة 444هـ/1053م كانت هجرة الهلاليين الذين جاؤوا نازحون من جزيرة العرب إلى صعيد مصر ثم إلى برقة ثم إلى إفريقية، وانتشروا في القطر الجزائري، حيث أن أغلبهم نزلوا بإفريقية تونس، والجريد والزاب والحضنة وبوسعادة حتى وصلوا إلى جبل العمور، وبعضهم نزل بالتلول بنواحي منطقة قسنطينة وعنابة وقلعة بني حماد وسوق حمزة والبعض الآخر وصل إلى المغرب الأقصى[2].

وبعد هذا الاجتياح الهلالي للمنطقة ظلت منطقة بوسعادة دوما تلعب نفس الدور الاستراتيجي كملتقى طرق ومجالا هاما للقبائل البدو الرحل الذين كانوا ينتقلون في المنطقة، خاصة وأن الحماديين تمكنوا من مداراة الهلاليين من خلال التحالف مع بعض قبائلهم ضد أعدائهم مما تسبب في خراب ودمار المنطقة، وبما أن منطقة بوسعادة هي بوابة الصحراء من المدخل الجنوبي للحضنة لابد وأنها قد تفاعلت واحتكت مع الدول الإسلامية التي قامت في شمال إفريقيا حسب ما تقتضيه الأحوال والظروف السائدة وكذا مصلحتها الخاصة[3].

1- الحميري محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص20.
2- خليفة الحاج مهدي بن الزروق، الإفادة بما علم من أخبار بوسعادة، المرجع السابق، ص، ص 137، 138.
3- النذير قوادرية، المرجع السابق، ص49.

3.2. تأسيس مدينة بوسعادة وأصل تسميتها:

لازال تاريخ تأسيس مدينة بوسعادة وأصل تسميتها يثير الكثير من الأسئلة خاصة في ظل عدم وجود أدلة وشواهد أثرية وتاريخية توثق تاريخ التأسيس وتؤكد أصل التسمية إلا ما وصل إلينا من كتابات الضباط الفرنسيين إبان الحملة الفرنسية على الجزائر وما سجلوه عن مدينة بوسعادة، وكتابات بعض مؤرخي المنطقة في فترات متأخرة، حيث يتفق هؤلاء على أن تاريخ تأسيس مدينة بوسعادة يعود إلى نهاية القرن الرابع عشر ميلادي، وهذا حين وصول الولي الصالح سيدي سليمان بن ربيعة إلى هذه المدينة، ولحق به الشيخ سيدي عامر الذي أصبح صهرا للشيخ سيدي سليمان بعدما زوجه ابنته وأصبح يدرس معه في زاويته بالجهة الشمالية من بوسعادة "العوينة" ولما زاد عدد الطلبة وممن يريدون الشيخ فكر مع صهره سيدي تامر بأن يبني مسجدا يكون مركز ومنارة للعلم فاختطوا بجوار عين ما، حيث يعتبر المسجد هو النواة الأولى لتأسيس المدينة، وتوالت المرافق الأخرى فيما بعد خاصة المساكن والسوق[1].

وفي أصل التسمية فهناك الكثير من الروايات الشفوية التي تتحدث عن أصل التسمية أهمها الرواية القائلة أن الشيخ سيدي سليمان لما فرغ من بناء المسجد وأرد معاونوه تسمية المدينة الجديدة اختاروا ثم تفاوضوا في اختيار اسم يضعونه لهذا البلد، فاتفق رأيهم أن ينصتوا لأول فأل يجعلونه اسما، فكان أول ناطق رجل من المارين ينادي على ابنته وأسمها "سعادة" فقالوا نسمي البلد أبو سعادة تفاؤلا بسعادة أهلها[2].

وما يجعلنا نقف عند إشكالية تاريخية وهي لماذا ذكرت المسيلة والقلعة وطبنة ومقرة في كتب الرحالة والجغرافيين ولم تذكر بوسعادة رغم أنها إقليم مهم من الأقاليم المهمة التابعة للحضنة حتى أن الرحالة المغربي الشهير حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي والذي ذكر

1- العربي لقريز، المرجع السابق، ص19.

2- خليفة الحاج محمد بن الزروق، المرجع السابق، ص89.

المسيلة ولم يذكر مدينة بوسعادة في قوله: «مسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية في كتابه وصف إفريقيا»[1].

ومنه فقد نالت مدينة بوسعادة شهرة عظيمة خصوصا في الأواسط الأوروبية، وهذا لتوارد السواح عليها من كل قطر، فيجدونها مركزا صحراويا بديعا في وسط الهضاب العليا الجزائرية له واحة من أجل وأجمل واحات الجزائر، وتحف المدينة من أطرافها الثلاث واحة بديعة على شكل محفوفة بالنخيل الباسقة، والمياه الجارية ويقام فيها حفلة سنوية في شهر أفريل تقع فيها ألعاب الخيل والمسابقة والفروسية العربية فيجد السواح راحتهم في المجيء إليها، وفيها استقر بعض العلماء والمشاهير وتم دفنهم في أرضها منهم العلامة والمؤرخ الكبير الأمير بن السيد الهاشمي[2] نجل الأمير عبد القادر الجزائري الذي اختار بوسعادة مسكنا[3] له بقية عمره ودفن قرب ضريح الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم.

ومنهم العالم الشهير والرسام القدير إيتيان دينيه[4] الفرنساوي، فقد اتخذه مسكنا وألف بها كتبه البديعة في الإسلام والمسلمين ورسم بها لوحاته الصحراوية الخالدة، وأعلن إسلامه

1- حسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص51.

2 - الأمير الهاشمي بن عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري، انتقل من الشام واستقر بمدينة بوسعادة سنة 1894م مع عائلته المكونة من ولديه خالد ومصطفى وابنته الصغيرة أمينة وزوجته السورية لالة عائشة، وأمها لالة فايزة، توفي رحمه الله سنة 1317هـ/1900م، ودفن ببوسعادة.

3- المسكن الذي سكنه الأمير الهاشمي يشكوا الإهمال والتفريط ويحتاج إلى الصيانة والترميم والتصنيف ليصبح معلم أثري، حيث سكنه أحد المواطنين وحوله كحضيرة لأنواع الحيوانات والطيور شوهد هذا في زيارة ميدانية للموقع يوم 2016/03/27.

4- المستشرق الفرنسي ألفونس إتيان دينيه المعروف بيننا بـ (ناصر الدين ديني) رسام وفنان عالمي كبير اشتهر بلوحاته الفنية الساحرة التي خلدت أهم أعماله الرابعة، اعتنق الإسلام بعد دراسة وتأمل سنة 1913م، وترك عدة أعمال فنية في مجال الرسم كما له مجموعة من المؤلفات والبحوث، وضع فيها عصارة أفكاره وفهمه للإسلام نذكر منها كتاب الحج إلى بيت الله الحرام، وحياة محمد رسول الله، والشرق كما يراه الغرب، وحياة الصحراء...الخ، ينظر: خليفة الحاج، الإفادة بما علم من أخبار بوسعادة، المرجع السابق، ص113.

بها في آخر عمره، وأوصى بدفنه في مقابر المسلمين ببوسعادة في رسالة أرسلها إلى صديقه سليمان بن إبراهيم[1] (انظر الصورة رقم 06).

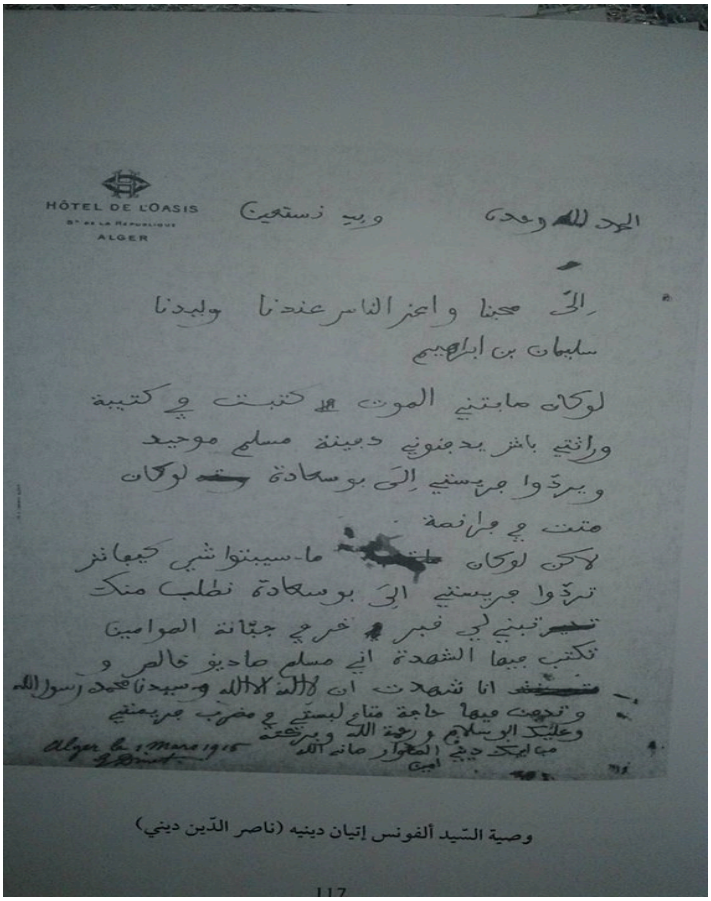

وصية السّيد ألفونس إتيان دينيه (ناصر الدّين ديني)

الصورة رقم (06): رسالة ألفونس إيتيان دينيه إلى صديقه إبراهيم بن سليمان (عن خليفة الحاج محمد)

ومما خلد هذه المدينة وزارها تشريفا هو نسبتها وتعلقها بالزاوية الهاملية[2] الشهيرة بنشر العلم والإرشاد والتكفل بالمئات من الأرامل والأيتام والمعوزين والطلبة الذين يزاولون

1- المرجع السابق نفسه، ص، ص 109، 110.

2- الزاوية أسسها محمد بن أبي القاسم سنة 1862م بقرية الهامل الواقعة في الجنوب الشرقي لمدينة بوسعادة على بعد 15 كلم.

حفظ القرآن الشريف ويتلقون جميع العلوم الدينية، تخرج منها دفعات كثيرة من حفظة القرآن الكريم وهم اليوم شيوخ وأئمة لمساجد عبر مناطق مختلفة من الوطن[1].

1- خليفة الحاج، المرجع السابق، ص116.

3. الأغواط:

1.3. الإطار الجغرافي:

الأغواط هي إحدى ولايات الجزائر، تبعد عن مقر الجزائر العاصمة بحوالي 448 كلم جنوبا (خريطة 07)، حيث يحدها من الشمال ولاية تيارت ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية البيض ومن الشرق والشمال الشرقي ولاية الجلفة، ومن الجنوب ولاية غرداية[1] (انظر الشكل رقم 04)، مساحتها تقدر بـ 25057 كلم^2، أنشأت إداريا بعد انفصالها عن ولاية ورقلة سنة 1974[2]، أما موقعها الفلكي فهي تقع بين دوائر العرض 33° و41° شمالا، وخط طول 2° و53° شرقا، وهي تقع على الطريق الوطني رقم 01 الذي يربط العاصمة بولايات الجنوب، تبعد عن ورقلة بـ 390 كلم وعن غرداية بـ 190 كلم، والجلفة بـ 110كلم، كما يلغ علوها على سطح البحر بـ 787م^3.

1- علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، 2006، ص67.

2- بشير طلحة، البنى التقليدية وعلاقتها بالتقسيم الاجتماعي للمجال الحضري "دراسة حالة مدينة الأغواط"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006، ص87.

3- نادية محمودي، التحول العمراني وآفاق التوسع لمدينة الأغواط، أشغال الملتقى الدولي، ص142.

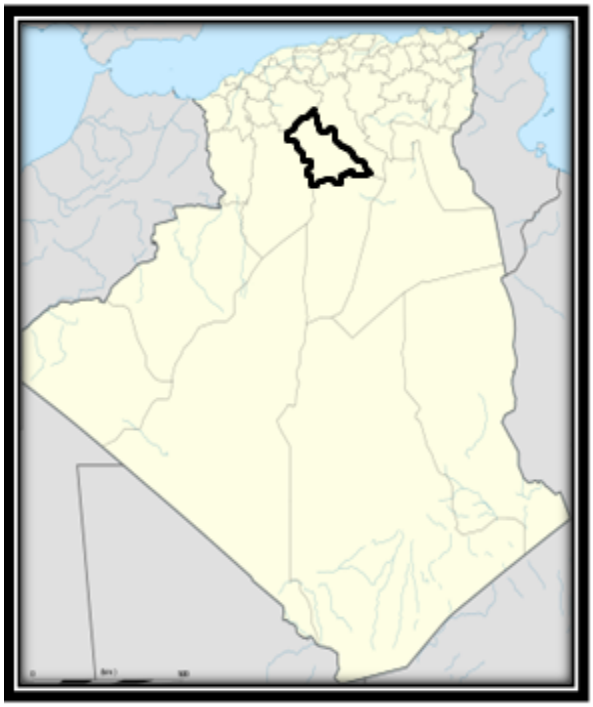

الشكل رقم (04): حدود ولاية الأغواط الخريطة رقم (07): موقع ولاية الأغواط

ويبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات 2008م، 455602 نسمة بكثافة سكانية تقدر بـ 18.18 نسمة كلم^2.

- **التضاريس:**

تتميز المنطقة بطابعها السهبي الرعوي والفلاحي والجبلي، وتقع ولاية الأغواط ما بين التل والصحراء عند سفوح سلسلة الأطلس الصحراوي بشقيها جبال عمور غرب الولاية وجبال أولاد نايل شرها وهذا ما يجعل منطقة الأغواط مقسمة إلى ثلاث مناطق رئيسية:

- **الأطلس الصحراوي:**

يقع في الشمال الغربي من الولاية، وبالتحديد شمال جبال عمور والتي يتراوح علوها ما بين 1000و1700م عن سطح البحر، وهي بدورها مقسمة إلى منطقتين فرعيتين هما:

- منطقة الهضاب العليا في الشمال.

- منطقة جبلية جنوبية حيث تضم كل من دائرة قلقة سيدي سعد، دائرة آفلو، دائرة بريدة، دائرة الغشية، ودائرة واد مرة، وأهم ما يميز هذه المنطقة كونها منبع لأهم أودية الجزائر، وهما وادي الشلف من خلال رافده واد الطويل ووادي جدي من خلال رافده وادي مزي، وكذلك وجود غابات السد الأخضر.

- **السهوب:**

وتقع في الوسط تتميز بعلو ما بين 700و1000م حيث تعرف بكونها مناطق رعية أنها تحتوي على العديد من النباتات السهبية والأعشاب، فهذه المنطقة تضم معظم الغطاء النباتي للولاية، عدا غابات السد الأخضر في المنطقة الجبلية، حث تضم كل من دائرة سيدي مخلوف، ودائرة الأغواط، وكذا الجزء الشمالي من دائرة عين ماضي.

- **الصحراء:**

وهي الجزء الجنوبي من الولاية وتضم ما يعرف بالهضبة الصحراوية، وتشمل كل من دائرة حاسي الرمل، جنوب دائرة قصر الحيران وجنوب دائرة عين ماضي، وما يميزها هو قلة غطائها النباتي والمنحصر خاصة نبات الحرمل، وبعض النباتات الشوكية كالسدور والبطم والفسدق الأطلسي[1].

- **المناخ:**

قاري ويتميز بالحرارة صيفا والبروة شتاء مع تساقط قوي للجليد خلال شهر ديسمبر ويناير، وتساقط الأمطار في هذه المنطقة بصفة غير منتظمة تبلغ نسبتها الوسطى (180 ملم) سنويا مع حدوث جفاف حاد في بعض السنوات، وتهطل الثلوج ببعض المناطق التي يبلغ علوها 800 متر عن سطح البحر وهذا في جبال الأطلس الصحراوي (جبال العمور وجبال أولاد نايل).

1- الأغواط (الطبيعة والجغرافيا)، أطلع عليه من موقع: http://ar.wikipedia.org، 2018/01/04، على الساعة 15.30.

تهب على المدينة بين الفينة والأخرى بعض الزوابع الرميلة تكثر في فصل وفي سنوات الجفاف مما أدى إلى تكوين بعض الكثبان الرملية خارجها، خاصة من الجهة الشمالية، وقد أزيلت في السنوات الأخيرة وأقيمت مكانها منشئات عمرانية وإدارية، ولكن يبدو أنها أخذت في التشكيل من جديد، وقد يكون السبب في ذلك هو حالة الجو غير المستقرة وتداخل فصول السنة فيما بينها[1].

أما الثروة المائية، فالملاحظ أن منطقة الأغواط وما تمر به من جفاف حاد يدوم أحيانا لسنوات، وتساقط الأمطار بصفة غير منتظمة جعل المنطقة تعتمد في احتياجاتها من المياه الصالحة للشرب بشكل أساسي على المياه الجوفية المتوفرة في المنطقة بكثرة خاصة مع وجود أكبر سد جوفي في إفريقيا بمنطقة تاجمونت وهو سد من مخلفات المستعمر في المنطقة، وبها وادي مزي الذي قسم الأغواط إلى شطرين وهو يجري وسطها وهو مشهور في الناحية وله فوائد كثيرة على المنطقة وسبب ازدهارها[2].

- **الغطاء النباتي:**

يخضع الغطاء النباتي في أي منطقة إلى المناخ السائد إلى نوعية التربة، وبما أن منطقة الأغواط تقع في المنطقة السهبية فهي تتمتع بغطاء نباتي أساسه الأعشاب وجلها ذات خصائص طبية ودوائية وتستعمل في الجانب البنائي نذكر منها: الحلفاء، **والدرسين**، النساق، والرتم والكداد، الشيخ، الحدج، السرد، حطيبت الغزال، القطف، الطرفاء، الفقاع، الترفاس، النخيل، الشريط، الزفزاف، الخبير، الحرمل، الفيجل، الحمرية، القرطوفة، الدباغة، الزعتر، بالإضافة إلى أنواع أخرى تنمو في هذه المنطقة.

1- ولاية الأغواط، المعرفة، من موقع: http://www.amarefaarg، أطلع عليه بتاريخ 2018/01/04، على الساعة 16.30.

2- ويكبيديا الموسوعة الحرة: http://ar.wikipedia.arg.

- **تربية الحيوانات:**

تعيش في منطقة الأغواط العديد من الحيوانات والتي تتأقلم مع طبيعة المنطقة فما يميزها هو وفرة الأغنام والماعز والبقر والإبل والخيول وكذا البغال والحمير، وتوجد مجموعة من السلالات من الأغنام ذات الجودة، كأولاد جلال، الحمراء، الرامبي، وكذا الشلالة الأوروبية قرناشة) والسلالة الإفريقية (السودانية)، وهي متوفرة بأشكال وألوان متنوعة ساهم في ازدهار حرفة وصناعة النسيج وتنوع منتوجاتها[1] ومنطقة الأغواط من المناطق التي تكلم عنها الأستاذ أحمد توفيق المدني في مؤلفه "كتاب الجزائر" أن "الأغواط **كنائنة** في أرض الصحراء، وهي من أبدع مدن الجنوب، واقعة على وادي مزي ترتفع 792م عن البحر، وبها سدود محكمة عربية على الوادي لتوزيع المياه في الواحة البديعة التي تشمل نحو 32 ألف نخلة"[2].

2.3. الإطار التاريخي:

1.2.3. فترة ما قبل التاريخ:

لقد تعاقبت على منطقة الأغواط حضارات مختلفة عبر العصور انطلاقا من فترة ما قبل التاريخ فمنطقة الأغواط تنمي لسلسلة جبال الأطلس الصحراوي التي تزخر بمخلفات أثرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث أن المنطقة عرفت استقرارا بشريا وحركة فنية راقية منذ وقت مبكر يتمثل في البقايا من الصناعات الحجرية العائدة إلى العصر الحجري الحديث (Néolithique)، وفيما تركه من رسومات على جدران المغارات التي اتخذها الإنسان كملجأ يأوي إليها[3].

1- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص194.

2- الحاج بن الدين، رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، ص89.

3- علي حملاوي، نماذج من منطقة الأغواط، ص78.

2.2.3. الفترة القديمة:

يذكر الأغواطي في رحلته أن المنطقة توجد بها في الجهة الشرقية منها آثار بلدة قديمة كان أمراؤها مسيحيين ومازالت كثير من النقوش في هذه الآثار إلى اليوم[1] وقد يكون استقرار الرومان بالمنطقة غير ثابت لعدم وجود أدلة مادية مؤكدة كالقلاع مثلا غير أن بعض الشواهد التي وجدت بالمنطقة أو بالقرب منها يدل على أنهم مروا عليها مثلما تؤكده الكتابة التذكارية التي تم العثور عليها بأقنب[2]، كما تم العثور في سنة 1857م وبالقرب من حصن موردند (Marand) على قطعة برونزية مؤرخة في ما بين 308م –312م، وعلى الأرجح أن الرومان تجولوا في المنطقة بغرض الوصول إلى أطماعهم، وإلى إخضاع من بقى يكن العداء لهم، وإلى السيطرة على الطرق التجارية لما فيها من فائدة عليهم[3].

وذكرها الأستاذ أحمد توفيق المدني في كتابه "جغرافية القطر الجزائري" على بعد 30 كلم من الأغواط توجد خرائب مدينة "جميلة" الأثرية وهي من أحسن خرائب الاستعمار الروماني..."، وفي قوله هذا إشهاد على استقرار الرومان في المنطقة وإنشائهم لعمائر سكنوها وعمروها كما يخدم مصالحهم[4].

1- الحاج بن الدين، المصدر السابق، ص87.

2- أقنب: مدينة تقع بين آفلو ومدينة البيض وما جاء في نص الكتابة التذكارية: هو أن مامية عسكرية من الفرقة الثالثة قد مرت بالقرب من أولاد سيدي ناصر حاليا سنة 174م، وذلك في عهد الإمبراطور مارك أوريلي (Marc Aurele) (161م، 180م) وهذه النقشية موجودة في الحديقة العمومية لمدينة آفلو نقلا عن: علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، ص79.

3- الحاج بن الدين، المرجع السابق، ص79.

4- أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، بدون تاريخ، بدون طبعة، ص 85.

3.2.3. الفترة الإسلامية:

يذكر الأستاذ الباحث علي حملاوي –رحمة الله عليه–أن عقبة بن نافع أثناء عودته من المغرب للمرة الثانية سنة (62–64هـ/681–683م) توجه إلى المغرب الأوسط ليفتح تيهرت وبعض المناطق، واصل الفتح بعده موسى بن نصير (86–95هـ/705–714م) والذي وصل بالفتح إلى أرض السودان بفل ما تمتع به من حكمة وحنكة وسياسة رشيدة وما هو جدير بالذكر أن المنطقة كانت آهلة بالسكان وقت ذاك خاصة وأنه يوجد بها فروع من قبيلة مغراوة الزناتية التي اعتنقت الإسلام بعد الفتح وأيدته وناصرته بكل صدق وإخلاص مثل سائر القبائل البربية بالمغرب، فكانوا عدة العرب في رحلتهم وطليعة جندهم وأعانوهم في دحض شوكة الرومان[1].

ورغم أن هناك من يعتقد أن بني هلال من ثبت الإسلام في المنطقة، ولكن من يقول بذلك يهمل دور الرستميين في المنطقة خاصة بعد سيطرتهم على الطرق التجارية الرابطة بين شمال إفريقيا وجنوبها سيطرة تامة، حيث اتخذوا من الطرق التجارية الصحراوية مسلكا لهم وكانت تمر بالأغواط مما يد على أن الفتح وصل إلى المنطقة قبل بني هلال، بالإضافة إلى وجود بعض المواقع الأثرية تحمل أسماء لها صلة مباشرة بالإباضيين منها قصر للماية الواقع قرب قصر تاجرونة، ويرجع أنه اسمه اشتق من قبيلة لماية البترية والتي لجأ إليها عبد الرحمن بن رستم قبل تأسيس عاصمته تيهرت، وكاف المزابي وقرية غرداية القديمة بالقرب من تاويلة[2]، ووصفها الأغواطي في رحلته "بأنها بلدة كبيرة، وهي محاطة بسور وحولها تحصيناتها ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد ولغة سكانها هي العربية وهم يرتدون الملابس

1– علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، ص، ص81، 82.

2– علي حملاوي، المرجع السابق، ص، ص83، 84.

الصوفية ولا تخرج فيها النساء المحترمات من بيوتهن أبدا"[1] وجملة هذه الصفات التي ذكرها عن الأغواط هي صفات اتسمت بها المدن الإسلامية، الكوفة، القسطاط وغيرها.

4.2.3. الفترة العثمانية:

يذكر الأستاذ أحمد توفيق المدني أن الأغواط كانت تدفع الإتاوات للجزائر أيام حكم الأتراك[2]، كما يذكر الأستاذ المرحوم علي حملاوي أن الأغواط وما فيها من قصور كانت وبعد تقسيم المغرب الأوسط إلى بابليكات تتبع تارة إلى بايلك التيطري وتارة إلى بايلك الغرب بورهان، وأنه هذه التبعية كانت بالاسم فقد، بل كان يشرف على رئاستها سادة وشيوخ وفق ما تمليه عليهم أعرافهم وعاداتهم ويتوارثون حكمها[3].

5.2.3. الفترة الاستعمارية:

كما هو معلوم أن الاستعمار الفرنسي عند دخوله إلى الجزائر كانت نيته الاستيلاء على كل التراب الجزائري وجعل من الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وهذا لما تزخر به الأرض الجزائرية من ثروات وخيرات في جميع المجالات، خاصة الثروات الطبيعية والتي يزخر بها الجنوب الجزائري، ولهذا فمنطقة الأغواط لم تسلم من بطش ومخططات القادة الفرنسيون أمثال الجنرال ماراي مونج سنة 1844م الذي استولى على المنطقة بدون مقاومة تذكر، ولكن سرعان ما ثار الأهالي في وجه السلطة الفرنسية والتي تصدى لها الجنرال بليسي يوم 04 ديسمبر 1852م فكانت المواجهة عنيفة بين الطرفين انتهت بتحطيم الأغواط ومعاقبتها بكل صراحة[4].

1- الأغواطي، المصدر السابق، ص87.

2- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص194.

3- علي حملاوي، نماذج من قصور الأغواط، ص، ص86، 87.

4- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص194.

رغم انتشار الثقافة الفرنسية بها لم يفقدها ذلك طابعها العربي الإسلامي ولم تزل غيرة أهلها على العروبة والإسلام متقدة، ولم يزل الكرم العربي من أبرز شيمتهم ومازال الأهالي بها يتكلمون العربية في محادثاتهم وفي حوارهم، رغم ما بذله الاستعمار من جهد وبمختلف الأساليب العلمية محو ما بالأغواط من أثر عربي إسلامي عميق إلا أنه لم يفلح من إزالة ومحو مقومات هذه المنطقة الإسلامية[1].

3.3. أصل التسمية:

تضاربت الأقوال حول تسمية منطقة الأغواط بهذا الاسم، فهناك من يذكر أن اسم الأغواط الذي ترجم باللغة الفرنسية إلى "Laaghouat"، والذي يعني الحدائق والآتي من الاسم البربري الأمازيغي "غوغتي" أو "زروتي" الذي يعني حقول أشجار الفواكه، ما يؤيد هذا وجود حقول بها أشجار المشمش، الخوخ، البرتقال، الكروم، وغيرها مغروس ليس فقط في الحقول بل في أفنية المنازل على شكل تيندا "Tinda" وهي عبارة عن أعمدة متصالبة مسندة بدعامة من خشب.

أما العلامة ابن خلدون فيذهب إلى القول أن تسمية الأغواط بهذا الاسم يرجع إلى أحد القبائل البربرية "بني الأغواط" والتي كانت تقطن المنطقة المنحدرة من قبيلة مغراوة أحد فروع القبيلة البربرية "زناتة" كما ورد في قوله: "وقبيلة الأغواط موجودة في نواحي البيض ويقال لهم كسال "القبيلة البربرية لقواط" سكنت المدينة وناحية البيض في رأيه الأغواط سمي باسم سكانها ونزعم أنه افترض ذلك أو أنه اعتمد على الروايات الشفهية ثم أنه في البداية كتبها الأغواط"[2].

1- العوامري، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص، ص 39، 40.

2الزبير بن عون، أصل السكان والمعالم الأثرية بولاية الأغواط، مقال للأستاذ منشور في موقع www.magalaty.com تاريخ الاطلاع 2018/01/03 على الساعة 17.35 ينظر ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986، ص100.

وهناك من يرجع تسمية الأغواط بذلك هو تميزها بوجود البساتين الخضراء التي تحيط بالقصور والمساكن[1]، وهذا ما ذهب إليه الكثير من الكتاب الفرنسيين مثل أوديت بيتي وكذا سكان المنطقة الذين يقولون أن الأغواط هي جمع لكلمة غوط بالعربية، ويعني المنزل المحا بالبساتين ومجموع "غوط" هو أغواط وبإضافة "ال" التعريف تعطينا الأغواط أو الغوط وهو أصل التسمية لهذه المنطقة[2].

بينما يرجع الكاتب الفرنسي "جون ميليا" "Gean Melia" في كتابه الأغواط والمنازل المحاطة بالبساتين "La ghauat et les maisons en touresse de gardins" سنة 1923م، بأن الأغواط اسمها من موقعها المخضر حيث أن الغوطة هي المكان المنبسط الكثير الاخضرار والمياه، وهذا مثل غوطة دمشق بسوريا، يعلل ذلك بوجود العديد من الدور المحاطة بالبساتين التي لا يزال بعضها إلى اليوم مثل الزيارة، الصوادق، والواحات، وجميع القصور المشيدة في الأغواط تحيط بها البساتين والأشجار وهذا لاختيار الموقع المناسب الذي يجمع شروط الاستقرار وظروف الحياة مثل ما ذكره الأغواطي في رحلته حيث يصف الأغواط فيقول: "...كما أنه ليس لهذه البلدة مكان مخصص للسوق، ولا حمام، أما العملة المتداولة فيها فيه عملة الجزائر وفاس، والتجارة فيها رائجة، ولا تقترب العقارب ولا الطاعون منها لأنها مبنية في موقع مفضل، وهذه الناحية كثيرة الجبال، وهي الجهة الشمالية منها جبل صخري..."[3]، فالأغواط في كتاباته هذه لم يتطرق إلى أصل التسمية وإنما اكتفى بذكر وإعطاء وصف للمنطقة وللموقع الاستراتيجي الذي بنيت فيه، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ أحمد توفيق المدني في كتابه جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، أنها تشتهر

1- هذا ما وقفنا عليه خلال زيارتنا الميدانية مثل قصر تاويلة وما يحيط بها من بساتين وأشجار مثمرة بقلات متنوعة، خاصة المشمش والتين... .

2- PETIT (O), Essai d'histoire social sur la ville de ghauate, collège de paris, 1976, p20.

3- الحاج ابن الدين، رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص88.

بصناعة الصوف والحرير المتقن، وهي بلاد جد وعمل وإقبال على العلم ونهضة قوية يرجى منها خير كثير، هذا عن ما تميزت به ولكن أصل التسمية لم يرد في ما كتبه عنها.[1]

ومنه فرغم تضارب الآراء والأقوال التي تناولت أصل التسمية فإننا نلاحظ أن أغلبها يرجع أصل التسمية إلى طبيعة الموقع الذي بنيت فيه وما يوجد فيه من مياه وأشجار وواحات من النخيل، ويبقى هذا الرأي السائد إلى حين تأكيده أو نفيه من خلال ما يتم الوصول إليه من المصادر التي تتطرق إلى أصل التسمية.

1- أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ص104.

إن ما يتميز به المسكن من خصائص ومميزات كثيرة ومتنوعة بين براعة ودرجة الإبداع عند هذا الإنسان الذي رغم الإمكانات البسيطة والوسائل المتاحة لديه، لكنه طوع الطبيعة وصمم مسكنا له يأويه من الظروف المختلفة والعوامل المتغيرة ويرتاح فيه، وللوقوف عند هذه الخصائص والمميزات لزم علينا القيام بزيارة ميدانية عند مجموعة من النماذج لهذه المساكن في كل من منطقة وادي سوف وبوسعادة والأغواط.

1. مساكن منطقة وادي سوف:

تشتهر منطقة وادي سوف بأنها مدينة ألف قبة وقبة (الصورة رقم 07)، وفي هذا إشارة صريحة على نظام التسقيف الذي يعتمد أساسا على جعل سقف المنازل قباب يعود إلى طبيعة المناخ السائد في هذه المنطقة والذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة صيفا مع هبوب رياح قوية على شكل زوابع رملية مما جعل الإنسان يتكيف مع هذه البيئة القاسية محاولا التقليل من قوة أشعة الشمس عند وصولها إلى السقف المقبب حيث تتوزع أشعة الشمس عليه مما يجعل الجو ملائما داخل المسكن وغرفه وكذلك يعمل هذا النوع من التسقيف على كسر هذه الزوابع الرملية وعدم تجمع الرمال على سطح المسكن.

- **المسكن الأول:** (انظر المخطط رقم 01)

يقع هذا المسكن في الجهة الشمالية الغربية من المدينة بالقرب من مخرج المدينة، وقد بني ليكون قريبا من البساتين، ويتكون من غرفة صغيرة مربعة الشكل مقاساتها 2.50م × و2م لها باب يؤدي إلى فناء المسكن سقفها مقبب، وبجانبها سباط يطل على الفناء بقوسين دائريين يربط بينهما دعامة وسقف هذا الساباط مقبب، وفي إحدى زواياه وضع موقد تعلوه مدخنة، وللمسكن فناء مربع الشكل بمقاسات 07 متر طولا و 6.50 م عرضا، وفي إحدى أركان هذا الفناء بني مرحاض لقضاء الحاجة، وما يلاحظ أن الغرفة ليس بها بابا فقد يكون استعمل إزارا فقط، وكسيت الجدران الداخلية دون الخارجية، ماعدا قبة الغرفة فقد كسيت بمادة الجص لجعل سطحها أملس من الداخل ولتلطيف الجو فخاصية الجص تجعل الجو باردا صيفا ودافئا في الشتاء، مما يجعل السكان يعتمدون عليه كثيرا في تلبيس جدران مساكنهم من الداخل عكس الخارج فهم يتركون الجدران غير مستوية خاصة تلك التي بنيت بحجارة وردة الرمال، وهذا الدور وظيفي يتلاءم ومناخ المنطقة فهو يوفر الظل الجزئي مما يساعد في تلطيف الجو داخل المسكن تكسير هذه الأشعة الشمسية الحارة، أما قباب الساباط اللتين تركهما دون تلبيس، وفي الغرفة جعل عتبة صغيرة تمنع دخول الرمال أو الحشرات السامة، وحالة المسكن سيئة بفعل عوامل التخريب الطبيعية أو البشرية، أما مواد البناء المستعملة فهي مواد محلية، ولأنه مسكن فيه مرافق كثيرة ومن خلال الصورة السابقة نلاحظ أن هناك جزء منه مهدم وقد يكون غرفة خاصة بالضيوف، وغرفة أخرى تقع في الجانب وهي صغيرة قد تكون مرحاض خاصة بأهل المسكن، وبما أن المسكن يقع لوحده فقد يلجأ الرجال إلى رمي فضلاتهم في الخلاء. والمسكن في تخطيطه بسيط لا يرى عليه أي تعقيد ويرجع ذلك إلى بساطة الحياة التي بعثها الإنسان في هذه المنطقة، ولأنه كان يرتكز على الجانب الوظيفي خاصة وإن كان يمتلك مسكنين أحدهما للحياة ويكون دوما في المناطق الصحراوية أو شبه

الصحراوية، ولمسكن الآخر يكون في المناطق الريفية أين يزاول حرفته وأعماله وفي الغالب تكون حرفة الرعي (إبل، ماعز) وأعمال الفلاحة والمتمثلة أساسا في غراسة النخيل، فكان لا يهتم أكثر بالناحية الفنية والجمالية لهذا المسكن بل يركز على وظيفته مراعيا في ذلك اتجاه الرياح والقرب من الحقل وأحيانا يكون في مدخل الحقل ليرى كل زائر له، وما يميز هذا المسكن أنه قليل الارتفاع حتى لا تسبب الرياح القوية والزوابع الرملية في تهديمه.

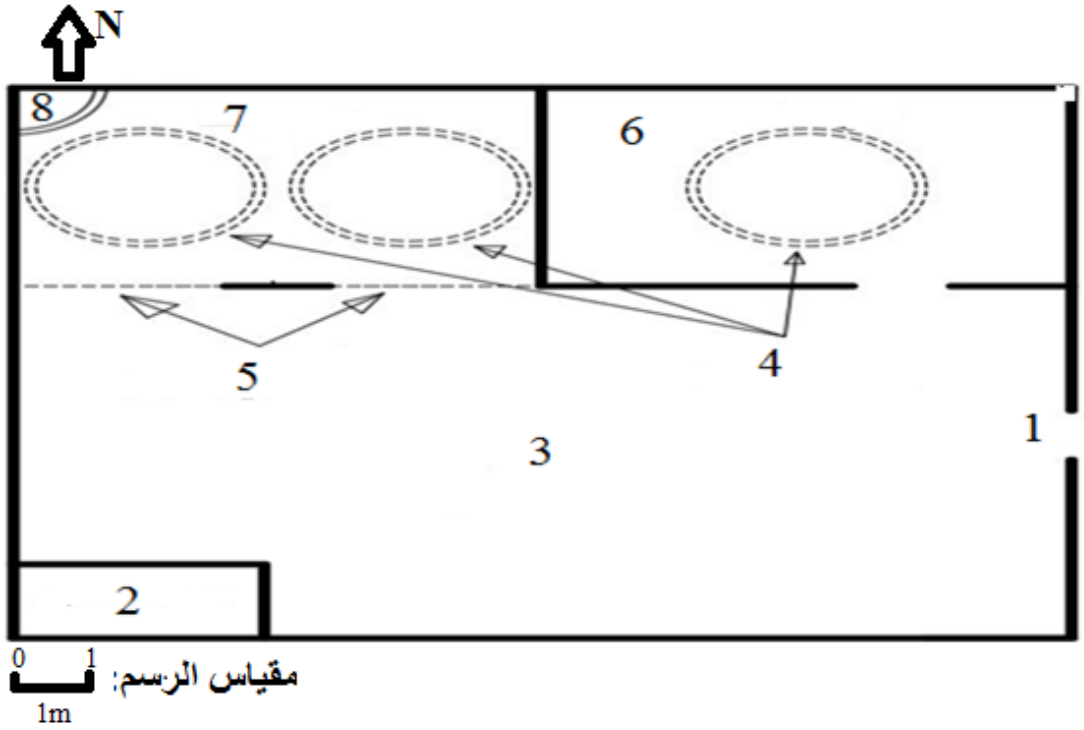

مفتاح الرسم:

1: مدخل	4: قباب	7: سباط
2: مرحاض	5: أقواس	8: مدخنة
3: فناء	6: غرفة	

مخطط المسكن رقم (01) : منطقة وادي سوف

- **المسكن الثاني:** (انظر المخطط رقم 02) (الصورة رقم 08)

يقع هذا المسكن في دائرة جامعة وهو مسكن مهجور مدخله يوصل لسقيفة ذات شكل منكسر، ويتكون من طابق أرضي به ثلاث غرف متوسطة الحجم ومخزن ومرحاض وسلم يوصل إلى السطح وفناء، والشكل العام للمسكن مستطيل وما يميز هذا المسكن أن سقفه مسطح، وقد اعتمد في بنائه على مواد محلية من طوب وأخشاب النخيل، وعلى الأرجح أن المرحاض تكون تحت السلم ولها فتحة في الجدار الخارجي للمسكن ليتم إفراغها وما يميز غرف المسكن أنها تحتوي على مواقد، وقد يكون وجودها في أحد أركان الغرف ضرورة أملتها حالة الجو الباردة في فصل الشتاء.

وما يلاحظ أن واجهة المسكن تتميز بالبساطة وعدم التكلف في مظهرها الخارجي، وتقل فيها فتحات التهوية من نوافذ صغيرة الحجم وهي دوما تقع في نهاية الجدار تكاد تلامس السقف، وهذا حتى لا تتكشف الحرم، ولضرورة مناخية تمنع دخول الرياح المحملة بالغبار وكذا الزوابع الرملية، فصاحب المسكن له حرية توزيع العناصر المكونة للمسكن لكن شريطة عدم إلحاق الضرر بجيرانه كحجب أشعة الشمس أو جعل جدرانه عالية تجاوز جدران جاره، ولا يجوز له فتح نافذة أو شرفة تطل على دار جاره[1].وما يميز تخطيط هذا المسكن أنه جاء بسيطا مشتملا على ما يحتاجه لساكنه من ضرورات الحياة ومتطلباتها، وشيد هذا المسكن بعيدا المساكن الأخرى وهذا راجع إلى العرف السائد خاصة عند سكان المناطق الريفية والتي يحرص سكانها على تطبيق مبدأ الاحترام والحرية في الحياة من خلال هذا التباعد الذي من شأنه أن يسمح لأهل المسكن أن يتحركوا ويخرجوا دون حرج، ولطبيعة المنطقة المناخية التي تفرض على السكان أن يخرجوا ليلا للسمر في

[1]– الفرسطاني، أبو العباس أحمد، القسمة وأصول الأرضيين، تحقيق الشيخ لكبير ومحمد صالح ناصر، نشر التراث القرارة، ط2، 1997، ص 234.

جلسات عائلية هروبا من درجة الحرارة المرتفعة والضغط الذي يكون داخل غرف المسكن.

و لتخطيط الغرف وتحديد مقاساتها يلجأ سكان المنطقة إلى التمدد أرضا عند بناء الغرف المكونة للمسكن ليكون ذلك هو مقياسها عرضا أما طولا فيتراوح أحيانا من 02 إلى 04م، والارتفاع يصل إلى أربعة أذرع على طول الشخص في غالب الأحيان، ويذكر بعض معلمي المنطقة أن حجم الغرفة يتحكم فيه دوما المواد المستعملة في التسقيف خاصة تلك الجذوع من النخيل والصفصاف المستخدمة كعوارض ودعامات لحمل السقف.

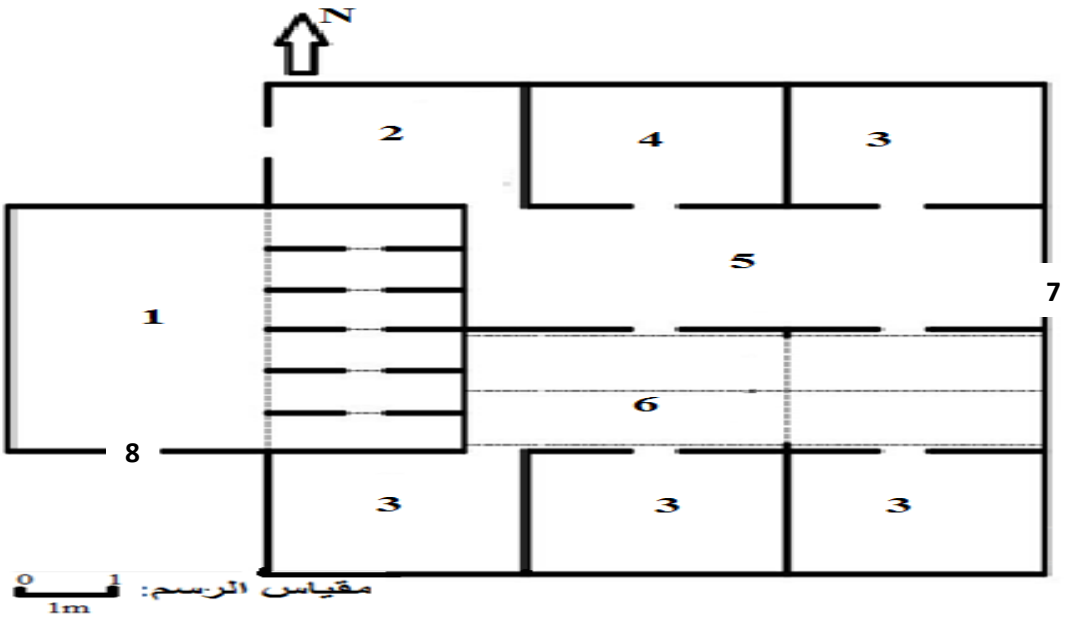

مفتاح الرسم:

1: الاسطبل	3: الغرف	5: صحن	7: المدخل الرئيسي
2: غرفة الضيوف	4: المطبخ	6: رواق	8: مدخل خاص بالحيوانات

مخطط المسكن رقم 02: منطقة وادي سوف

ومن خلال النماذج للمساكن الخاصة بمنطقة وادي سوف فإن مكونات المسكن وخصائصه ومميزاته تتحكم فيها مجموعة من العوامل والظروف أهمها الظروف الطبيعية وكذلك طبيعة المسكن والمنطقة التي يبنى فيها بالإضافة إلى ما يتعارف عليه المجتمع من عرف خاص يكمل ويطبق تعاليم الدين، ولهذا فالمسكن وعناصره المعمارية في منطقة وادي سوف تشتمل على ما يلي:

أ. المدخل:

يعتبر المدخل في المسكن بوادي سوف عنصر معماري رئيسي فيه يتم الدخول إلى المسكن ومنه فقد جاءت المداخل في المسكن مختلفة من حيث حجمها فهناك التي بها أبواب بمصراعين وأغلبها يكون في المساكن التي تقع ضمن حيز القصور وتقطن المسكن أكثر من عائلة، أما المساكن التي تقع منفصلة وتكون في الغالب في الواحات فنجدها بمصراع واحد لأنه يفتح باب آخر في مؤخرة المسكن تدخل منه الحيوانات التي يربيها صاحبه، وأبواب هذه المداخل تصنع في الغالب بخشب النخيل، وتوضع عتبات على مداخل المساكن والطرف أحيانا منعا من دخول بعض الحيوانات الزاحفة التي تعيش في المنطقة، وكحاجز يمنع دخول الرمال والغبار إلى الداخل، ويصل ارتفاع المداخل أحيانا إلى حوالي 1.90 م وبعضها يصل إلى 1.10م، وتكون المداخل موجهة نحو الشرق ارتباطا بشروق الشمس وحركة الرياح.

ب. السقيفة: (انظر المخطط رقم 03)

المسكن في وادي سوف والمناطق المحيطة بها لا يخلو من وجود السقيفة فهي ضرورية لما لها من دور وظيفي وآخر معماري يتماشى وطبيعة المناخ السائد في المنطقة أين تكثر رياح السيريكو وترتفع درجات الحرارة، تساعد السقيفة على تلطيف الجو داخل المسكن من خلال السماح بانتقال التيارات الهوائية من وسط المسكن لتمر على السقيفة

فتجعل الجو رطب يساعد نسوة لمسكن على ممارسة أعمالهن في جو ملائم مثل النسيج وطحن الحبوب، وكون السقيفة تعزل المدخل على وسط الدار مما يستر ويمنع أهل المسكن من التكشف وتسمح بترك باب المدخل مفتوحا دون حرج.

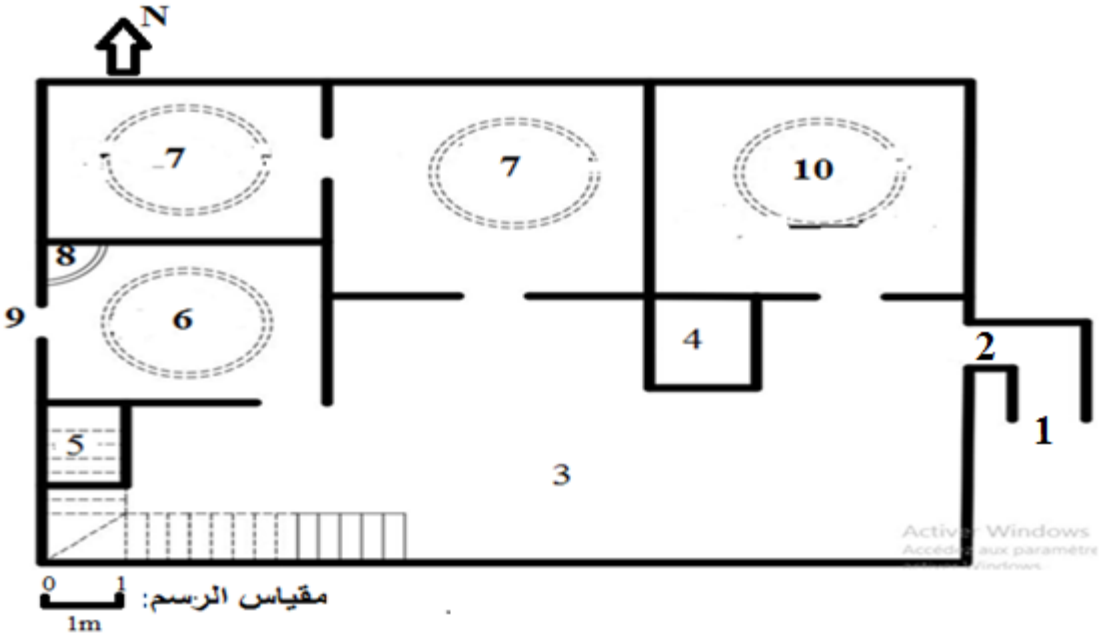

مفتاح الرسم:

1: مدخل	4: مرحاض	7: غرف	10: غرفة الضيوف
2: سقيفة	5: مخزن	8: مدخنة	
3: فناء	6: مطبخ	9: نافذة مطلة على البستان	

مخطط المسكن رقم (03): يظهر السقيفة بمسكن منطقة وادي سوف

جـ. غرفة الضيوف:

سكان المناطق الصحراوية كغيرهم من العرب ممن يتصفون بالجو والكرم وحسن ضيافة الضيف ولأجل ذلك كان من الممكن في منطقة وادي سوف لا يخلو من غرفة الضيوف والتي تكون بجوار المدخل ليسهل على الضيف الدخول إليها والخروج منها دون حرج، وهي غرفة مساحتها كبيرة توفر الراحة للضيف وتفرش بأفرشة فاخرة وتعطر بأنواع البخور ، وأحيانا نجعل غرفة الضيوف في الطابق العلوي ويجعل لها سلم خارجي يوصل إليها (الصورة رقم 09)، ويستعمل الطوب في بنائه مستندا في ذلك على الجدار الخارجي للمسكن، يبنى من الأسفل إلى الأعلى بشكل السلم حيث يصل عرض الدرج 0.1 متر وطوله بطول الجدار والباب المؤدي إلى غرفة الضيوف ويصل أحيانا إلى 12 درجا.

د. المطبخ:

عند تخطيط المسكن في منطقة وادي سوف يتم اختيار غرفة من غرفه لتكون مطبخا، ويتم اختيار أحد أركانه لتكون موقدا تعلوه مدخنة، حيث توضع ثلاثة أحجار من نفس الحجم كمناصب لوضع القدر أو الطاجين على النار. أما المدخنة فتستغل جدرانها في إنشاء مرافع بأحجام مختلفة توضع فيها أوني وأغراض المطبخ، ويخضع حجم المطبخ إلى مساحة المسكن وعدد أفراد العائلة التي تسكنه مع التذكير أننا خلال الزيارات الميدانية لعدة مساكن بمناطق وادي سوف لاحظنا أن جل الغرف بها مواقد تعلوها مداخن صغيرة الحجم أحيانا وتختلف عن تلك التي توجد في المطبخ، فربما تكون للتدفئة لا غير وإما لتحضير الشاي، ويكون المطبخ بعيدا عن غرفة الضيوف، فأحيانا يكون في مؤخرة المسكن،أما مواد البناء المستخدمة فهي محلية ومتنوعة من حجارة وطين وجبس وخشب النخيل، ويسعون دوما على أن يكون المطبخ قريب دوما من غرفة التخزين، وفي المساكن التي تشيد قريبا من الواحات أو في وسطها فهم يختارون مكان يساعدهم على الطهي

بعيدا عن المؤثرات الطبيعية مثل الأمطار والريح فقد يختارون ركنا في سباط يجعل موقدا، وقد يبنون مطبخا صغيرا خارج المسكن وهذا بحسب ظروفهم ومدة إقامتهم في هذا المسكن.

هـ. السطح:

عندما جعل المسكن في وادي سوف سقف مقبب بسبب العوامل المناخية القاسية فقد السطح دوره بسبب هذه التقنية إلا في حالات قليلة أين تخلى عن القبة فكان السطح مستويا استغله في ما يحتاجه خاصة في فصل الصيف إما النوم هروبا من ارتفاع درجة الحرارة في داخل الغرف أو الخروج النسوة للسهر ليلا في ليالي رمضان وليالي الصيف الحارة، وقد اعتمد أهل سوف على تقنية التسقيف بالقبة لدورها الكبير في تلطيف الجو داخل الغرفة صيفا وشتاء ولأنها غير مكلفة في البناء، بالإضافة إلى كونها تتوزع عنها أشعة الشمس مما يقلل من حدتها وعدم تأثر الرياح والزوابع الرملية بها مما يمنع تجمعها على سطحها.

وممن يسكنون الخيام من رحل فهم كذلك يفرحون بالضيف ويستأنسون بقدومه ويذبحون له الذبائح ويخصصون له جزء من الخيمة ليبيت فيه ويرتاح،وتزود أحيانا بموقد تعلوه مدخنة لتدفئة الغرفة في الليالي الباردة، ويستخدم في بنائها مواد بناء محلية من حجارة وطين وخشب النخيل

و. الفناء (الحوش):

الفناء في مساكن منطقة وادي سوف عنصر معماري يقوم عليه المسكن وتحيط به بقية المرافق فهو من يزود المسكن والغرف بالضوء والهواء الذي يتجدد كل يوم بالإضافة إلى أشعة الشمس التي تصل إلى وسط المسكن، فالفناء هو ا لفضاء الذي تتنفس فيه

المرأة وتمارس فيه بعض نشاطاتها المنزلية، كما أنه فضاء يلعب فيه الأطفال وخاصة البنات ويستغل للنوم أحيانا في فصل الحر، وحتى المساكن التي تشيد في الواحات لها فناء ولو كان صغير الحجم، ويحفر أحيانا بئر في وسطه ليتم السقاء دون اللجوء إلى الخارج، وما يميز الفناء في هذه المساكن أنها تزود في أحد جهاتها سباطات تخصص للجلوس صيفا لتناول الطعام وأحيانا للسمر وشرب الشاي، وتبقى مواد البناء المحلية هي المستخدمة في الإنشاء خاصة منها حجارة وردة الرمال والجبس والطين أحيانا وكذا أخشاب النخيل وجذوعها وبالأخص في سقف السباط فقط لأن الفناء يبقى مفتوحا على السماء.

ي. الغرف:

المسكن في منطقة وادي سوف مثله مثل باقي المساكن في المناطق الأخرى، فأساس المسكن هو إضواؤه على غرف ذات استعمالات مختلفة منها المخصص للنوم ومنها الخاص بالضيوف –كما ذكرنا سابقا– ومنها الخاص بالأولاد ومنها المخصص للتخزين وكذا المطبخ، وفي الغالب فإن الغرف من حيث حجمها وعدد من في المسكن وموقعها فيه تخضع لجملة من العوامل والشروط أهمها حجم المسكن صغير أو كبير، والحالة المادية لصاحبه ومكانته الاجتماعية وكذا المكان الذي شيد فيه المسكن لأن المسكن الذي هو جزء من القصر يختلف عن المسكن الذي يشيد في الواحات، كما أنه يخضع لعدد أفراد الأسرة أو العائلة والمميز لغرف المسكن في منطقة وادي سوف أن غرفة الضيوف وغرفة صاحب المسكن هما الأكبر حجما وبسبب مواد البناء وخاصة مواد التسقيف تكون الغرف بشكل مستطيل، فهي مكونة من الحجارة والطين وخشب النخيل وتكون جدرانها ملبسة بمادة الجبس وبها مجموعة من الكوات والمرافع لحمل الأشياء وحفظ الأغراض المتنوعة (الشكل رقم 05)، وفيما يخص فتحات التهوية والإضاءة فهي

قليلة ومنعدمة في الغرف لأنها تبقى أبوابها مفتوحة طول اليوم على الفناء (الحوش) خاصة المخصصة للنوم أم المخصصة للتخزين فهي تكون على جنب ولا يفتح بابها حفاظا على ما بها من الأغراض، وما يميز الغرف أن بها كوات وبأشكال مختلفة خاصة الشكل نصف الدائري (الصورة رقم 10)، وهذا لجعلها مخابئ ومرافع تضع فيها المرأة السوفية أغراضها وأحيانا لوضع الشموع للإنارة ليلا.

ك. المرحاض:

المرحاض أو ما يسمى بالكنيف، ويصطلح عليه سكان المنطقة ببيت الخلاء، ولا يخلو مسكن في منطقة وادي سوف من هذا العنصر المعماري الوظيفي، غير أن موضعه في مخطط المسكن يختلف أحيانا فهناك من يجعله ملاصقا للجدار الخارجي للمسكن قريبا من غرفة الضيوف، وهناك من يجعله في مؤخرة المسكن ويكون خاصا بنسوة المسكن فكل المساكن به مرحاضين، أما في المساكن التي شيدت بالقرب من الواحات فنجد المسكن به مرحاض خاص بالنساء فقط، لأن الرجال يقضون حاجاتهم في الفلاة وأحيانا يجعلون مرحاض خارج المسكن معزولا عن المارة مخصص لرجال وللضيوف ويتم بناؤه بمواد بناء محلية أهمها حجارة وردة الرمال مع الطين ويسقف بسعف وجريد النخل وبعض أغصان الأشجار ويتم إفراغه بين مدة وأخرى عبر فتحة معدة لذلك، وتكون لها فتحة للتهوية منعا لتجمع الروائح الكريهة داخل المسكن أو خارجه.

2. المسكن في منطقة بوسعادة:

من خلال النماذج التي بين أيدينا من منطقة بوسعادة كما هو موضح في المخططات رقم (04)، (05) و(06)، فإن مكونات المسكن في هذه المنطقة تخضع لعدة اعتبارات نذكر منها؛ انتماؤه للقصر أو مبني لوحده فنجد أن المنطقة يغلب عليها نمطين رئيسيين في بناء المساكن هما:

المساكن التي جعلت وحدة معمارية من وحدات القصر حيث تتميز هذه المساكن بالنظام والتراص وخضوعها للنظام المعماري الذي شيدت به القصور في المنطقة وفي غيرها وهي في الغالب تتماشى وفقه العمران الإسلامي، ونظام شيخ القصر وما يطيقه من أحكام تعمل على حفظ النظام داخل القصر بالإضافة إلى مواد البناء المستخدمة وهي محلية.

والمساكن التي شيدت في المناطق الريفية وأغلب ساكنيها هم من فئة البدو الرحل ممن يمتهنون حرفة الرعي وأعمال الفلاحة والزراعة وهي مساكن أكثر ما تتميز به هو البساطة في البناء وتخطيطها أحيانا يتماشى ووظيفة صاحب المسكن بالإضافة إلى أنها بعيدة عن كل تكليف وزخرفة، ومما رأى في بنائها مجموعة من الشروط خاصة منها القرب من منابع المياه وقربها من الواحة وهي مساكن تكون قريبة من بعضها البعض مشكلة تجمعات سكنية تقف في كل خطر قادم خاصة قطاع الطرق واللصوص أو بع الحيوانات المفترسة، وفي الغالب نجد أن أصحاب هذه التجمعات السكنية تربطهم صلة قرابة حتى يزال الحرج بينهم في الخروج وفي الاحتكاك فيما بينهم خاصة وأن الرجال يذهبون إلى الرعي وتبقى النسوة وبعض الرجال ممن يحرسونهم ويوفرون لهم ما يحتاجونه من متطلبات. وللظروف المناخية السائدة في المنطقة، وفي الغالب تجتمع مجموعة من الأسر والعائلات تحت كنف العشيرة أو الحي وتظم من هم على قرابة دموية أو قرابة

المصاهرة وبهذا تكون الوحدة السكنية أكثر تماسكا وترابطا وقبل قيامهم بالبناء يراعون جملة من الشروط الواجب توفرها في تحديد الفضاءات والمساحات التي تبنى فيها الدور والبيوت حيث يذكرها الفرسطائي فيقول: "إذا أراد قوم أن يبنوا دورا وبيوتا ويعمرها فإنما يفعلون ذلك في أرضهم التي ملكوها أو عرفوا فيها أو أرض عرفوها لأحد فأذن لهم فيها صاحبها أو لم يعرفوا لأحد ولم يدعها، فجائز لهم عمارتها، وأما غير هذه المعاني فلا يبنون فيها ولا يعمرونها"[1]. حيث يتم البناء بشكل منتظم يتلاءم وطبيعة العلاقات التي تربطهم وأساس هذه العلاقة مستمد من الدين الحنيف الذي يحرص من خلال نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلمخاصة مع الجار، فعن عائشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" متفق عليه[2].

[1]– محمد الفرسطائي، المصدر السابق، ص 230.

[2]– تاريخ الاطلاع 2018/03/07 على الساعة 17:00 : library.islamweb.net.

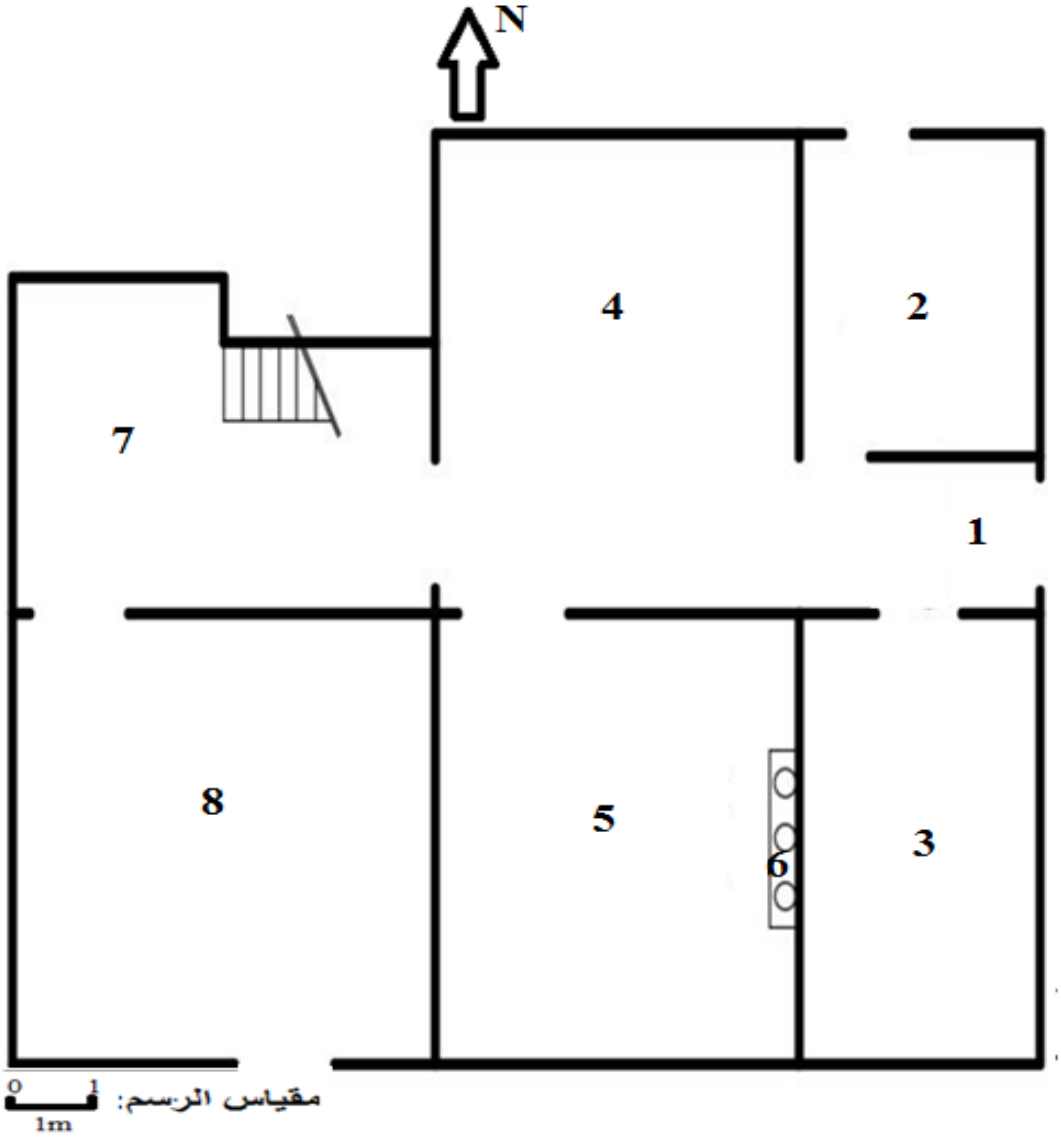

مفتاح الرسم:

1: الرواق	4: غرفة العائلة	7: الفناء
2: غرفة الضيوف	5: غرفة	8: المطبخ
3: المخزن	6: مدخل السرداب	

مخطط المسكن رقم 04: منطقة بوسعادة (من إنجاز العربي لقريز بتصرف)

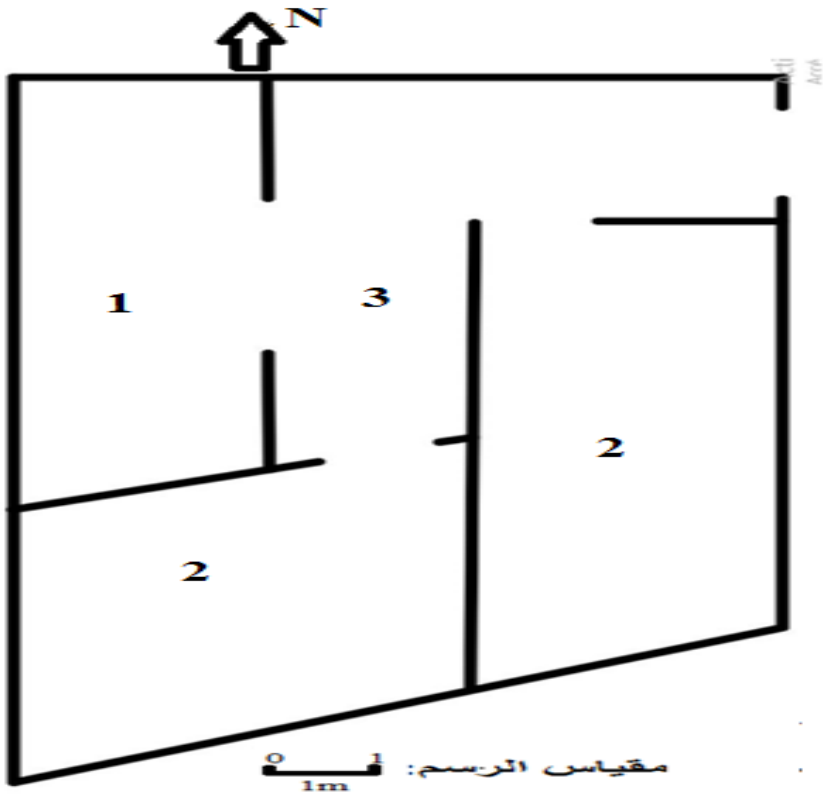

مفتاح الرسم:

1: المطبخ

2: الغرف

3: الساحة

مخطط المسكن رقم 05: منطقة بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)

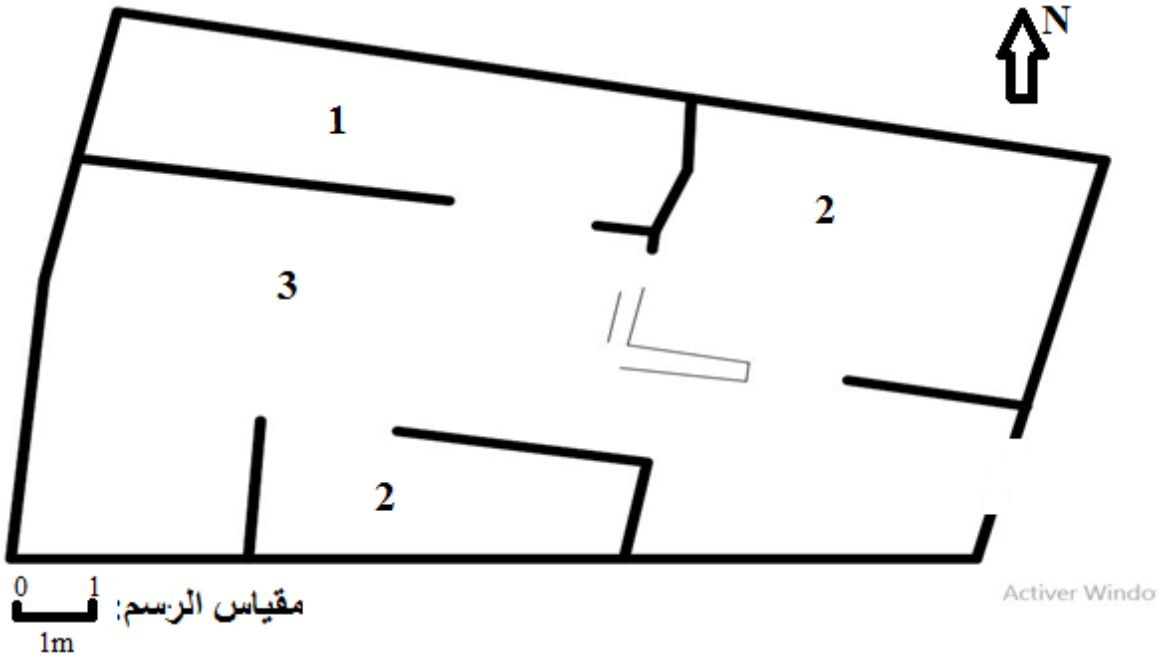

مفتاح الرسم:

1: المطبخ

2: الغرف

3: الساحة

مخطط المسكن رقم 06: منطقة بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)

وما يتعارف عليه المجتمع من عرف خاص يكمل ويطبق تعاليم الدين، وفي بوسعادة فمكونات المسكن وعناصره المعمارية تشتمل على ما يلي:

أ. المدخل:

وتختلف المداخل بين المساكن الموجودة في القصور حيث نجد المداخل ذات مصراع واحد عكس المداخل التي توجد في المساكن الخاصة والمبنية خارج محيط القصر أي في الواحات وعلى حواف المدينة، وهي ذات مصراعين لتسمح بدخول الحيوانات وهي محملة إلى السقيفة لإفراغ حمولتها، وتختلف المداخل من حيث ارتفاعها وعرضها بين مدخل المسكن وبين المداخل المؤدية إلى الغرف، هذه الأخيرة التي تتميز بعدم ارتفاعها حيث يصل ارتفاعها إلى حوالي 1.85 م، وبعرض لا يتجاوز 0.9 م، وإذا كان الداخل إلى المسكن من الأهل والأقارب فإنه يستأذن في الدخول وهذا بالضرب على الباب عبر حلقة معدنية والنداء على أهل البيت بما يعرف في عرف المنطقة بـ:"وا مَّالِين الدَّار" فيخرج أحدهم ليستقبلهم، وما يلاحظ على مداخل هذه المساكن أن تكون في اتجاه الشرق في غالب الأحيان لاستقبال أشعة الشمس ودورها في تجديد هواء المسكن وتجنبا لبعض التيارات الهوائية الآتية من الناحية الغربية لبرودتها في فصل الشتاء، ويراعي في تخطيط المساكن في منطقة بوسعادة أن تجعل المداخل غير متقابلة في القصور عكس المساكن الريفية التي لا يتحرج من تقابلها لبعد هذه المساكن عن بعضها البعض، ويراعى في الدروب والشوارع أن تسقف أحيانا وتبقى مفتوحة أحيانا أخرى لتكون الإضاءة والتهوية موجودة ليستريح المارة أثناء المرور بها خاصة في فصل الصيف (الصورة رقم11).

ب. السقيفة:

لا يخلو المسكن البوسعادي من السقيفة، فمن خلال النماذج المدروسة المبينة في المخططات (07) و (08) و (09) تظهر لنا السقيفة التي هي جزء مهم في تخطيط المسكن لما لها من دور وظيفي ومعماري ودور يرتبط بأخلاق وعرف المجتمع والأسرة البوسعادية المستمد من تعاليم الدين الإسلامي السمحة،والتي تعمل على المحافظة على

حرمة المسكن وستر من فيه من الحرم، وكون المرأة البوسعادية امرأة حرفية بفطرة المنطقة، تخيط لباسها وتنسج فراشها وتحضر طعامها مما جعلها تقوم بذلك في فناء هذه السقيفة رغم صغرها لكنها تبدع ما شاءت لتؤمن لأسرتها ما تحتاجه من مطالب فزوجها في الخارج وهي بالداخل ومنه فإننا لا نجد مسكنا يخلو من السقيفة حتى الخيمة التي تسكنها في ترحالها تخصص مكانا لها يشبه السقيفة لتمارس فيه نشاطاتها السابقة، وقد يختلف شكل السقيفة أحيانا في بعض المساكن في المنطقة لكن دورها ووظيفتها تبقى نفسها وهي جزء مهم في المسكن الصحراوي.

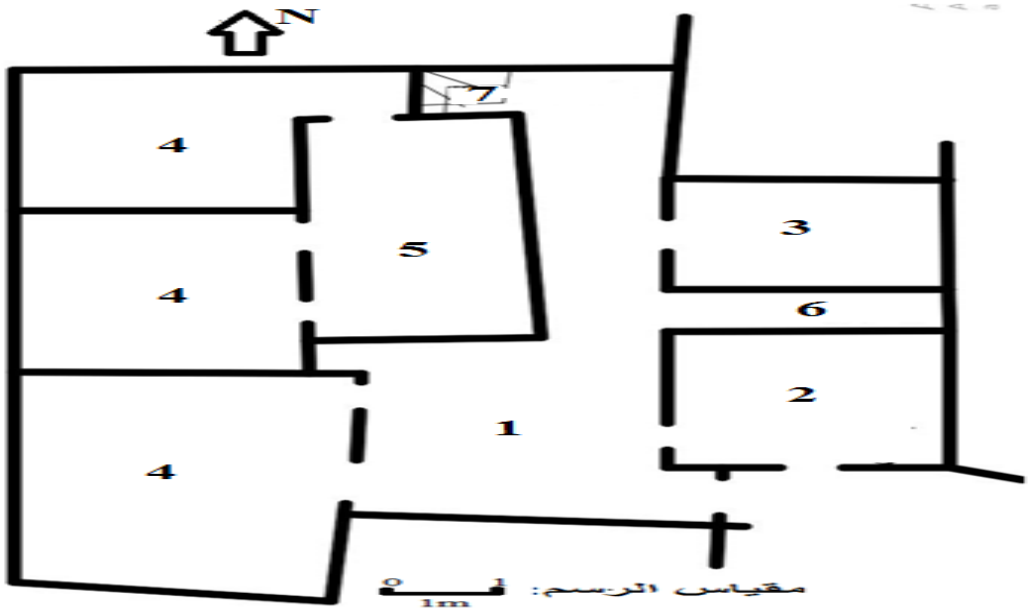

مفتاح الرسم:

1: السقيفة	4: غرفة	7: بيت القش
2: دار الضياف	5: الحوش	
3: المطبخ	6: بيت الراحة	

مخطط المسكن رقم 07: مسكن في قصر بوسعادة (عن نسيمة بوصبع بتصرف)

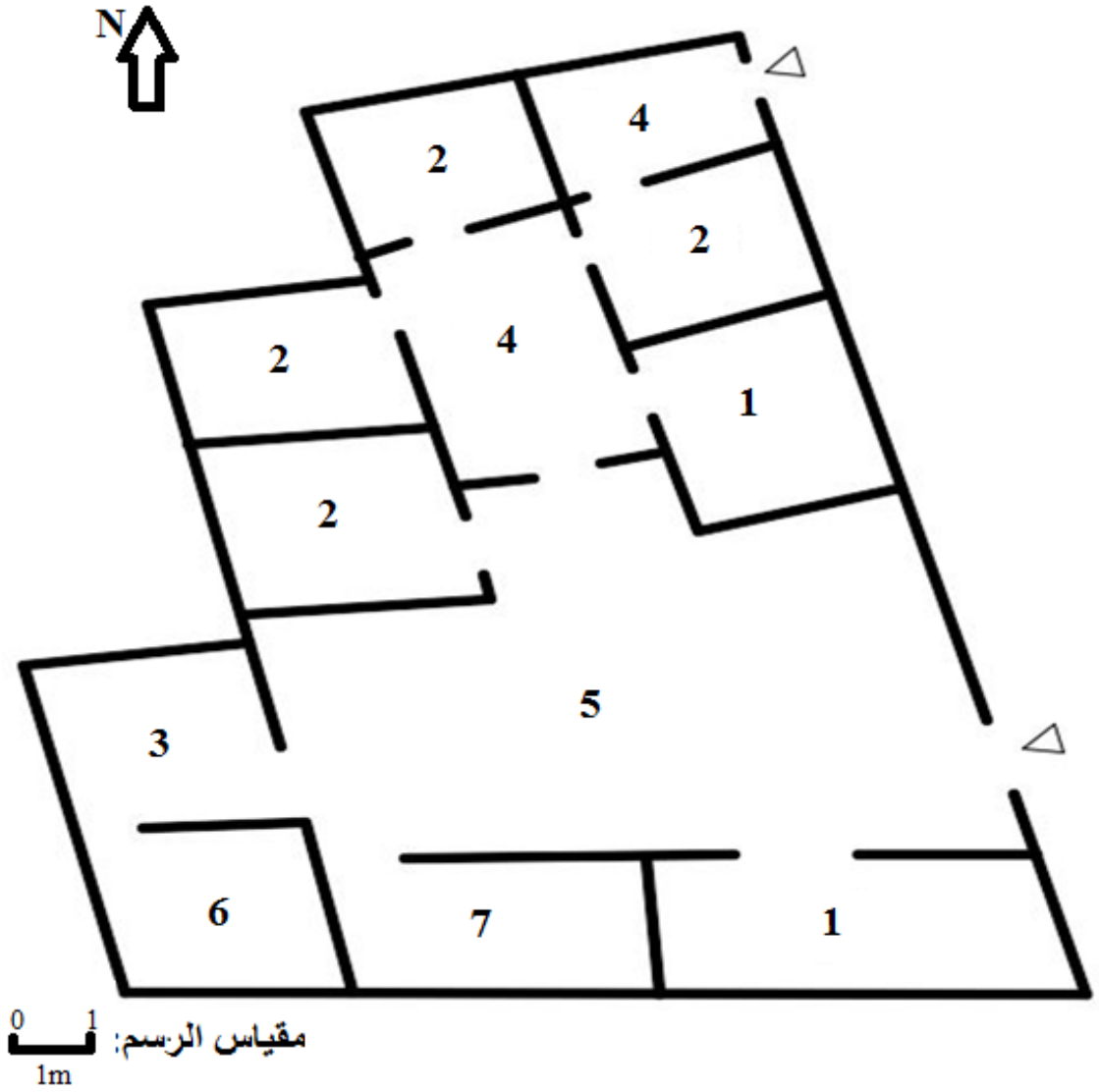

مفتاح الرسم:

1: دار الضياف	4: السقيفة	7: الزريبة
2: غرف	5: الحوش	
3: المطبخ	6: المخزن	

مخطط المسكن رقم 08: مسكن في قصر بوسعادة (عن نسيمة بوصبع بتصرف)

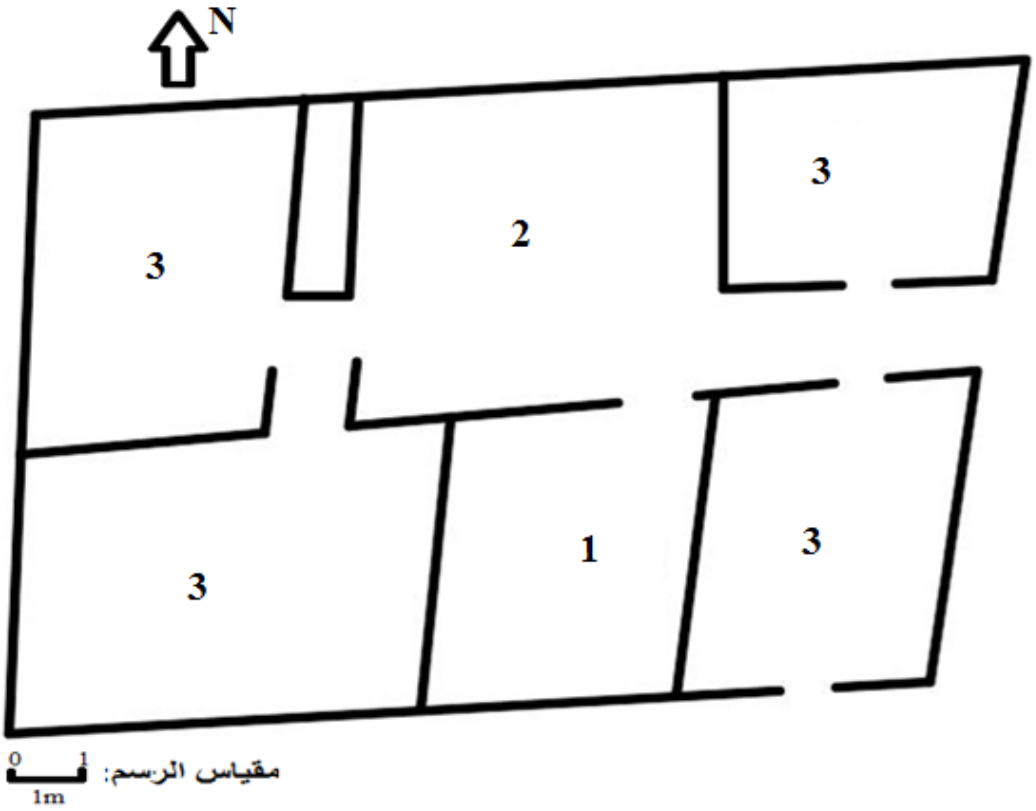

مفتاح الرسم:

1: المطبخ

2: الساحة

3: الغرف

مخطط المسكن رقم 09: منطقة بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)

جـ.غرفة الضيوف:

لا يخلو المسكن البوسعادي من غرفة الضيوف وتكون دوما في جانب من جوانب المسكن لها مدخل خاص بعيد عن أنظار نساء المسكن دفعا للحرج وحفاظا على حرمة المسكن ومن فيه فهي تكاد معزولة عن غرف المسكن وتأخذ الشكل المستطيل ونجدها دوما متجهة بمدخلها ونوافذها نحو الشرق ليعرف الضيف وقت طلوع الفجر للصلاة وإما للمغادرة باكرا دون أن يحرج أهل الدار، وحتى يدخل ويخرج من غرفة الضيوف متى شاء ذلك وعلى حسب قول بعض سكان المنطقة أن المسكن الذي يخلو من غرفة الضيوف في نظرهم مسكن محروم من الخير وليس فيه بركة، وعند البدو والرحل منهم مرور الضيف بخيمتهم أو بمسكنهم هي بشرى خير وفال طيب لما يأتيهم من رزق وبركة مع قدومه والأكل معهم والمبيت عندهم ربما لأيام، فكانوا يذبحون له الذبائح فرحا به، وما يميز غرفة الضيوف في منطقة بوسعادة هو الاهتمام بنظافتها وتعطيرها وتأثيثها بأحسن وأجمل الأفرشة وجل هذه الأفرشة نسيجية من حياكة المرأة البوسعادية، فغرفة الضيوف مميزة مبنية بمواد محلية أبدع المعماري في استخدامها.

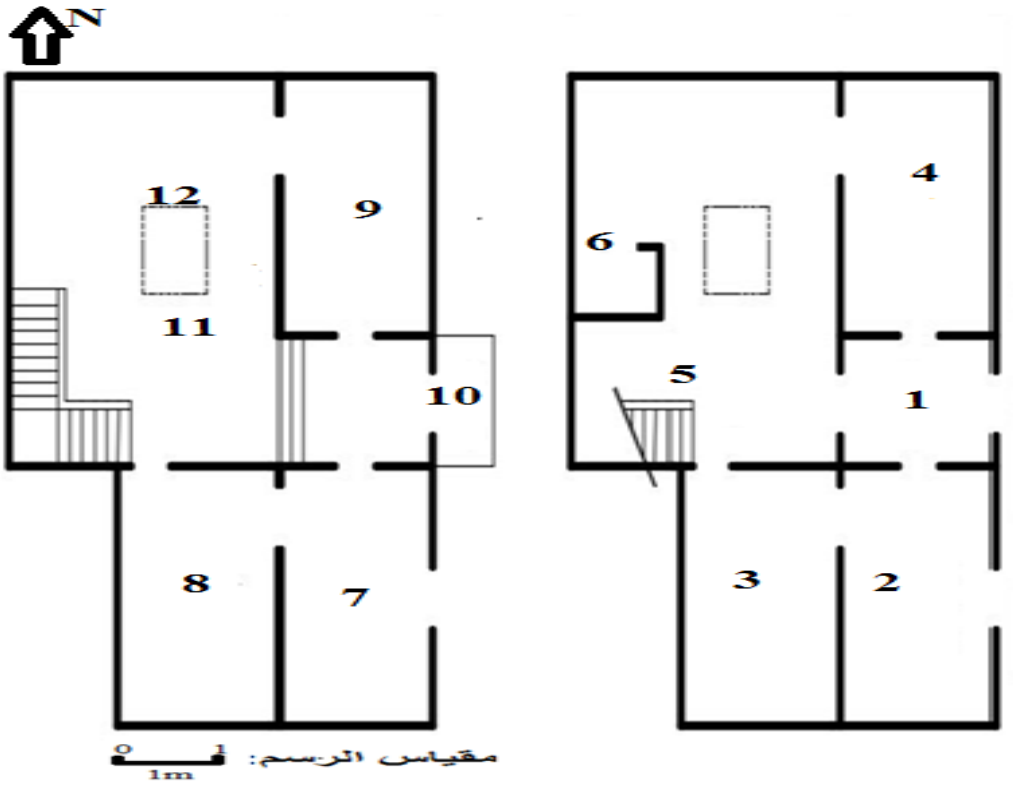

مفتاح الرسم:

الطابق الأرضي:

1: الرواق	3: غرفة	5: ساحة
2: غرفة الضيوف	4: المخزن	6: المرحاض

الطابق الأول:

7: مطبخ (غرفة احتياطية)	9: غرفة	11: السطح
8: قاعة احتياطية	10: الشرفة	12: نقطة إضاءة

مخطط المسكن رقم 10: غرفة الضيوف في مسكن بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)

د. الفناء (الحوش):

من خلال المخططات رقم (07) و (08) و (09) يظهر الحوش في المسكن كأهم عنصر يقوم عليه المسكن وتحيط به بقية العناصر، فالحوش هو القلب النابض له، وهو متنفس المرأة البوسعادية، لأن الغرف تخلو من النوافذ المطلة على الشارع، كما يزود الحوش الغرف وكامل المسكن بالضوء والهواء، ويذكر بعض الشيوخ في المنطقة أن للحوش أدوار مهمة في حياة من سكن البيت، وحتى الأولاد يجدونه مكانا للمرح وللنوم في فصل الصيف، وتقام فيه الأفراح والمناسبات وجلسات السمر العائلية ولهذا فلا يمكن أن نجد مسكنا بدون حوش. ويتحكم في جعل الفناء عنصرا أساسيا في المسكن هو طبيعة المسكن ومكان بنائه ففي منطقة بوسعادة نجد أن المساكن المشيدة في القصور يكون فيها الفناء عنصر أساسي مهم لما يقدمه من دور وظيفي عكس المساكن التي شيدت بالواحات وبعيدة عن التجمعات السكانية فنجد أن الفناء ليس له أهمية بحجة أن المسكن مشيد بمعزل عن الآخرين وما يحيط به من بساتين وواحات هي في حد ذاتها فناء ومفتوح، ورغم هذا يبقى الفناء مهم وضروري خاصة لنساء المسكن ولا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال.

هـ. الغرف:

الغرفة في المسكن البوسعادي لا تكاد تختلف كثيرا عن مثيلاتها في المناطق الصحراوية الأخرى ما دام أن عدد الغرف ومساحة كل غرفة يخضع لعدة عوامل طبيعة المسكن والحالة المادية لصاحبه وكذا عدد الأفراد، فكلما زاد عدد أفراد الأسرة كان لزاما أن يزيد عدد الغرف خاصة إذا كبر الأبناء وتزوجوا، وكذلك إن كان المسكن مكون من طابق أرضي وآخر علوي وسطح، ويتحكم في عدد الغرف وحجم المسكن إذا كان أحد مرافق القصر لأنه سوف يساير نظام القصر وقوانينه، وتبلغ مساحة الغرف في الغالب

(2م إلى 3م)، لأن ذلك مرتبط بمواد الإنشاء خاصة أخشاب الدعم والتسقيف (الطول والقصر ودرجة التحمل)(الصورة رقم 12)، وتكون الغرف داخل المسكن متجاورة وتطل على الحوش وهي متعددة الوظائف كالنوم والجلوس والتخزين والطبخ وغيرها، وما يميز هذه الغرف أنها تحتوي على كوات لحفظ الأغراض ومرافع لحمل الأشياء المختلفة، كما أن وضعها في الجدار ضرورة أملتها قاعدة تخفيف الحمل وتوزيع الثقل على الجدران بالإضافة إلى استغلالها كخزائن جدارية لحفظ الأغراض والأمتعة المختلفة خاصة تلك المتعلقة بالمرأة، وتبقى غرفة الأب والأم هي الأكبر حجما بعد غرفة الضيوف من الغرف الأخرى الموجودة في المسكن، أما مواد البناء فهي محلية تتلاءم وطبيعة المنطقة.

و. المطبخ:

من ضرورات المسكن البوسعادي أن يكون به مطبخ حيث نرى في النماذج المدروسة أن المطبخ موجود دائما، وهذا لحاجة الإنسان إلى المطبخ يوميا، فالطعام أساس الحياة، ونجد المطبخ في الغالب قريبا من غرفة التخزين، وتزود في الغالب غرف المسكن بمواقد لها مداخن لتدفئة جو الغرفة يكون في أحد أركان الغرفة، ويكون موضع المطبخ في مؤخرة المسكن لاعتبارات يراعيها السكان في منطقة بوسعادة انطلاقا من منح المرأة حرية في الحديث وعدم خروج رائحة الطعام حفاظا على شعور المارة وعدم تتحرج الضيف أثناء تواجده في غرفة الضيوف. ويصطلح عليه أحيانا عند أهل البدو الرحل في منطقة بوسعادة بـ:"النوالة" ولا يتطلب الكثير في بنائها فهي ترتكز أساسا على مكان مخصص للطهي يكون عادة في أحد أركان الغرفة به أحجار بنفس الحجم تسمى في المنطقة بالمناصب لأنه تنصب عليهم القدر والطاجين لطهي الطعام والكسرى (خبز الشعير) وتعلوهم مدخنة لإخراج الدخان إلى السطح، وما يميز جدران المطبخ أنه يجعل فيها كوات كمرافع لحمل أغراض المطبخ وحفظها، وأحيانا يكون المطبخ في الهواء الطلق

في المساكن التي تشيد بالواحات أو على جانب الخيمة عند البدو الرحل في المنطقة، ويعتمد في بناء المطبخ على مواد بناء محلية أهمها الحجارة واللبن وجريد النخيل وجذوعها، أما مساحته فهي مرتبطة بمساحة المسكن وكذا عدد أفراد العائلة التي تسكنه.

ي. السطح:

للسطح قيمة ودور كبير في المسكن البوسعادي فهو متنفس النسوة ومكان الالتقاء والسمر مع الجيران في ليالي الصيف وليالي رمضان، وله أهمية كبيرة في مزاولة أنشطة مختلفة تخص المرأة كتجفيف المطعومات وتدخر لفصل الشتاء، فالنساء في منطقة بوسعادة يجففن الفلفل الأحمر، الكسكس والعيش، ويجففن المشمش ليصبح هرماسا يستعمل في بعض الأطعمة وكذلك القمح والشعير والفول وكل هذه المطعومات تجفف في السطح، وفي تجفيف الألبسة بعد غسلها ونجد أن المساكن مزودة بسلالم توصل إلى السطح.مساحة السطح في المسكن البوسعادي تتحكم فيها المساحة الإجمالية للمسكن، كما أن بعض المساكن في المنطقة كتلك التي تقع في الواحات لا تحتاج أحيانا إلى وظيفة السطح كونها تستغل الفضاء الخارجي الذي يحيط بالمسكن عكس التي تقع داخل القصور وما تفرضه الطبيعة المعمارية وكذا النظام الاجتماعي السائد في تلك القصور. وكذلك عند الرحل لا وجود للسطح فيعوضه الفضاء الخارجي أمام ساحة الخيمة، ومنه فاستغلال السطح في منطقة بوسعادة يكون في مساكن القصور أكثر من المساكن الأخرى.

ك. المرحاض:

المرحاض من العناصر المعمارية الضرورية في المسكن البوسعادي، ففي النماذج التي قمنا بدراستها في هذه المنطقة من خلال المخططات –الأشكال السابقة– رأينا أن المرحاض يتخذ له مكانا في مخطط المسكن ويكون في الغالب تحت السلم المؤدي للسطح في الجدار الخارجي للبيت، وهي في الغالب بعيدة عن الغرف ولها تهوية كبيرة منعا من تأذي أصحاب المسكن منها، ويذكر بعض شيوخ المنطقة أن للنساء مرحاض خاص بهم وللرجال مرحاض آخر مخصص حفاظا على الاحترام السائد في الأسرة.

3. المسكن في منطقة الأغواط:

يجد الدارس لتطور العمران المدني أن المسكن له دور كبير في تشكيل المدن، والمسكن وحدة معمارية أساسية في القصور التي شيدت في الصحراء وسايرت كل العوامل التي تتميز بها هذه الصحراء خاصة العوامل الطبيعية القاسية، ومنطقة الأغواط من المناطق المهمة في الصحراء الجزائرية التي استقر فيها الإنسان عبر مراحل الزمن المختلفة وشيد بها مسكنه وبمواد بناء محلية مستلهمة من هذه البيئة التي عاش فيها. ومن خلال الزيارة الميدانية لمنطقة الأغواط والوقوف على طبيعة المسكن كونه جزء لا يتجزأ من القصر أو منفصلا عنه، وقد اخترنا مسكن عائلة مشتح في حي من أحياء الأغواط، بالإضافة إلى الزيارة التي قادتنا إلى قصر تاويالة أين وقفنا على مساكن القصر رغم الحالة السيئة والمهترئة التي وصلت إليها بسبب عوامل التخريب البشرية وكذا العوامل الطبيعية، والبعض حول إلى اسطبلات لحيواناتهم مما صعب علينا الدراسة الميدانية لحدوث تغيرات كثيرة على مخططات هذه المساكن.

إن ما تتميز به واجهات المساكن في منطقة الأغواط؛ فبالنسبة للمساكن التي تدخل في الحيز العمراني للقصور، فالجدران صماء وبسيطة وتخلو من أي عنصر زخرفي إلا بعض العناصر الزخرفية الرمزية وتكون في العادة فوق الساكف، وفيما يخص الفتحات والنوافذ إلا المدخل الرئيسي للمسكن أو بعض الفتحات الصغيرة الخاصة بالتهوية، وكذلك تلك المزاريب (انظر الصورة رقم 13) التي توضع لتصريف مياه الأمطار من على سطح المسكن، وهي متشابهة في جميع المناطق تختلف فقط من حيث مادة صنعها، فمنها ما هو مصنوع من الحديد ومنها ما هو مصنوع من الفخار.

الصورة رقم (13): شكل المزاريب في مسكن الأغواط

وقد يكون السبب في جعل الواجهات خالية من الفتحات والنوافذ إلى المحافظة على من هم بداخل المسكن من النساء وعدم سماع أصواتهم في الشوارع، وكذلك قد يعود الأمر لى تأثير العوامل المناخية على المسكن مثل الزوابع الرملية وما تسبب فيه من دخول للرمال والغبار إلى داخل المسكن وغرفه عند وجود فنحات التهوية والنوافذ في الواجهة والجدران الخارجية للمسكن، فجعلت النوافذ وفتحات التهوية في الجدران الداخلية المطلة على الحوش للاستفادة منها أكثر في تلطيف الجو وعدم التحرج من فتحها.

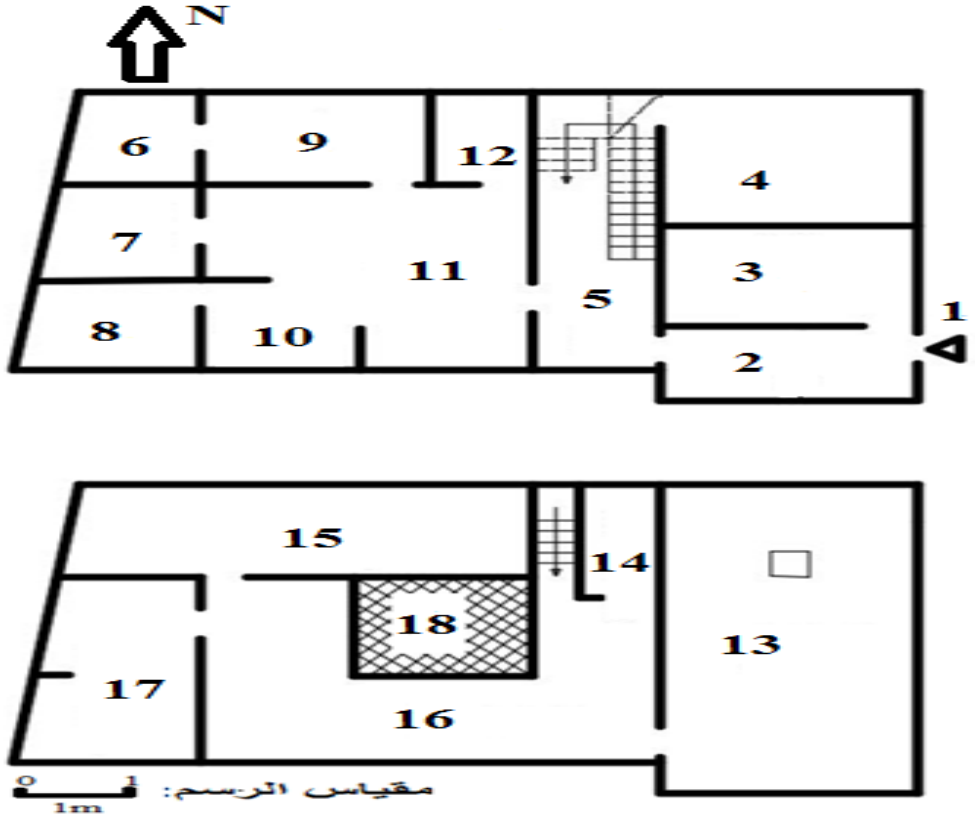

مفتاح الرسم:

الطابق الأرضي:

1: المدخل **3:** غرفة الضيوف **5:** السقيفة **7:** غرفة الإناث **9:** السباط **11:** الحوش

2: السقيفة **4:** المطبخ **6:** غرفة الأبوين **8:** السدة (قرانج) **10:** مكان صنع النسيج **12:** المرحاض

الطابق الأول:

13: غرفة الابن المتزوج **15:** غرفة الأولاد **17:** حجرة –قرانج– السدة

14: مطبخ الابن المتزوج **16:** فناء السطح **18:** الحوش

مخطط المسكن رقم 11: منطقة الاغواط (عن مديرية الثقافة بتصرف)

أ. المدخل:

تتميز مداخل المساكن في منطقة الأغواط أنها تعمل نظام المداخل المنكسرة التي تجعل من أهل المسكن يتركون الأبواب مفتوحة طول النهار لخلق تيار هوائي ينتقل ين الحوش والمدخل الرئيسي خاصة في فصل الصيف أين تشتد درجة الحرارة وحتى لا يكشف وسط المسكن للمارة بالدروب والأروقة المتصلة بالمسكن وتكون في الغالب غير مرتفعة من حيث العلو لضرورة مناخية وهي عدم تعرضها للتيارات القوية كالزوابع الرملية وضرورة بنائية خوفا من سقوطها في حال ارتفاع جدرانها الخارجية، ونظرا لتوفر خشب النخيل في المنطقة كونها الزراعة الأساسية في المنطقة فإن الأبواب تصنع من جذوع النخيل وهي أبواب غير متقابلة (متناكبة) لضرورة تتعلق بالعرف وبأحكام الشريعة الإسلامية بخلاف مداخل أبواب المساكن المشيدة في المناطق الريفية المعزولة عن هذه التجمعات وفي الواحات لعدم وجود الضرر بالآخرين.

ب. السقيفة:

السقيفة في المسكن الأغواطي أساسية حيث لا يمكن الاستغناء عنها فهي تؤدي إلى وسط المسكن وفنائه، وجعلت كساتر وحاجز يمنع التكشف على من بداخل المسكن من المارة ومن الضيوف القادمين لأهل المسكن وهي المستراح الذي يستريح فيه الداخل إلى المسكن ليؤذن له بالدخول منعا من التحرج عند الوقوف في الرواق أو الدرب كما تستغل السقيفة في بعض أعمال المنزل كالنسيج وطحن الحبوب وغيرها.

جـ. غرفة الضيوف:

منطقة الأغواط كغيرها من المناطق الصحراية التي تقدس وتحترم الضيف لأن ذلك من الصفات والشيم التي يتميز بها العربي الأصيل ولهذا ارتبطت غرفة الضيوف ارتباطا وثيقا بالمسكن الأغواطي وأصبحت عنصرا معماريا لا يمكن الاستغناء عليه فهو جزء من هويتها وأصالتها، وغرفة الضيوف في الغالب تكون أكبر جما ولها باب خاص بها يكون في الجهة الشرقية للمسكن ويسمح لمن يدخل من الضيوف دون أن يسبب حرجا لأصحاب المسكن وتكون مجهزة بأفرشة وأغطية، وفي الغالب يكون بها موقد تعلوه مدخنة لتدفئة الجو حال البرد القارس شتاء، ويستعمل في بناءها مواد بناء محلية أهمها الحجارة والطين والجص وخشب النخيل، وغرفة الضيوف موجودة أيضا عند سكان البدو والرحل ففي الخيمة جناح يخصص للضيوف يجلسون فيه وينامون ما بقوا عندهم.

د. الفناء (الحوش):

يعتبر الفناء أو كما يسمى عند أهل البدو في المنطقة بالحوش أو المراح فهو ضرورة معمارية لا نكاد نجد مسكنا خاليا من الحوش سواء كان هذا المسكن وحدة معمارية من وحدات القصر –كما رأينا ذلك في مساكن تاويالة بالأغواط– أو منعزلا عن القصر والتجمعات السكانية لضرورة أملتها الحرفة التي يمتهنها أهل المسكن وهي الرعي وأعمال الفلاحة مما يتطلب بناء المسكن بجانبها، ولهذا فالحوش ضروري بسبب الظروف الطبيعية وكذا العرف السائد في المنطقة الذي يمنع على المرأة التكشف والخروج بلا سبب من المسكن فيكون بذلك الحوش هو الفضاء الذي تستريح وتتحرك فيه بلا قيود، وما يتميز به الحوش في مساكن الأغواط أن مساحته تختلف باختلاف مساحة المسكن وطيعة

المكان الذي شيد فيه، وكما ذكر لنا أحد المهتمين في المنطقة أن البعض منها يخصص لوضع حيواناتهم التي يربونها خوفا من بعض الأضرار الني قد تصيبهم كالسرقة مثلا.

هـ. الغرف:

يتكون المسكن الأغواطي من غرف مختلفة الأحجام منها التي تبلغ مقاساتها 2.40م طولا و 2.10م عرضا ومنها الغرف مستطيلة الشكل مقاسات تقدر بـ 5.60م طولا و 3.30م عرضا يتوسطها دعامة مبنية مادة الحجارة ومادة الجبس الممزوج بحبيبات الرمل يصل سمكها إلى 0.50م لحمل جذع خشن من النخيل جعل لحمل السقف، ولأنه لا توجد جذوع وأخشاب تستخدم للتسقيف يزيد طولها عن 2.50م ولهذا جعلت الغرف بهذا الشكل ليسهل تسقيفها، وتختلف غرفة الضيوف وغرفة الوالدين عن بقية الغرف المخصصة للأولاد أو للتخزين، كما توجد بجدران هذه الغرف مرافع وكواة لحمل وحفظ الأغراض المتنوعة وللتخفيف من ثقل السقف على الجدران، أما فتحات التهوية بهذه الغرف فهي صغيرة لا يتجاوز ارتفاعها 0.70م وعرضها 0.50م، وهي مفتوحة على فناء المسكن إلا القليل منها من يفتح على الشارع وبضوابط معينة أهمها الحرص على ستر من بالداخل من النساء وما يلاحظ على غرف أخرى في المسكن أنها تنعدم بها الفتحات عدا المدخل، أما مواد البناء المستخدمة فهي محلية أهمها الحجارة والجبس وجريد النخيل وجذوعها، وجدرانها الداخلية ملبسة بالجص لما له من ميزة في جعل الجو ملائم للعيش داخلها صيفا وشتاء.

و. المطبخ:

يحتوي المسكن الأغواطي على غرفة خاصة من حيث شكلها وكذا المرافق التي تتبعها تسمى بالمطبخ، ففي الغالب تكون ذات شكل مستطيل تطل على الفناء يوضع بأحد أركانها موقد تعلوه مدخنة لإخراج الدخان عبر سطح المسكن، وقد يكون في المسكن

الواحد عدة مواقد منها المخصص للطبخ وهي في الغالب لا تتعدى الاثنين على حسب المسكن والطوابق الموجودة فيه، ومنها المخصص للتدفئة في فصل الشتاء لبرودة الطقس في المنطقة خاصة وأن مناخ منطقة الأغواط –كما ذكرنا سابقا– بارد شتاء وحار جاف صيفا، ويزود المطبخ في جدرانه بمرافع وكواة (الصورة رقم 14) لحفظ بعض الأطعمة وأغراض المطبخ، ويذكر الدكتور صالح بن قربة أن هناك بعض المطابخ تكون بعيدة عن الغرف فهي تجعل في الطابق العلوي[1]، أما في مساكن البدو وعند الرحل يكون بسيط ولا يراعى فيه إلا الجانب الوظيفي فيكون في أي ركن من المسكن وخارج الخيمة على أحد جوانبها، والمطبخ يكون قريبا دوما من غرفة التخزين لعلاقته الكبيرة بها في حفظ مؤونة أهل المسكن وسهولة جلبها إلى المطبخ.

ي. السطح:

للسطح قيمة ودور كير في المسكن الأغواطي خاصة في مساكن القصر فهو متنفس النسوة ومكان للالتقاء والسمر مع الجيران في ليالي رمضان وفي ليالي الصيف، وللسطح أهمية كبيرة في مزاولة أنشطة مختلفة تخص المرأة دون الرجل كتجفيف المطعومات التي تدخر لفصل الشتاء مثل الفلفل الأحمر والكسكس والعيش (مردود) والمشمش ليصح هرماسا يضاف في تحضير بعض الوجبات، وكذا تجفيف القمح والشعير بعد غسلهم ليتم طحنهم فيما بعد وغير من المطعومات وكلها تجفف على السطح، وكذا تجفيف الألبسة والأفرشة والأغطية بعد غسلها، ويتم طلي السطح بطبقة من الجير لونه الأبيض الذي يقلل من شدة الحرارة على الفضاء الداخلي للمسكن ويتم الوصول إلى السطح عبر سلالم مبنية بمادة الحجارة والطين (انظر الصورة رقم 15)، ولتوفير الحماية وتحقيق الستر لمن يجلس في السطح يوضع جدار يحيط بساحة السطح يصل ارتفاعه

[1]– صالح بن قربة، أبحاث ودراسات في تاريخ آثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى للطاعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص، ص 481،482.

نحو1.50م مع الإبقاء على ممر خاص يمر منه نسوة الجيران لبعضهم البعض وقت الحاجة.

الصورة رقم (15): السلالم بمسكن الأغواط

ك. المرحاض:

أو ما يسمى بالكنيف وهو من العناصر المعمارية الضرورية في المسكن الأغواطي سواء التي هي داخل القصر أو خارجه، فهو مرتبط الناحية البيولوجية للإنسان ولكن يختلف في مكان تواجده فجل المساكن يكون المرحاض فيها خلف المدخل المؤدي إلى وسط المسكن وله علاقة بالجدار الخارجي للمسكن لوجود فتحة إفراغه فيها (انظر الصورة رقم 16 والشكل رقم 14)، وهي بعيدة عن الغرف ولها تهوية كبيرة منعا من خروج الروائح الكريهة، ويزود المسكن مرحاضين أحدهما مخصص للضيوف وللرجال والآخر خاص بالنساء حفاظا على الاحترام السائد في الأسرة، وفي المساكن الخاصة بالبدو وفي الغالب ما يجعل المرحاض للنساء فقط دون الرجال فالرجال لهم الفلاة مثلما يفعل سكان الرحل عند إقامتهم في الخيم وفي مساكن أخرى يستغلون الفراغ الموجود

تحت السلم ليتخذ منه مرحاض، وفي جميع الحالات تستعمل في بناءه مواد محلية أهمها الحجارة والطين وخشب النخيل.

الصورة رقم (16): فتحة تفريغ الكنيف مسكن الأغواط

والملاحظ لصفات ومميزات المسكن في منطقة الأغواط يجد أنه يحمل صفات ومميزات المساكن الإسلامية، وخاصة في احترام الآخرين وعدم انتهاكك حرماتهم بأي شكل من الأشكال بداية من الجار الملاصق لمسكنه وهذا باستشارة الفقهاء وأهل البناء في أي أمر يخص المسكن ومرافقه منعا لحدوث الضرر، أما مواد البناء، فالبناء في هذه المنطقة اعتمد على ما تتوفر عليه الطبيعة خاصة مادة الحجارة وجذوع النخيل وبعض المواد الأخرى كالطوب وأخشاب الصفصاف والرتم والجص والجير وغيرها.

ومن خلال الدراسة الوصفية للمسكن بمناطق البحث في كل من وادي سوف وبوسعادة والأغواط والتطرق لمكونات المسكن وعناصره المعمارية تبين لنا أنه لا يوجد اختلاف في طبيعة المسكن الصحراوي ومميزاته فتقارب البيئة الصحراوية فيما بينها وتقارب العرف المعمول به في مجال العمارة السكنية وجعل الدين الإسلامي كموجه لها

بما يحفظ العلاقات الأسرية وكذا علاقات الجيران بين بعضهم البعض ويحفظ أسرار الناس وعوراتهم من خلال تخطيط المسكن وتوزيع عناصره المعمارية ما يتماشى وهذه القواعد وإن الاختلاف الموجود إنما يكمن في بعض المواد المستخدمة في البناء والتي تختلف من منطقة إلى أخرى بحسب العوامل الطبيعية وفي اختلاف تقنيات البناء مثل استخدام القبة في التسقيف في منطقة وادي سوف عكس منطقة الأغواط وبوسعادة التي تعتمد السقف المسطح أو المستوي أو في اختلاف بعض العادات والتقاليد التي تنعكس وتؤثر على تخطيط المسكن، مع الإشارة إلى أن المساكن في المناطق الصحراوية مزودة بمرفق صحي يستعمل كمكان للاستحمام والاغتسال يصطلح عليه بالمطهرة نسبة للتطهر من الأوساخ كما هو موجود في مسكن وادي سوف (الصورة رقم 17)، وفي مناطق أخرى يتم الاغتسال في إحدى غرف المسكن ويكون موضع المطهرة دائما في الطابق الأرضي. ويبقى المسكن هو المكان الذي يلجأ إليه جميع أفراد العائلة من أجل الراحة وتجديد العزيمة على مواصلة الحياة ولهذا فالحرص كل الحرص على جعله يتوفر على كل عوامل الراحة وضرورات الحياة وحتى الخيمة وإن كانت مسكنا متنقلا فهي تتوفر على كل ما يحتاجه الإنسان.

أولا: التخطيط المعماري للمسكن

إن ما يميز التخطيط المعماري للمسكن الصحراوي هو مطابقته لنظام وتخطيط المسكن الإسلامي حيث أن البيت الإسلامي هو في حد ذاته وحدة فضائية واحدة، وفي الوقت نفسه فضاء معماريا متعددا وهذا باعتباره ليس مسكنا فرديا بل هو مسكن جماعي يضم مجموعة أفراد منحدرة من أصل واحد، تربطهما صلاة رحم الدم[1].

كما يخضع المسكن الصحراوي في تخطيطه إلى عدة عوامل منها ما هو يتعلق بمواد البناء، ومنها ما يتعلق بالعوامل الطبيعي التي تؤثر في عدد الفتحات على الخارج ومن تأثير الشمس والرياح، ومنها المتعلق بالجانب الفقهي، وما يميز تخطيط المسكن هو البساطة وعدم التكليف[2] لارتباط ذلك بالعقيدة وذلك بعم التطاول في البنيان والالتزام بحرمة الجار وإتباع منهج الوسطية في اقتصاديات البناء والتشييد، وعدم الإشراف أو التفتير في استعمال الزخارف والتجهيزات، منذ عصر صدر الإسلام وفترة الخلفاء الراشدين[3].

وما ثبت تاريخيا من خلال العديد من الحفريات التي أجريت في بلاد الرافدين والشام ومصر أن المسكن الإسلامي أصوله قديمة تجمعت فيها خبرات هامة في مجال البناء وكذا التعمير لدى إنسان الشرق العربي استخلصها من الحضارات القديمة التي مرت بها البشرية كحضارة بلاد الرافدين، والإغريقية والرومانية إلى غاية العصر الأموي أين تأثر المسكن العربي بالدين الإسلامي وتأثرت معه العمارة والفنون وأسلوب الحياة،

1- عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ط1، 2011، ص، ص66، 67.

2- محمد الجزيراوي، المسكن التقليدي بقرى واحات منطقة نفزاوة بالجنوب التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، مجلة فصلية علمية متخصصة، السنة 05، العدد 19، البحرين، خريف 2012، ص127.

3- محمد رابح فيسة، المنشئات المرابطية في مدينة ندرومة، "دراسة تاريخية أثرية"، دار السبيل للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.ت، ص، ص159، 160.

فالدين الإسلامي ينص على عدم انتهاك حرمة الآخرين والاطلاع على عوراتهم والاستئناس عند الدخول لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1]، ويقول أيضا: ﴿**فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[2].

وقد جسد المعمار المسلم ما جاء من تعاليم ونصوص تحث على الستر والحرمة وعدم كشف العورات في عناصر المنشئات السكنية وأقسامها الداخلية فملا بتلك الأوامر والنواهي، وبالقاعدة الأصولية المعروفة لا ضر ولا ضرار[3]، فالمسكن يجب أن يظهر بتناسق واحد يدل على الوحدة الاجتماعية المستنبطة من الفكر العمراني للمسلمين من حيث المحافظة على الحرمات بعضا على بعض، والأمر بالمحافظة على حقوق الجيران وإعطاء كل ذي حق حقه ومنه يتحقق الاستقرار والراحة داخل المسكن[4].

كما تتدخل البيئة بشكل كبير في تخطيط المسكن وخاصة البيئة الصحراوية وما يؤثر فيها من ظروف وعوامل مختلفة تنعكس على التخطيط المعماري للمسكن.

1. المداخل: (انظر الصورة رقم 18 و 19 و 20)

وتسمى بالمجاز أو الدهليز وهو عبارة عن ممر يكون بوجه عام مستطيل الشكل مستقيما وغالبا ما يكون منكسرا يؤدي إلى الفناء، وتكون قمة المدخل عادية ربع كروية، ومحمولة على مقرنصات أو نصف قبة، ودخل الدار بفتحتين أي صار داخلها وصارت

1- سورة النور، الآية 27.

2- سورة النور، الآية 28.

3- محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص162، أنظر: عبد العزيز لعرج_العمران الإسلامي وعمارته السكنية قيم دينية ودلالات اجتماعية، حولية المؤرخ يصدرها المؤرخين الجزائريين، العدد 3-4، الجزائر، 2005، ص86.

4- محمد رابح فيسة، المرجع نفسه، ص، ص 162، 163.

حاوية له، ودخل في الأمر، أخذ فيه، والدخل بتشديد الدال وسكون الخاء يعني الإدخال[1] مصداقا لقوله تعالى:﴿ **قُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ...**﴾[2].

أما في المصطلح الأثري المعماري فإن المدخل هو الفتحة أو الباب الذي يدخل منه إلى المنزل ونحوه وهو عنصر معماري وجد منذ أن اهتدى الإنسان للبناء بشكل عام، وقد لعبت المداخل دورا هاما في تكوين واجهات العمائر الأثرية الإسلامية وكونت فيها عنصرا معماريا زخرفيا بالغ الأهمية، وغالبا ما ارتفعت أطره وعقوده وحناياه حتى بلغت علو جدران الواجهة أو تتجاوزها أحيانا، والمداخل في المسكن الصحراوي جاءت متوسطة الطول والعرض وكذا الارتفاع خاصة تلك المداخل المؤدية إلى داخل مداخل المساكن الفردية التي تسكنها أسرة واحدة، عكس المداخل توجد على المساكن المشتركة التي تجتمع فيها مجموعة من العائلات تربطهم روابط الدم وصلة الرحم أين نجد المداخل تتميز بكبر حجمها وهي مكونة في الغالب من مصراعين، سمح بدخول الحيوانات الخاصة بالنقل وحمل الأمتعة بالدخول إلى سقيفة المسكن، ولم يغفل المعماري عن شيء مهم وهو المحافظة على حركة المسكن ومن بداخله، ومن جعل هذه المداخل سببا في تغير الهواء الموجود داخل المسكن ومرافقه بانتقال التيار الهوائي من الفناء نحو الداخل خاصة في فصل الصيف وما تشهده المناطق الصحراوية من ارتفاع كبير في درجة الحرارة.

وما يساعد على دخول الهواء دون وصول الزوابع الرملية إلى هذه المداخل هو اتسام المنازل الصحراوية بالبساطة في بنائها مع التناسق التام وكذا التراص والتلاصق ويغلب عليها الطابع الديني والطبيعي وهذا ما قال به أحد الغربيين[3].

1- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص266.

2- سورة الإسراء، الآية 80.

3- Duveyrier (H), Sahara Algérien et Tunisien, paris, 1955, p.p 23, 25.

2. الأبواب:

الباب هو المدخل في سور مدينة أو واجه مسجد أو قصر أو جدار بيت أو بين الغرف وقد يكون الباب بمصراع (ضلفة) واحد أو اثنتين أو أكثر، وقد برع المسلمون في الأعمال الخشبية والمعدنية واستغلوا ذلك في صناعة الأبواب، ومن أشهر أنواع الأبواب العربي ما يسمى "بالسبرس" حيث تتألف ضلفة الباب من قائمين ورأسين فيهما حفر بالقرب من الوجه لتركيب ألواح السبرس المفرزة[1].

وما يميز الأبواب في المساكن الصحراوية أنها تتميز بالبساطة وهي مصنوعة من الأخشاب وجلها مصنوع من خشب النخيل، ويكون للمسكن بابين داخلي يفتح على الفناء (الحوش) الداخلي للمسكن، وخارجي يفتح على الزقاق أو الشوارع، ويفصل بين البابين ما يسمى السقيفة، أو ممر يكون على هيئة منكسرة تشبه حرف اللام الابتدائي "لـ" نهايتها الباب الداخلي والخارجي[2].

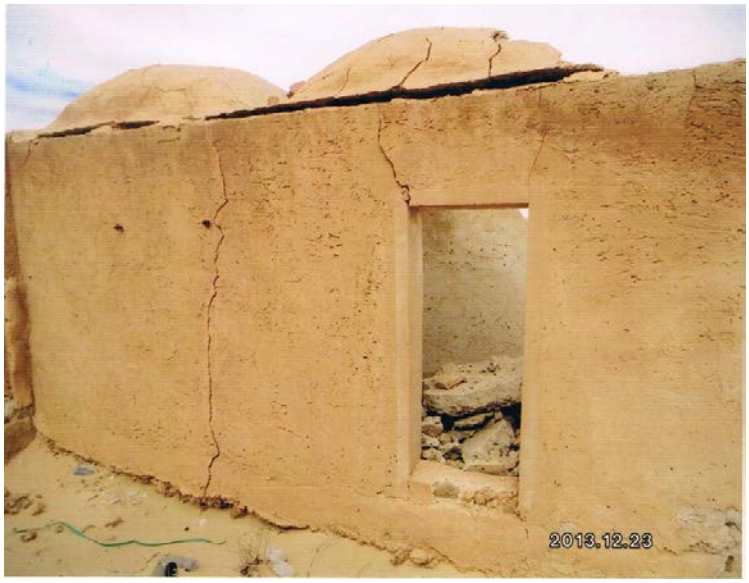

الصورة رقم (18): المدخل في مسكن وادي سوف

1- يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، مكتبة مدبولي، ج1، 1999، ص39.

2- محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص181.

الصورة رقم (19): المدخل في مسكن بوسعادة

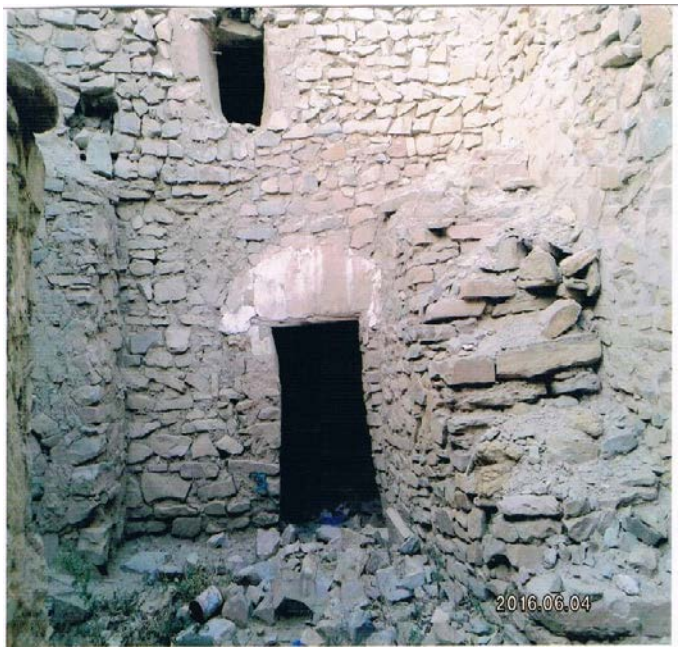

الصورة رقم (20): المدخل في مسكن الأغواط

3. النوافذ: (انظر الصورة رقم 21)

النافذة هي صفة للطاقة إذا كانت تخترق الحائط من جانب لآخر والطاقات على نوعين صماء، ونافذة فالأولى للزخرفة أو حفظ المتاع والأدوات وعرضها، والثانية تكون للتهوية والإضاءة والإشراف على الخارج، وقد تكون النوافذ ضيقة من الداخل واسعة من الخارج لتوسيع زاوية الرؤية من جهة وتخفيف كمية الإضاءة ومنع الأشعة المباشرة من الدخول[1]، والنوافذ هي ما يفتح في جدران البيوت سواء في الطابق الأرضي أو العلوي وهي تساعد في خروج الهواء الساخن من الحجرة ليحل محله الهواء البارد[2].

وفي المسكن الإسلامي كانت النوافذ الواسعة تطل على الصحن الداخلي والنوافذ الضيقة في الجدران الخارجية وذلك لأغراض مناخية ودينية واجتماعية فلا يجوز أن يتعرض داخل الدار لأنظار الفضوليين أو المارة من خارجه[3]، وما تتميز به النوافذ في المسكن الصحراوي أنها وجدت في الجدران الداخلية المطلة على فناء (حوش) المسكن إلا البعض منها من وجد في الجدران الخارجية وتكون في أعلى الجدران حفاظا على حرمة من بالمسكن، ومنعا لدخول الفوضى والضوضاء المنبعثة من الشارع، وكذلك منعا من خروج أصوات النساء اللائي هن موجودات بالداخل وفي الغالب رأينا أن النوافذ التي وجدت في الجدران الخارجية حجمها صغير مقارنة بتلك التي وجدت في الجدران الداخلية والمطلة على الصحن أو الفناء، وقد يرجع ذلك إلى اعتبارات عدة وعلى الأرجح أن تكون مرتبطة بالجانب المناخي وهذا لكثرة الزوابع الرملية في المناطق الصحراوية خاصة في الفصل الذي تكثر فيه الرياح كشهر فيفري ومارس والنوافذ الصغيرة تحول دون دخول هذه

1- يحي وزيري، المرجع السابق، ص65.

2- بريشي درويش، تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان، "دراسة فنية أثرية"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، شعبة الثقافة الشعبية، تخصص الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2011-2012، ص31.

3- يحي وزيري، المرجع السابق، ص65.

الرياح والزوابع إلى داخل المسكن، كما لها علاقة بالجانب الديني –كما ذكرنا سابقا– وبالنظر إلى هذه الاعتبارات فالحكمة منها دائما هو الحفاظ على الروابط الاجتماعية والعلاقات بين الأسرة وبين الجيران لضمان التواصل والاستمرارية لهذا التجمع السكاني.

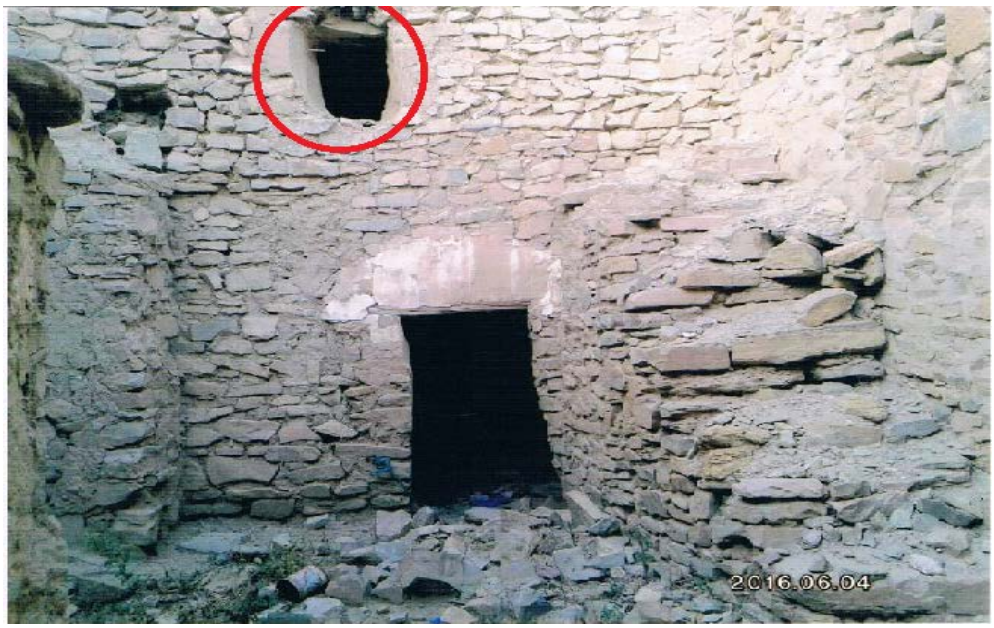

الصورة رقم (21): النوافذ في مسكن الأغواط

ثانيا: العناصر المعمارية

1. عناصر الرفع والدعم: (انظر الصورة رقم 22)

- **الأعمدة:**

العمود هو ما يدعم به السقف أو الجدران وللعمود تسميات عدة، عمود في المشرق وسارية في المغرب، وشمعة في لبنان، وأسطوانة على لسان بعض الكتاب، أما في العصور الإسلامية والمبكرة منها استعملت جذوع النخيل كأعمدة في مسجد رسول الله ρ، وبعد ذلك لجأ المسلمون إلى الاستعانة بمخلفات المباني التي تعود للحضارات القديمة كالرومانية والبيزنطية وغيرها، خاصة في تشييد القصور، ولكن سرعان ما اعتمد المسلمون على أعمدة ذات تصميمات نابعة من الفن الإسلامي نفسه، وهنا تنوعت أشكال

الأعمدة الإسلامية ما بين الشكل الدائري والمثمن وكذا المستطيل، كما عرفت العمارة الإسلامية الأعمدة ذات الشكل نصف دائري أو ثلاثة أرباع لدائرة، كما نجد بعضها ألصق بالجدران للتدعيم حينا وللزخرفة حينا آخر خاصة عند استعمالها على جانبي الأبواب والمداخل[1].

وفي المساكن الصحراوية نجد أن الأعمدة قد استعملت من جذوع النخيل وهذا راجع إلى توفرها بكثرة في المنطقة وملائمتها للطبيعة، كما اعتمد البناء على أعمدة بنيت من الحجارة والتبن أو الطوب سمكها يتجاوز أحيانا 50 سم خاصة الأعمدة التي يحمل عليها السقف الأول وسقف الطابق الثاني، وجل الأعمدة رأيناها في المساكن الصحراوية هي جزء من الجدران إلا البعض منها والتي صنعت من جذوع بعض الأشجار وكانت موضوعة لحمل بعض الأسقف والتي يعتقد أنها ذات وزن زائد.

وفي المناطق الصحراوية الأعمدة والدعائم تنجز بطريقة البناء بمادة الحجر المتوسط الحجم ذي الشكل المسطح وهذا ما سهل على البناء بناءها وبأي شكل أراده من الأنواع المذكورة[2]، وهناك الأعمدة التي استخدمت في القاعات الواسعة التي لا توجد بها أخشاب طويلة لحمل سقفها حيث ويضع فوق العمود تاج بسيط عبارة عن كتلة من الحجارة، وأحيانا يكون العمود خشبي، ويعلوه تاج من الخشب يصل عرضه أحيانا إلى 50 سم ليكون حمله أكبر[3].

1- يحي وزيري، المرجع السابق، ص49.

2- محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة....، ص137.

3- بريشي درويش، المرجع السابق، ص28.

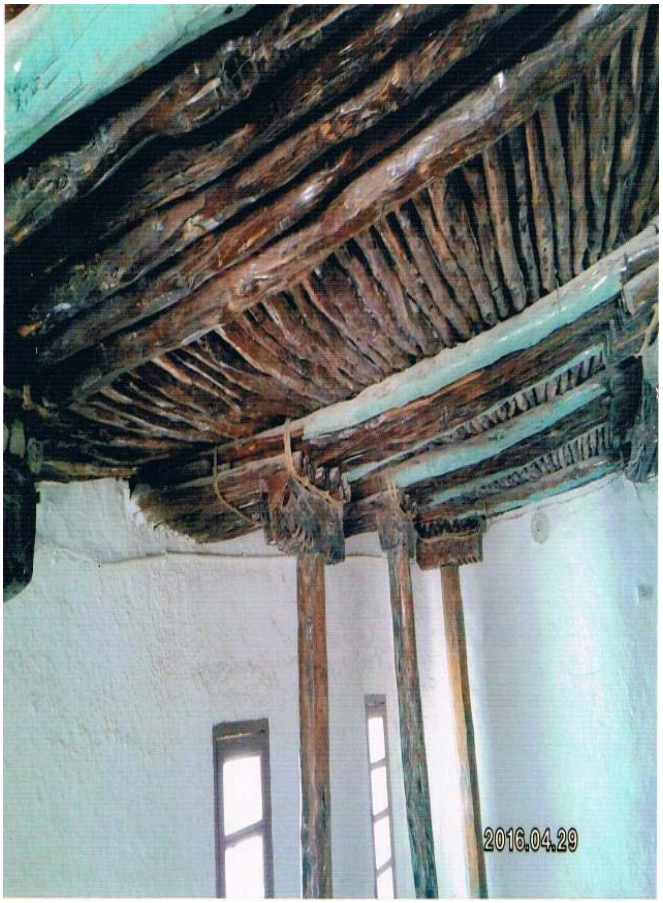

الصورة رقم (22): الأعمدة الحاملة للسقف مسكن بوسعادة

- **الدعامات:**

هي عنصر معماري جديد في العمارة الإسلامية، وقد استخدم لأول مرة في قبة الصخرة سنة 691م، ثم حصل تطور كبير فيها فظهرت بشكل جديد وفريد من نوعه في جامع سامراء الكبير سنة 778م[1]، وفي المسكن الصحراوي وجدت الدعامات في الغرف الكبيرة الحجم.

1- بريشي درويش، المرجع السابق، ص29.

2. نظام التسقيف:

تختلف أشكال الأسقف حسب ما استعمل من مواد البناء، وعلى حسب البيئة ومؤثراتها وخاصة الأمطار، ولهذا جاءت الأسقف متعددة وقد تنوعت في المباني الإسلامية، فنجد الأسقف المسطحة كما في مسجد قرطبة، والأسقف المهرمة كما في أروقة المسجد الأموي، والمقببة في قصر المشتى وقصر حمراء، أما من حيث المادة فلقد استعمل الحجر والطوب في بناء القباب والأقبية، وظهرت القباب الحجرية، واستعملت الأسقف الخشبية، حيث كانت هذه الأسقف تتكون من عروق خشبية يتم تثبيت ألواح خشبية عليها ثم توضع طبقة من الحصر عليها يعلوها طبقة من كسر الطوب ومونة الجير والذين ثم تثبت عليها بلاطات من الحجر الجيري بمونة الجبس[1].

أما نظام الأسقف في المساكن الصحراوية فهي تتميز بأنها مسطحة في الغالب خاصة تلك المساكن التي لها أكثر من طابق، وهناك أسقف تكون مقببة لعامل الطبيعة كالتي توجد في صحراء سوف، وهناك تختلف المواد المستعملة في التسقيف بين النظام الأول الذي يتكون من الأخشاب وجذوع النخيل وجريدها، والقصب على شكل حصر تمنع تسرب الطين ويكون السقف موضوعا بإحكام فقد يكون أرضية لمسكن علوي، أو سطحا لمسكن يؤدي دورا ووظيفة أخرى، أما الأسقف المقببة ففي الغالب تكون مادة السقف من وردة الرمال أو حجارة كلسية وتطلى بمادة الجبس من الداخل لتعطي شكلا أملسا بلون أبيض.

والقبة: بناء دائري المسقط مقعر من الداخل مقبب من الخارج (انظر الصورة رقم 23 والشكل رقم 06)، والقبة هي أحد الأشكال الخاصة التي استخدمت في تغطية أسقف كثيرة من المباني على مر العصور، وما يرجح أن القباب الأولى نشأت في بلاد ما بين

1- يحي وزيري، موسوعة العمارة الإسلامية...، ج1، ص334.

النهرين والشرق الأدنى، كما أن العمارة الرومانية وكذا البيزنطية عرفت القباب واستعملتها في مبانيها، أما في العمارة الإسلامية فكان استخدام القباب رؤية خاصة ولم يكن لها علاقة بيئية أو مناطية أو إنشائية أو وظيفية فقد بل وأيضا رمزا روحيا يرمز إلى السماء خاصة في المباني الدينية كالمسجد، حيث تعتبر صورة مصغرة لما كان يراه العربي في صحرائه من اتساع الأفق واستدارة السماء من فوقه مصداقا لقوله تعالى: ﴿**اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**...﴾[1]، ولهذه الرؤية الإسلامية للقبة جاءت استعمالاتها مميزة وفريدة عما سبقها من قباب الحضارات السابقة وتعتبر قبة الصخرة ببيت المقدس والمشيدة سنة 72هـ أقدم مثال للقبة في تاريخ العمارة الإسلامية، كما أن للقبة أشكال كثيرة ومتنوعة: الكروية، والبيضاوية، والبصلي، والهرمي...وغيرها من الأشكال التي تتناسب وحجم ومساحة المسكن وسقفه المغطى[2] .

الصورة رقم (23): شكل القبة بمسكن وادي سوف

1- سورة الرعد، الآية 2.

2- يحي وزيري، موسوعة العمارة الإسلامية، ج1، ص79.

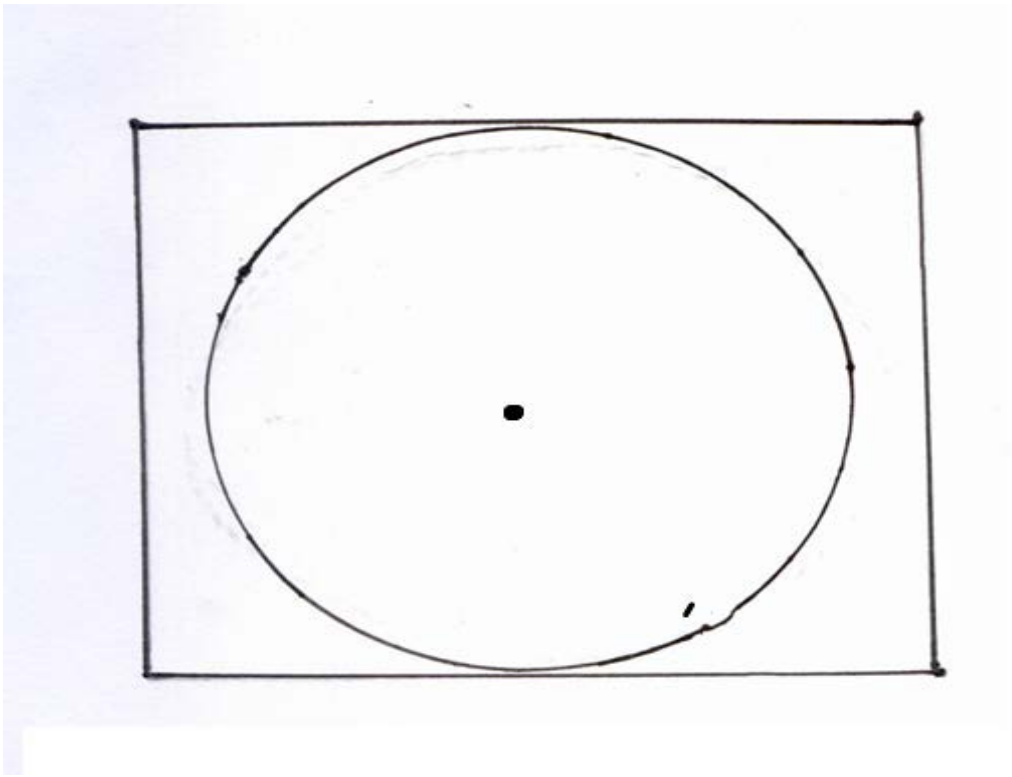

الشكل رقم (06): شكل مسقط القبة في مسكن وادي سوف

3. العقود: (الصورة رقم 24 ، الشكل 07 و 08)

العقد عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر، ويشكل عادة فتحات البناء أو يحيط بها، ويتألف العقد من عدة حجارة كل واحدة تسمى فقرة أو صنمة، واستعملت العقود في العمارة الإسلامية بأشكال مختلفة، منها العقد الدائري، والمدبب، وعقد حدوة الفرس، والعقد المفصص، وعقد التخفيف[1]، أما العقود التي تستعمل في المساكن الصحراوية فهي بين العقد الدائري وهذا لسهولة الحصول عليه بوسائل وتقنيات بسيطة وكذا حدوة الفرس، وعقد التخفيف خاصة في منطقة وادي سوف لأن من العقود التي يحمل عليها البساط داخل الفناء (الحوش) المستغل في الجلوس في فصل الصيف وما يوفره لأهل المسكن من هواء بارد وظل، والعقود المشكلة لسقف بعض المساكن التي بنيت داخل القصور مثل قصر تمرنة القديم.

1- يحيى وزيري، المرجع السابق، ص61.

4. توزيع الوحدات المعمارية للمسكن:

المسكن الإسلامي يستجيب إلى عدة مطالب في تصميمه الداخلي، وتكون أحيانا متضاربة ومن ذلك استقبال الضيوف وإكرامهم مع ضرورة المحافظة على حرمة من بالبيت وعدم تكشف الغرباء عليهم، ويجمع المسكن أحيانا عدة عائلات وفقا لترابط الأنساب ويتم التصميم بحيث يسمح بتقييد العلاقات بين الجنسين وفق ضوابط شرعية، ومن هنا جاء عزل بيت الضيوف عن باقي الغرف سواء من حيث المدخل أو المرافق[1]، وحال هذا التصميم ينطبق على تصميم المساكن الصحراوية الذي جاءت وحداته المعمارية كما يلي:

- **المدخل المنكسر أو السقيفة:**

ويطلق عليه أيضا مصطلح المجاز: وهو عبارة عن ممر يكون وبجه عام مستطيل الشكل مستقيما وفي الغالب يكون منكسرا يؤدي إلى الفناء، ويظهر هذا العنصر المعماري في جميع مساكن المدن الإسلامية ويكون عادة على شكل حرف اللام الابتدائي (L) اللاتيني فيكون طويلا ثم ينحرف إلى اليسار أو اليمين ثم يتصل بالصحن[2].

ويشير الأستاذ الباحث في الآثار الإسلامية محمد الطيب عقاب أن وراء الباب عنصر إنشائي معماري له عدة معاني سواء بالنسبة للإنسان أو بالنسبة للمبنى نفسه، أما بالنسبة للإنسان فإنه لا يتعرض للتيار الهوائي، على اعتبار أن المنطبقة يغلب عليها مناخ حار والداخل إلى المسكن وعليه درجة عالية من الحرارة قد يتأثر بالتيار الهوائي وإذا لم يكن هناك حاجز لكسر ذلك التيار وبالتالي تنتابه أعراض صحية قد تلزمه البقاء في البيت لمدة حتى يتماثل للشفاء أي تصيبه ضربة برد كما يصطلح عليها في المنطقة.

1- محمد موشموش، المرجع السابق، ص319.

2- نفسه، ص321.

أما بالنسبة للمسكن نفسه، فالسقيفة تجعل البناء والمسكن متينا قويا وهذا من خلال تقسيم المساحة إلى عناصر بنائية متوسطة الحجم، على اعتبار أن مادة البناء في معظمها عضوية خاصة مادة التسقيف ولهذا لا يمكن جعل السقيفة أو المدخل المنكسر ذا مساحة واسعة طولا أو عرضا، وتقسيمها قد يوفر وحدات إنشائية إضافية تدخل كلها في مرافق معيشية، وبحجب من بالحوش ويحمي أيضا الرواق الذي تزاول فيه أعمال كثيرة كغزل الصوف وغيرها من الأعمال[1].

كما يعمل المدخل المنكسر على التقليل من مرور الصوت من الداخل إلى الخارج أو العكس، بالإضافة إلى تمكين النساء من الاحتجاب في حال قدوم الغريب وهذا احكم أن الفناء هو محور ومركز كل نشاطات المسكن بالنسبة للمرأة المسلمة التي تحرص كل الحرص على ألا يراها شخص أجنبي ومن غير محارمها وهي متكشفة[2]، وبالسقيفة ينتظر الغريب عن الدار حتى يؤذن له صاحب البيت بالدخول، وبها توضع طاحونة حجرية لسحق الحبوب الجافة[3]. وقد يكون هناك مدخل مستطيل مسقف يوصل إلى مجموعة من مداخل المساكن حتى لا تتجه مباشرة نحو الدرب أو الشارع مثلما وجد في منطقة الأغواط (انظر الصورة رقم 25).

1- محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة، ص، ص77، 78.

2- محمد موشموش، المرجع السابق، ص322.

3- علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط...، ص246.

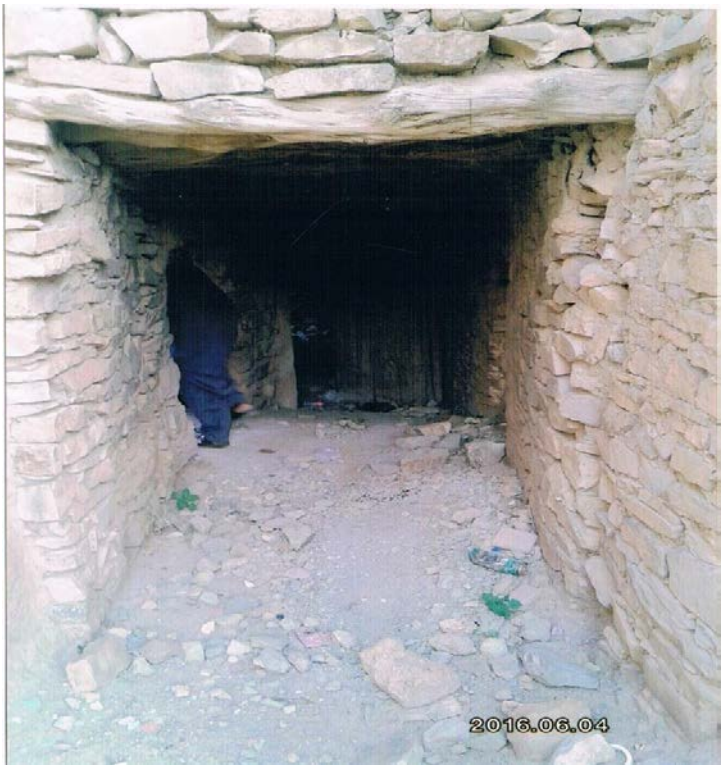

الصورة رقم (25): المدخل المؤدي إلى سقيفة مجموعة من المساكن بمنطقة الأغواط

- **المطبخ:** (انظر الصورة رقم 26 و 27 ، الشكل رقم 09 و10)

وهو عبارة عن غرفة عادة ما تكون صغيرة الحجم، وتوجد في الغالب في الطابق الأرضي من البيت، وتتميز المطابخ عن بقية الغرف باحتوائها على مداخل تشغل إحدى الزوايا على غرار ما عرف بالبيوت الإسلامية[1]، ومداخن هذه المطابخ على شكل أنبوب تنتهي في أعلاه بثقب يسمح بخروج الدخان إلى الخارج[2] ويكون بشكل منكسر يمنع دخول الرياح التي قد تسبب في إطفاء المطبخ، ويضيف الأستاذ الدكتور علي حملاوي[3]

1- فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة.

2- علي حملاوي، نماذج من قصور...، ص249.

3- نفسه، ص249.

-رحمة الله عليه-أن المداخن تكاد تكون موجودة في جميع الغرف بالقصور الصحراوية وهذا بغرض التدفئة أثناء فصل الشتاء[1].

ويتميز المطبخ بوجود موقد به حفرة صغيرة تحيط بها ثلاث أحجار متساوية المقاسات يصطلح عليها بالمناصب جعلا خصيصا لتوضع عنهم القدر أو الطاجين وهي أدوات مصنوعة من الفخار، كما يتم استغلال جدران الموقد ومدخنته في إنشاء مرافع وكوات بأشكال هندسية مختلفة منها المثلث والمربع وهذا لتوضع فيه أغراض المطبخ وتحفظ فيها بعض الأطعمة ومنها ما يوضع فيه السرج المخصص للإنارة.

صورة رقم (26): الموقد في مسكن الأغواط

1- وجود المداخن في غرف المساكن الصحراوية ظاهرة وقفنا عليها خلال الزيارة الميدانية لمناطق الدراسة وقد أكد لنا رئيس جمعية حماية التراث بتمرنة القديمة الأستاذ بوخزة عبد الباسط أن وجود المداخن سببه التدفئة لبرودة الطقس ليلا في الصحراء لقاء بتاريخ 25 نوفمبر 2014، على الساحة 09.30.

صورة رقم (27): الموقد في مسكن واد سوف

- **الكنيف:** (انظر الشكل رقم 11)

وهو المرحاض، وهي أماكن معزولة عن جناح المعيشة ومحجوبة عن الأنظار حتى يتمكن الفرد من قضاء حاجته دون إحراج، أما من حيث شكلها وتصميمها فكانت بسيطة للغاية، وهي عبارة عن قاعة يصعد إليها بدرجات تحتوي بداخلها على ثقب أو أخشاب موضوعة بطريقة طولية وعلى مسافات متباعدة قليلا تمكن من الجلوس عليها وقضاء الحاجة دون عناء ومشقة، وذلك بوضع رجل على خشبة والثانية على خشبة أخرى، وما يميز هذه المراحيض في أغلب الأحيان أنها تطل على الشارع حتى لا تتسبب في إذاية الجيران، ولها فتحة مغلقة يتم نزع مجارتها بكل سهولة أثناء عملية تفريغها لتستعمل كأسمدة للفلاحة والزراعة[1].

1- علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط...، ص250.

وقيل أن المرحاض بكسر الميم وسكون الراء –جمع مراحيض–المغتسل من رحض الرجل يده بفتح الراء والخاء، بمعنى غسلها والمرحاض أيضا خشبة يضرب بها الثوب عند غسله وموضع الغدرة والكنيف، والمستراح، ودورة المياه والمطهرة ومكان قضاء الحاجة للإنسان.

أما المرحاض في المصطلح الأثري المعماري فهو موضع الخلاء الذي يبنى للغائط، وهو حجرة صغيرة تقام عادة في إحدى زوايا البيت المناسبة بعيدة عن بقية حجراته أو مرافقه الأخرى، وقد راعى المعماري المسلم أن يجعل المرحاض في موضع يخالف اتجاه الريح حتى لا تدخل رائحته إلى داخل البناء فتؤذي من فيه ولهذا جعلها دائما بعيدة عن صحن البناء أو حرمه، وللمرحاض أسماء كثيرة منها بيت الراحة فالإنسان يستريح فيها من التعب الذي تسببه له الفضلات المحبوسة في أمعائه، والكنيف من الكنف بمعنى الجهة أو الناحية أو الساتر فالإنسان يستر فيها لقضاء حاجته بعيدا عن الأنظار[1]، وما يميز المسكن الصحراوي أن المرحاض فيه ما هو خاص بالضيوف ويكون بجانب غرفة الضيوف، وفيها الخاص بأهل البيت ويكون في الغالب بعيدا عن غرف المسكن وله فتحة في الشارع ليتم تفريغها عند امتلائها[2]، كما يسمى بالخربة في منطقة وادي سوف لاتخاذ المباني المهجورة لهذا الغرض[3].

وفي مفهوم آخر ذكر أن الكنيف معماريا هو عبارة عن حفرة مربعة أو مستطيلة الشكل تستخدم كمجمع للفضلات وتحاط بجوانبها بالحجارة فيها يستعمل جذع النخيل في تسقيف الحفرة إلى جانب الحجارة الصغيرة لتترك فتحة تأخذ الشكل المستطيل ليبنى فوقها

1– عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص276.

2– عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان، 1958، ص328.

3– حسونة عبد العزيز، عمارة مدينة قمار...، ص81.

المرحاض في محلة أخيرة[1]، ومن هذه المفاهيم ورغم وجود اختلاف في التسمية من مرحاض إلى الكنيف إلى دورة المياه ولكن وظيفيا لها نفس الدور والغاية والهدف من إنشائها هو توفير مكان بعيد عن الأنظار لقضاء الحاجة دون أن تكشف الإنسان أمام الآخرين وحفاظا على عورات الآخرين خاصة النساء (انظر الصورة رقم 28 و 29).

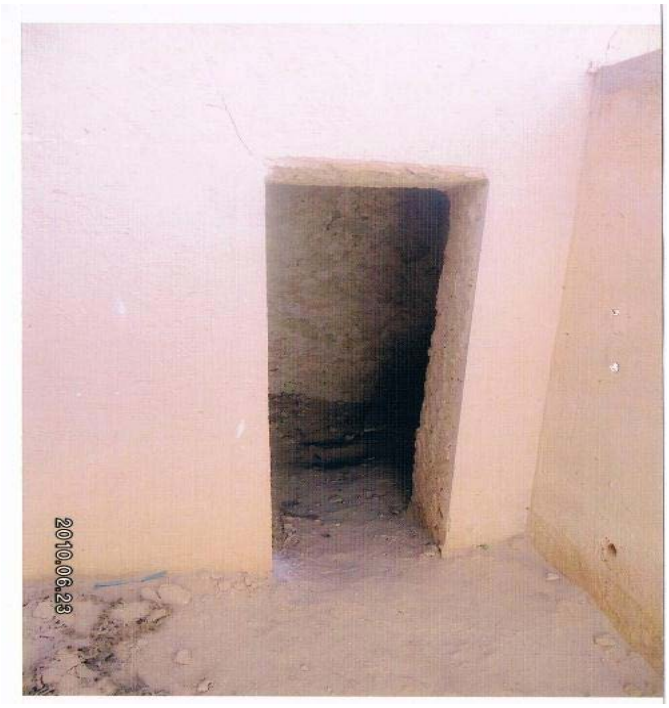

الصورة رقم (28): الكنيف في وادي سوف

1- محمد جودي، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر، دراسة تحليلية مقارنة لقصور ميزاب وورقلة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلم تخصص علم الآثار والمحيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2013-2014، ص28.

الصورة رقم (29): الكنيف في الأغواط

- **الغرف:**

وهي حجرات المسكن وهي مختلفة المقاسات ولا تتجاوز أحيانا ثلاث أمتار وهذا بسبب جذوع النخيل المستعملة في السقف، وتتوزع الغرف حول وسط المسكن وتمتاز بالبساطة والاستطالة وضيقها وعدم وجود زوايا قائمة بها وجدرانها ليست على استقامة بسبب عدم انتظام البيت بصف عامة[1].

وهي ضرورة أملتها ظروف عمرانية بحتة مثل ضيق الشوارع وتعرجاتها وانكسارها أحيانا، كما تخلوا الغرف من الفتحات باستثناء باب المدخل مما يساعدها على اختزان

1- نجاة قناطي وحنان بوناب، الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية، القصر القديم بمدينة الأغواط، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية، تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية، ص37.

الهواء البارد لفترة طويلة من اليوم، واحتوت الغرف على كوات فتحت في الجدران أعدت خصيصا لوضع الأغراض وأدوات الزينة الخاصة بالمرأة[1].

وما يتحكم في عدد غرف المسكن هو عدد أفراد الأسرة أو العائلة وهو ما يؤثر على مساحة المسكن وما به من مرافق خاصة غرفة الضيوف وغرفة رب الأسرة أو العائلة والحوش وغرف النوم وغرفة الخزين، ومساحة الغرف وحجمها تخضع دوما للخشب المستعمل في التسقيف كخشب النخيل أو خشب العرعار والتي لا يتجاوز طولها المترين والنصف، إلا في حالات تستدعي الضرورة أن تكون الغرفة كبيرة وهنا يقوم المعماري ببناء جدران ليكون سندا ترتكز عليه الأخشاب[2].

- **غرفة التخزين:** (انظر الصورة رقم 30)

الصورة رقم (30): غرفة التخزين في مسكن وادي سوف

وهو الغرفة المخصصة للتخزين، حيث تتميز هذه الغرفة بعدم اتساعها مقارنة بالغرف الأخرى وتحتل موقعا بعيدا عن الأنظار، ويكون أبرد مكان فيها وأقل عرضة

1- علي حملاوي، من قصور منطقة الأغواط...، ص248.

2- نفسه، ص248.

للشمس، حيث تحفظ فيها المؤن والمواد الضرورية كعتاد الفلاحة[1]، كما يطلق عليها اسم دار الخزين في منطقة وادي سوف، وهي مرفق ضروري يدخر فيها التمر والحبوب خاصة وكل مؤونة العام من شحوم ودهون ومن أنوع الخضر المجففة، ويكون موضع دار الخزين عادة في الركن الجنوبي الغربي من المسكن، مما يجعلها أقل تأثرا بحرارة الصيف، وبشكل خاص تكون ملاصقة للسباط وتفتح عليه، في الغالب، وتتكون دار الخزين من عنصرين أساسيين هما[2]:

- **الخابية:** (انظر الصورة رقم 31)

أو الخابئة من خبأ الشيء أي ستره، وهي المكان الذي تخبأ وتخزن فيه مزروعات الأرض والغلال[3]، والخابية عبارة عن جسم أسطواني في شكل جرة ضخمة مصنوعة من الجبس ذات قاعدة عريضية ومسطحة تجعل لها في الأعلى فتحة ضيقة نسبيا وتسد بغطاء من ليف النخيل لمنع دخول الحشرات أو الجرذان وتكون في مستوى مرتفع عن سطح أرضية الغرفة، ويوضع فيها قوت السنة من التمر فيبقى على حاله من الطراوة والنقاء دون إصابته بالتلف، ويجعل في أسفل هذه الخائبة فتحة بها قهبة يخرج منها عسل التمر المضغوط والذي يجمع في قلة أو جرة صغيرة ليخزن ويستعمل كغذاء، وهو ما يصطلح عليه اليوم برب التمر وله فوائد كثيرة[4].

المخزن أو كما يسمى في مناطق أخرى من الصحراء بالحد ويكون إلى جانب الخابية يشكل مربع تقريبا وبمقياس 1م× 1م حيث يدخر فيه الحبوب من شعير أو قمح أو تمر ومن الصوف، والزيت والشحوم والدهون المستخرجة من لبن الماعز التي تحفظ

1 ملكية مكاس، المسكن التقليدي بقلعة بني عباس ببجاية، دراسة تاريخية أثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2008-2009، ص66.

2- عبد العزيز حسونة، عمار مدينة قمار...، ص، ص79، 80.

3- ابن منظور، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص1085.

4- عبد العزيز حسونة، عمارة مدينة قمار، ص 80.

في جرار صغيرة مصنوعة من الفخار أو الطين وأحيانا من الجبس[1]، ويستغل مساحة المخزن أن يبنى أحد أركانه مربع بمقاسات 0.2م طول و1.50م عرض وارتفاع يصل إلى 0.70م له سقف وفتحة صغيرة توصل إلى داخله بمقياس 0.50م على 0.50م ، وقد لست جدرانه بالجص من الداخل والخارج وقد يكون الدافع إلى بناءه بهذا الشكل هو استغلال مساحة المكان للتخزين وللنوم على سطحه وقت الحاجة.

الصورة رقم (31): شكل الخابية بمسكن وادي سوف

- **الحوش (الفناء):**

وهو الساحة أو الفناء المكشوف يقابلنا بعد اجتياز المدخل والسقيفة مباشرة وغالبا يكون الحوش مستطيلا، حيث يبقى الداخل إلى المسكن ينظر داخل السقيفة حتى يأذن له بالدخول ويطلق عليه بالمراح في الصحراء[2].

1- نفسه، ص81.

2- حنان عطية، دراسة تحليلية وصفية لقصر أربوت، ولاية البيض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2010-2011، ص64.

والفناء هو مركز المنزل أو قلب المسكن ويعتبر أصيل في العمارة السكنية ويرجع وجوده في الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية وحضارة بلاد الرافدين وكذا الحضارة الإغريقية، ووجد في مساكن العرب قبل الإسلام لكن كانت في مقدمة المسكن وقد استفادت الحضارة الإسلامية من تخطيط الحضارات السابقة مادام ذلك لا يتعارض ولا يختلف مع تعاليم الشريعة الإسلامية وعقيدتها، وأصبحت مساكن المسلمين لا تخلوا من هذا العنصر المعماري الذي تعددت فوائده على الإنسان من جهة وعلى المسكن في حد ذاته من جهة أخرى[1]، ولكن مساحته تختلف من مسكن إلى آخر على حسب المساحة الكلية للمسكن.

ويكون الفناء منفتح على السماء تجده المرأة المسلمة كعامل للتواصل مع العالم الخارجي وعبره تصل أشعة الشمس إلى داخل المسكن وغرفه فتجدد الهواء وتزيل الاكتئاب والملل عن من بالمسكن من النساء خاصة بوجود الأزهار والأشجار وكذا النافورة التي تتوسد الفناء[2]، ووجود البئر في أغلب المساكن، وما يلاحظ في المساكن الصحراوية أنها لا تخلوا من الفناء، حتى المساكن المبنية في الواحات يوجد فيها الفناء.

وذهب عاصم محمد رزق إلى الاتفاق حول المعنى السابق للفناء (الحوش)، ولكنه يضيف أن الحوش بضم الحاء وجمعه أحواش هو شبه الحظيرة والمحل الواسع المسور تنحاش فيه الأنعام والدواب[3]، حيث أن الإنسان كان اعتماده على تربية الحيوانات فهي مصدر رزقه وعيشه وهي من تساعده على فلاحة الأرض فكانت تسكن معه حيث يخصص لها جزء من الفناء (الحوش) ويكون الدخول إليه عبر مدخل يكون في الجهة الخلفية (غربا) للمسكن وهذا من يحافظ على مسكنه جهة المدخل والسقيفة.

1- محمد موشموش، المرجع السابق، ص327.

2- نفسه، ص328.

3- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص87.

- **السطح:**

هو ظهر البيت والمسكن إذا كان مستويا لانبساطه، والجمع سطوح...وسطح البيت يسطحه سطحا وسطحه سور سطحه[1]، والسطح يعلو المساكن وهو فضاء مفتوح بالكامل حيث يستغل في العادة لبعض أنشطة الأسرة فينتفع به في الإبراد أيام الحر والتدفئة أيام البرد، كما يستعمل السطح لنشر الغسيل في كل الفترات، ومجلسا للأسرة صيفا في السهرات الليلية[2]، ولحماية هذا الفضاء وحفظ خصوصيته والحفاظ على حرمة الجيران وأهل المسكن اقتضى ذلك إقامة جدران يكون ارتفاعها مناسبا لمطلب السترة يصل ارتفاعها إلى 1.5 متر وهو ما يمنع التطلع على السطوح المجاورة[3]، ويلجأ إلى السطح للنوم صيفا هروبا من حرارة الغرف الضيقة، كما تستغل الأسطح في نشر الزروع خاصة بوجود مخازن تكون أحيانا في السطح، وفي المساكن الصحراوية يكون للسطح دور كبير في حياة الأسرة خاصة في الأعياد والمناسبات وجلسات السمر عند النسوة دون الرجال، ويتم الصعود إلى السطح عن طريق سلم ينطلق من وسط المسكن.

1- ابن منظور، المصدر السابق، مج4، ص425.

2- محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص، ص 170، 171، أنظر: عبد العزيز لعرج، العمران الإسلامي وعمارته السكنية قيم دينية ودلالات اجتماعية، حولية المؤرخ يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3-4، الجزائر، 2005، ص، ص93، 94.

3- محمد موشموش، المرجع السابق، ص328.

أولا: مواد البناء

وهي المواد المستخدمة في البناء، وتختلف أنواع مواد البناء خلال العصور المختلفة لبناء الأبنية والشوارع والمنشئات المختلفة في العصر الحالي، فلا يخلو بناء مشيد من مواد بنائية لعبت دورا أساسيا في بنائه وتكوين شكله المعماري فمن خلال هذه المواد ومن خلال هذه الأساليب، وكذا الوسائل والأدوات المستعملة في توظيف وتنفيذ هذه المواد يؤثر الإنشاء على الشكل المعماري فلكل مادة خصائص ومميزات تستوجب استعمالات معينة وتفرض نفسها على الشكل.[1]

فكل منطقة تستخدم مواد خام تتوافق وطبيعة كل منطقة فهي مواد لا تتجاوز في مجملها الحجارة والطين والرمل واللبن والخشب والتين والحصى والرماد والماء وغير ذلك من المواد الأخرى التي تستخدم في البناء بشكل جزائي أو استثنائي كالخيوط والليف والحصر.

ومواد البناء تؤدي دورا أساسيا في تكوين الشكل المعماري فمن خلالها ومن خلال الأساليب والوسائل والأدوات المستعملة في توظيف وتنفيذ هذه المواد يؤثر الإنشاء على الشكل المعماري فلكل مادة خصائص ومميزات تستوجب استعمالات معينة وتفرض نفسها على الشكل، ولأن العمارة قد تمت في بيئات مختلفة خاصة من حيث مواد البناء واختلفت عمارتها هي الأخرى حيث اعتمدت على مواد بنائية توفرها البيئة المحلية[2]، فهذه المواد المحيطة بساكن المبنى مهمة جدا لتوفير الوقاية من العوامل الطبيعية ولهذا نجد الإنسان يختار بعناية كبيرة مواد الجدران والأسقف وسمكها بحيث يتناسب ذلك مع الخواص الفيزيائية بالنسبة للتوصل الحراري، والمقاومة وكذا الإنفاذ الحراري وعاكسية الضوء،

1- معروف بلحاج، العمارة الإسلامية مساجد ميزات ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2007، ص 262.

2- محمد جودي، المرجع السابق، ص295.

ولمواد البناء المستخدمة في بناء الحوائط أهمية كبرى، حيث أنها المسؤولة على تحديد المدة الزمنية لانتقال الحرارة من الجو الخارجي إلى داخل المبنى، ولقد حرص المسلمون على اختيار مواد البناء المتوفرة في البيئة الملائمة في الوقت نفسه للمناخ الحار خاصة ما كان منها ذا كفاءة عالية من العزل الحراري[1]، ولأنه دائما نجد البيئات التي تم فيها البناء مختلفة من حيث مواد البناء اختلفت عمارتها لأنها اعتمدت على مواد بنائية وفرتها تلك البيئة[2].

والهدف من تشييده لمسكنه دوما هو أن يجد لنفسه مأوى يحتويه ويحتوي نشاطاته، ويحميه من الأخطار أيا كان مصدرها، وكان لا بد لهذا المأوى أن يكون ملائما للنشاط الإنساني الذي يحتويه من حيث انسجامه فراغيا مع نوع هذا النشاط وكان لابد أن يكون المبنى متينا قويا ليوفر الراحة النفسية والجسدية لمستعمله، وقد لجأ الإنسان البدائي إلى الاستقرار والسكن في الأمكنة الطبيعية (المغارات والكهوف)، بعدها التجأ إلى ما حوله من مواد استعملها في البناء مما مكنه من معرفة خصائصها، ومنه معرفة محيط الإقامة والمعروف أن الإنسان في طريق بحثه عن حقيقة الإنشاء، استعمل الطبيعة المحيطة به فاستعمل أغصان الأشجار وجذوعها وأوراقها وجلود الحيوانات في تغطية الأسقف، وقد استعمل الخيزران والطين وارتفع بأكواخه على أعمدة من جذوع الشجر، ثم استعمل بعد ذلك الحجر الغير منتظم وشيئا فشيئا بدأ تنظيم هذه الأساليب فكان اللبن من الطين والقش وكانت الجدران الكاملة والعقود والقباب والأقبية وتطور الإنشاء بالحجر ثم بالآجر وتنوعت مواد البناء تنوعا مختلفا[3].

1- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية....، ص222.

2- بلحاج طرشاوي، تأثير العوامل المناخية على العمارة، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، العدد 1، 2012، ص37.

3- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية...، ص224.

ويرجع اختيار مواد البناء إلى عدة أسباب اعتبارا من عدة جوانب وشروط، والتي تعبر عن انشغالات عديدة تجعل اختيار مادة معينة على حساب مادة أخرى، وهذا راجع إلى توفرها وتحملها للعوامل الطبيعية السائدة والخاصة بتلك المنطقة، ومن أهم أسبابها الموقع الجغرافي وتركيبته الجيولوجية، وبالتالي توفر مادة وانعدام أخرى دون أن ننسى مدى تكلفتها من حيث استخراج ونقل وتشكيل مادة البناء[1]، وتستعمل عادة في البناء المواد المحلية الموجودة في المنطقة وهذا لتوفير الجهد والمال والوقت[2]، أما في العمارة الصحراوية عامة وعمارة المساكن خاصة تنوعت قائمة مواد البناء المستعملة في تشييد هذه المساكن الصحراوية والتي تم جلبتها من هذه البيئة فجاءت كثيرة ومتنوعة نذكرها كما يلي:

1. الحجارة:

تعد الحجارة من أهم مواد البناء التي استخدمت في العمارة على مر العصور، وقد تم استخدامها في تشييد مختلف أنواع العمائر الإسلامية، وتستخدم بسمك كبير مما يوفر العزل الحراري الجيد للفراغات الداخلية للمبنى[3]، وقد عرفت الحضارات السابقة البناء بالصخور والأحجار مادامت قد توافرت في البيئة التي يعيشون فيها كما في حضارة ثمود وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:﴿ **وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**﴾[4] حيث كانوا يستخدمون الصخور التي ينحتونها من الجبال في مبانيهم وقصورهم التي يقيمونها في السهول وكذا الأودية، كما كانوا ينحتون البيوت في الجبال وفي ذلك قال

1- عمر الأمين، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ/10-12م)، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001، ص 4.

2- نفسه، ص5.

3- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية...، ص، ص 231، 232.

4- سورة الفجر، الآية 09.

المفسرون أول من نحت الجبال والصور والرخام هم قوم ثمود فبنوا في المدائن مدنا كلها من الحجارة وبنوا المنازل من الحجارة[1].

والحجر أنواعه كثيرة تستعمل في البناء فهو من المواد الصلبة والمقاوم للعوامل الطبيعية كالزلازل وانجراف التربة، ولهذا كان يستعمل في أهم مراكز المبنى وخاصة الأساسات وأحيانا تقام المباني كلها من الحجارة، وقد فرضت طريقة تقطيعه أسماء أخرى فهو دبس إذا لم يصقل أو منحوت إذا شكل، فالصلب منه وذو الحجم الكبير يستخدم في الأساسات والأركان، والأقل حجما وصلابة منه يستخدم في إقامة الجدران[2]، ولا توجد الحجارة في كل الصحراء ففي منطقة وادي ريغ تعتبر مادة قليلة إذا ما قورنت بالمادة الطينية إذ يتم جلبها من مقالع خاصة قرب تمرنة الجديدة، ومنطقة الحجيرة، وتختلف أنواع هذه الحجارة حسب المنطقة التي استخرجت منها.

ويوجد ما يعرف محليا بحجر المكتوب[3]، والذي استخدم في بناء الأساسات لمقاومته لظاهرة التر[4]، بالإضافة إلى وجود حجارة مسامية تستخدم في تشكيل القباب والأقبية لخفتها بالإضافة إلى الحجارة الكلسية الهشة وهذا راجع لوجود طبقات كلسية تعود إلى الفترات الكريتاسية حيث تستعمل للبناء دون أن يطرأ عليها تغير ملحوظ باستثناء بعض التشديبات.

وللحجارة أنواع أهمها:

- **الحجارة الصلبة:** (الصورة رقم 32)

1- يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2004، ص38.

2- زكية راجعي، مساكن الفحصى بمدينة الجزائر في العهد العثماني، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص197.

3- نوع من الحجارة يشبه حجارة وردة الرمال.

4- ظاهرة صعود المياه إلى السطح.

وهي عبارة عن حجر رسوبي مشكل من حبيبات رملية متماسكة فيما بينها بواسطة ملاط سيليسي أو كلسي ويطلق عليها في مناطق اسم التافزة وتميل هذه الحجارة إلى اللون الأحمر المصفر نظرا لاحتوائها على أوكسيد الحديد وتستعمل هذه الحجارة في الجدران، السلالم، التسقيف في بعض الأحيان وبطرق مختلفة.

- **الحجارة الهشة:**

وتتكون من الكلس والذي ينتمي إلى الصخور الرسوبية التي تتشكل عموما تحت تأثير المياه ضعيفة القساوة مقارن بالصخور الأخرى وتحتوي على حوالي 50% من كربونات الكالسيوم عموما، ومن هذه الصخور يتم استخراج مواد جديدة كالجير والملاط بعد عملية حرقها، وحتى المواد اللاصقة التي تستعمل في تبليط الأرضيات ما يعرف بالتبشمت أو استعمالها في شكلها الطبيعي المركب فهي تستعمل في البناء وتبليط الأرضيات وتلبيس الواجهات والزخرفة[1].

وفي مناطق الدراسة وجدنا أن مادة الحجارة استعملت بكثرة سواء كأساسات يبنى فوقها الجدران، ليكون الأساس قويا لما سيحمله من ثقل الجدران والسقف وأحيانا طابقين، وحتى لا تؤثر مياه الأمطار على الأساس فالحجارة مقاومة لكل الظروف الطبيعية، واستعملت أحيانا في إقامة الجدران الخارجية للمسكن مثلما وجدناه في مساكن الأغواط، ومساكن وادي سوف ومساكن بوسعادة، حيث اعتمد على الحجارة أحيانا لوحدها وأحيانا باشتراكها مع الطوب واللبن، وتختلف الحجارة من منطقة لأخرى على حسب المناخ والعوامل الجيولوجية فمن الحجارة المسماة بوردة الرمال في وادي سوف (انظر الصورة رقم 33)، والحجارة القرميدية اللون والمسطحة في منطقة تاويالة بالأغواط (انظر الصورة

1- حنان هبول، إعادة تأهيل القصور الصحراوية "قصر عبن ماضي نموذجا"، مدرسة الدكتوراه تخصص الإنسان والمحيط، دراسة أثرية وقياسية، معهد الآثار، جامعة الجزائر -2-، السنة الجامعية 2010-2011، ص، ص 60،61.

رقم 34 و 35)، إلى الحجارة الصفراء والزرقاء في منطقة بوسعادة (انظر الصورة رقم 36)، وما ساعد على استخدام الحجارة في البناء هو توفرها في هذه الأماكن وملائمتها للمناخ والظروف الطبيعية السائدة، وفيما يخص التقنيات المستعملة في البناء بهذه المادة فقد تعددت فنجد البناء قد استخدم طريقة التراص وذلك وضع الحجارة متراصة مع بعضها البعض بأحجام مختلفة مع إضافة طبقة ليست بالسميكة من الملاط ليزيد في تماسكها مع وضع ساكف خشبي بطول معين وسط الجدران ليعمل على التخفيف من الصدمات التي قد تصيب الجدران ويزيد من تماسكه، يغير أحيانا في تقنية البناء الاعتماد على تقنية السنبلة (انظر الشكل رقم 12 –أ–) وعلى وضع الحجارة متقابلة تشبه تموضع حبات القمح في السنبلة بإضافة الملاط كمادة لاصقة كما استعمل طريقة وضع الحجارة المشذبة في صفوف متقاطعة (انظر الشكل رقم 12 –ب–) يربط بينها ملاط ليزيد في تماسكها وتلاصقها، وفي مناطق أخرى تفرض الحجارة المتوفرة على البناء تقنية خاصة في البناء مثلما يحدث في منطقة وادي سوف وحجارة وردة الرمال التي يستعملونها في بناء مساكنهم وخاصة في بناء القباب (انظر الشكل رقم 12 –د–) ومنه فكل منطقة لها حجارة خاصة تتلاءم وطبيعة المناخ السائد فيها.

الصورة رقم (33): وردة الرمال بوادي سوف

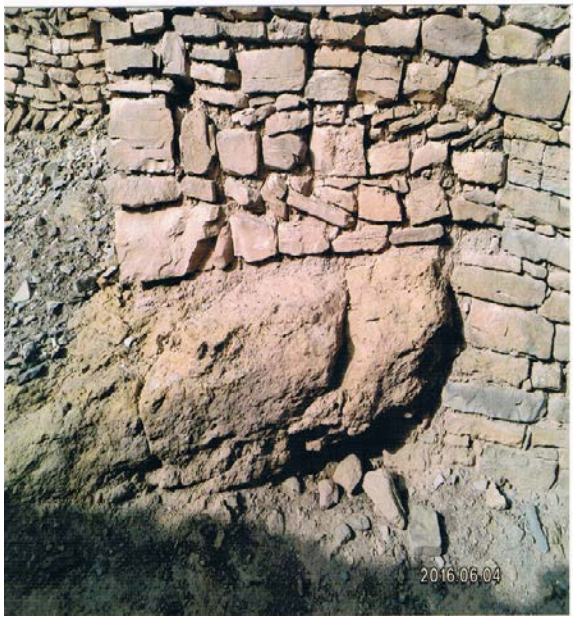

الصورة رقم (34): الحجارة قرميدية اللون المسطحة بالأغواط

الصورة رقم (36): الحجارة الزرقاء المستعملة في بناء الأساسات مسكن بوسعادة

2. الحصى والجير:

الحصى والجير مادتان من المواد ذات الاستعمال الواسع في العمارة السكنية الصحراوية ويتم الحصول على الجير من خلال حرق بعض الأنواع من الصخور ليتم استعماله في طلاء الجدران[1] أما الحصى فيتم استخراجها من مواد متعددة منها الحجارة الكلسية وكبريتات الكالسيوم، والحصياص هو الرجل الذي يصنع الحصى من الجبس التقليدي ذو لون رمادي مادته الأولية حجر الجبس الذي يستخرج من أماكن محدودة على عمق 1 متر أو أكثر وتعرف محليا بالمقطع، ليتم حرقه بعد ذلك في أفران خاصة (انظر الصورة رقم 37)، إذ تجمع هذه الحجارة في أعلى الفرن بعد أن يوضع أسفلها حطب من جريد النخيل وعصي خشب يابس لتحرق لمدة طويلة من أربع وعشرين وساعة إلى عدة أيام تحت درجة حرارة تتراوح ما بين 150° و 200° بعدها تستخرج هذه الحجارة لتطحن

1- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية،...، ص 232.

وتغربل لتستعمل كملاط أو مادة لاصقة بين الحجارة والطوب أحيانا، ويخلط مع الرمل ليزيد من صلابته وتماسكه ويعمل على ضم الحجارة مع بعضها البعض لتزيد من تماسك الجدران ومقاومتها لعوامل الزمن المختلفة (الصورة رقم 38)، ونظرا للونه الأبيض الناصع استعمل في تلبيس القباب، وكذا الجدران ليزيد من إضاءة المبنى من جهة وليضفي نوع من الانشراح على ساكنيه، ويستعمل في تبليط الأرضيات أحيانا أخرى[1] وكثر استعماله خاصة في وادي سوف التي تعتمد على نظام القباب في تسقيف مساكنها ولكثرتها سميت بمدينة الألف قبة وقبة، ويعتبر الحصى من المواد الأكثر استعمالا في الزخرفة نتيجة سهولة تشكيله، وهو نوع من أنواع الصخور يوجد في الطبيعة بصورة نقية جدا يسمى أيضا بالقصة أو الجبس[2].

الصورة رقم (37): فرن من وادي سوف لحرق حجارة الجير والجبس (عن الموقع (www.google.com)

1- يمينة بن أصغير حاضري، المرجع السابق، ص125.

2- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص120.

3. الطين:

مادة الطين من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان واستخدمها في إنتاج عمارة في عصور ما قبل التاريخ بعد انتقاله من الكهوف والمغارات والجبال والسهول وكذا الوديان والهضاب[1]، والطين هو المادة البيئية الأكثر تواجد خلق منها الإنسان وبنيت أغلب بيوت العالم منه والتي ظهرت وكأنها تضاريس جديدة لمادة الأرض تتلاءم مع البيئة وجمالها[2].

وفي الكثير من استخدام الطين يتم إضافة قصاصات التبن الصغيرة وقبل استخدام عجينة الطين في البناء أو إنتاج عناصر البناء والعناصر المعمارية الأخرى لابد من أن تتخمر لتكسب القوة الملائمة للاستخدام، وهذا التخمر يختلف من استخدام لآخر وتتراوح من يوم إلى ثلاثة أيام وفي الغالب يومين[3]، ونظرا لتأثير مواد البناء على شكل المعمار فإن الطين كان له بصماته المتميزة على العمارة الصحراوية خاصة المسكن وذلك من خلال امتلاكها خصائص تصارع في تشكيلها الإسمنت نفسه، وما هو معروف بأن الطين لا يستعمل في حالته الطبيعية بل يخلط مع بعض المواد النباتية كالتبن (الصورة رقم 39) أو المعدنية كالصلصال مما تقلل عوامل التجفيف ويضفي على مادة الطين نوعا من المقاومة[4].

وقد عرف الطين أقدم المواد التي عرفها الإنسان منذ ما يقارب عشرة آلاف سنة فالطبيعة أوحت للإنسان استخدام هذه المادة والتي بها بني بج بابل في القرن السابع قبل الميلاد كأول ناطحة سحاب عرفها التاريخ، وكذلك انتشر البناء بالطين ويتناغم مع البيئة

1- طاهر عبد الرقيب، الخصائص والقيم المعمارية لعمارة الطين في اليمن، مؤتمر الحضارة الإنسانية من المغارة إلى العمارة، دراسات وبحوث المؤتمر، جمعية بيروت، التراث، 6-8 نوفمبر 2001، ص105.

2- محي الدين سلقيني، العمارة والبيئة، ط1، دار قابس للنشر والتوزيع، 1994، ص145.

3- طاهر عبد الرقيب، المرجع السابق، ص107.

4- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية...، ص161.

في حضارات بلاد الرافدين ومصر، والحضارة العربية والإسلامية وفي الهند والمكسيك وفي حضارات متنوعة في إفريقيا.

واعتمد على الطين في بناء المسكن الصحراوي وذلك راجع لتوفره بكثرة وسهولة العمل به ولملائمته للبيئة الصحراوية ومناخها المتميز بقلة المطار والتي تهدد البناء بالطين لعدم مقاومته للأمطار، ولهذا جاءت مبتكراته في الإنتاج طبيعية ونفذت بنفس المواد التي قدمتها البيئة له، خاصة وأن الطين مادة طبيعية وصديقة للبيئة لذلك فإن البناء بالطين يساعد على الحد من استنزاف الموارد الطبيعية الحيوية وانبعاثات الكربون لاستخدامه الحد الأدنى من المواد المصنعة، فالطين مادة متوازنة وتوفر مناخا داخليا صحيا فاستخدامها يحد من التلوث وإنتاج النفايات والبلاستيك وهذا ما شجع المعماري الصحراوي الإقبال على الطين لما فيه من الفائدة والراحة له[1].

4. الطوب: (انظر الصورة 40)

الصورة رقم (40): الطوب المستعمل في بناء جدران المساكن

1- العمارة العربية الإسلامية والبيئة، مقال من موقع: www.ecomena.arg اطلع عليه بتاريخ 2018/01/31، ينظر مواد وأدوات البناء التقليدية، إدارة التراث العمراني والآثار دبي، 1439هـ-2017م، من موقع: http://dm.gou.ar.wcm تاريخ الاطلاع 2018/01/31.

الطوب عبارة عن آجر يصنع من الطين المخلوط بالحصى، كما يضاف إليه القش وكذا التبن وهذا ليكتسب المتانة للمادة الأصلية (الطين) وبعد الحصول على عجينة متجانسة من الطين الممزوج بالمواد السابقة، وأحيانا تضاف له بعض فضلات الحيوانات (البقر) تترك العجينة مدة معينة لتتماسك ثم بعد لك يتم صنعه بواسطة قوالب خشبية (انظر الشكل رقم 13)، بعدها يترك تحت أشعة الشمس ليجف ويصبح جاهزا للبناء، وتشيد الجدران بسمك لا يقل عن 50 سم إضافة إلى ما سبق فإن الطوب يعتبر من المواد الزهيدة والسهلة في التنفيذ لذلك أقبل الناس عليه في المناطق الشبه جافة لأنه يتلاءم مع مناخها، فالطوب يتمتع بخصائص فيزيولوجية هامة في توفير البرودة في فصل الصيف وتوفير الدفء في فصل الشتاء وقد بنى المرابطون بعض المباني في مراكش من هذه المادة نظرا لانتشار استعمال الطوب في البناء بكل بلاد المغرب.

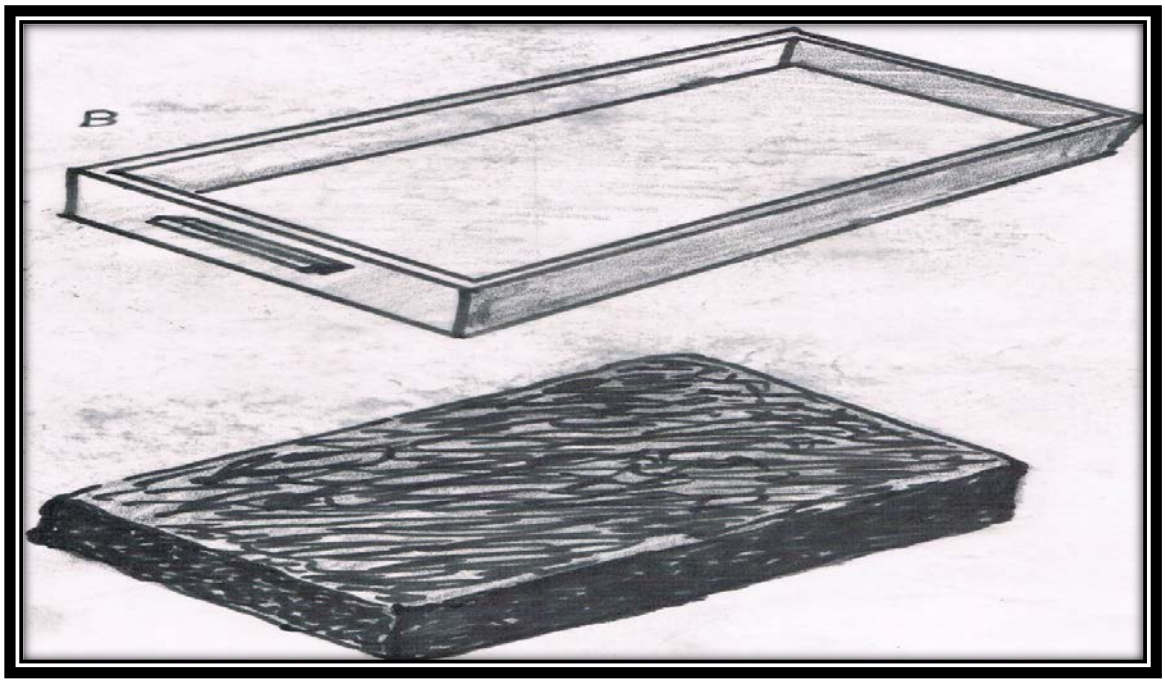

الشكل رقم (13): شكل القالب الخشبي الذي يصنع به الطوب بمنطقة بوسعادة

فقد كان المحتسب يمنع البنائين من صناعة الطوب في قالب بال قد نخر ونقص لأن ذلك يسبب تشقق الطوب بعد جفافه كما منعهم من البناء بالطوب قبل أن يجف

تماما، وقد أوجب عليهم الزيادة في سمك الطوب[1]، وكان هذا الحرص حتى لا يتأثر البناء ويحدث ضرار لساكنيه، وهذا ما هو معمول به في المناطق الصحراوية التي قمنا بدراستها خاصة بوسعادة ووادي سوف، ويطلق على الطوب باللاتينية (Adobe) وأصل هذه الكلمة جاء من اللغة الإسبانية وعرفت في اللغة العربية باسم الطوب[2]، ويذكر الأغواطي في رحلته حول مادة بناء الأغواط كانت من الطين (الطوب) بالدرجة الأولى، إلا بعض المنازل التي بنيت بالحجر والملاط[3].

وينقسم الطوب إلى نوعين رئيسيين هما حسب طريقة التشكيل أما النوع الأول فيعرف بالطوب المحروق ويعرف أيضا بالآجر وهو نادر وقليل الاستعمار في المناطق الجنوبية إذا ما استثنينا منطقة الجريد بتونس ومنطقة وداي ريغ، والنوع الثاني غير المحروق ويعرف باللبن فقد استعمل بشكل واسع في مناطق الجوب، وقد لجأ المسلمون إلى البناء بالطوب بشكل واسع لقلة الحجارة الموجودة لديهم ولا سيما في مصر والعراق[4].

وقد عرفت تقنية البناء هذه في بلاد المغرب منذ أقدم العصور، كما عرفت قبل ذلك في الرومان وقبلهم عند الفينيقيين واستعملت عند المسلمين في المغرب الإسلامي ابتداء من القرن 4هـ/10م[5].

ومن الصفات الأساسية للطوب أنه عازل حراري جيد وهذا ما يفسر سر البناء به في المناطق الصحراوية التي تتميز بالحرارة المرتفعة، وهو سهل الإنجاز حيث لا يتطلب من الوسائل سوى رفش لخلطه ويخلط عادة بالأرجل داخل حوض صغير مع معالجته

1- لحسن تاوشيخت،عمران سجلماسة من خلاب المصادر التاريخية والخريطة الأثرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، المغرب، 2001-2002، ص460.

2- عمر الأمين، المرجع السابق، ص34.

3- الحاج ابن الدين، المصدر السابق، ص88.

4- محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص184.

5- علي حملاوي، قصور منطقة عمور...، ص189.

وإضافة بعض المواد الأولية[1]، وما يميز الجدران التي بنيت بالطوب في مناطق الدراسة أنها تصل إلى سمك 50 سم لتكون أكثر مقاومة لجميع العوامل والظروف الطبيعية التي من شأنها أن تؤثر على المسكن، وفي أغلب الحالات تكون مقاسات الطوب 30 ملم طولا و15 ملم عرضا وحوالي 0.8 ملم ارتفاعا ويكون شكلها كما هو مبين في الصورة رقم (40)، وما هو متفق عليه في جميع المناطق أن طريقة تحضير الطينية التي يصنع منها الطوب فعند خلط الطين بالماء والتين تصبح الطينة متجانسة ومتماسكة غير سائلة وغير جافة، لتسهل عملية التشكيل أو القولبة المقاسات فقط هي من يتغير من منطقة لأخرى وعلى حسب سمك الجدران المراد بناؤه والحمل والثقل الذي سيوضع عليه وعدد الطوابق التي ستحملها هذه الجدران مع الدعامات والأعمدة[2].

ونظرا لصعوبة صناعة الطوب والمشقة التي تواجه العامل في صناعتها يلجأ دوما إلى تنظيف القالب الذي يستخدمه في صناعة الطوب وذلك بالماء وأحيانا بشطف الطين العالق بآلة حادة من القالب ليحافظ على مقاسات الطوب ويكون بشكل حسن يساعد على البناء[3].

5. جذوع وعصي النخيل (الأخشاب): (الصورة رقم 41)

نتيجة ندرة الأخشاب المعروفة لدى الإنسان في الصحراء، وتوفر أشجار النخيل هذه الشجرة التي تعني الكثير بالنسبة لساكنة الصحراء منذ أقدم العصور، فالنخلة هي الظل الوارف الحامي من قبض الشمس، وهي الغذاء للإنسان والحيوان، ومنها يرد الجريد والسعف والكرناف (الصورة رقم 42) والكرب والليف والجذع المتعدد الجدوي، والنخلة

1- عمر الأمين، الرجع السابق، ص15.

2- نفسه، ص17.

3- القالب: هو هيكل خشبي يكون بمقاسات مختلفة أشرها 0.30 م طولا، و0.15 م عرضا، و0.8 م ارتفاعا، لقاء مع بوخزة عبد الباسط، رئيس جمعية محلية تهتم بالتراث وحمايته، بلدية الشمرة دائرة جامعة، ولاية وادي سوف، لقاء بتاريخ ديسمبر 2014.

شجرة عرفت منذ قديم الزمان وفي حضارة بلاد الرافدين شجعت شريعة حمو رابي زراعة النخيل وكانت تعاقب كل من يقطعها، وفي الإسلام حظيت النخلة بمزيد من التبجيل حيث ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[1].

الصورة رقم (41): جذوع النخيل المستعملة في نظام التسقيف بمسكن وادي سوف

لقد اعتمد على الخشب بأشكاله المختلفة وتنوع مصادره فنجد الإنسان الصحراوي اعتمد عليه في مجالات مختلفة في مسكنه كأبواب ونوافذ وفي تغطية السقف وفي بعض أثاثه كالخزائن والأسرة وحتى في صناعة لباسه وفراشه عن طريق آلة السداية، وتربيته للحيوانات التي تزوده بالصوف كالأغنام وبالوبر كالجمال.

1- سورة البقرة، الآية 266.

وبما أن الشجرة الأكثر غراسا في المناطق الصحراوية هي شجرة النخيل لما تتميز به صفات ومميزات جعلتها تحتل المرتبة الأولى في الاعتماد عليها في بناء المسكن الصحراوي بنسبة كبيرة تصل إلى حوالي 70% لملائمتها للبيئة الصحراوية ولتوفرها بكثرة في هذه المناطق وإلى كونها شجرة مباركة عند الله قال تعالى مخاطبا مريم عليها السلام في قوله تعالى:﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[1] فهي شجرة طيبة وثمارها دواء، وما ذكره بعض أهل الصحراء أن النخلة شجرة مفيدة وذات منفعة سواء كانت مغروسة أو يابسة[2].

كما يعتمد على النخيل في تشكيل السلالم وحمل السقف (الصورة رقم 43)، وللاعتماد على أشجار النخيل في البناء لابد من تحضيرها حيث تمر بمراحل تبدأ باختيار اليابسة وغير المنتجة فيقسم الجذع من الأعلى نحو الأسفل إلى أجزاء على حسب الوظيفة التي سوف يقوم بها الجزء المقسوم وفي الغالب يقسم الجذع إلى أربعة أجزاء يتراوح طول الجزء الواحد حوالي 3 متر، وعرضه من 0.10م و0.20م، ثم توضع في المياه المالحة لتتشبع خلاياها بالملح وبذلك يمنع تواجد الحشرات[3] بها بعد استعمالها فتنخرها وتساهم في هشاشتها، ويم تشذيبها بآلة حادة للحصول على وجه مسطح يساعد على وصفه على الجدران حتى لا يتحرك ويثبت مكانه.

أما جريد النخيل فيتم استعماله في غطاء السقف بأوراقه أحيانا(الصورة رقم 44 والشكل رقم 14) وأحيانا بعد أن ينزع منه ورقه حيث يصف بعضه البعض ليشكل

1- سورة مريم، الآية 28.

2- لقاء مع الأستاذ المسعود بوضياف يوم 2013/12/25 على الساعة 13.30 زوالا، وهو من المهندسين السبعة الذين اختارهم رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة، ويذكر الأستاذ أن النخلة هي العنصر الأساسي في الحياة لدى سكان الصحراء.

3- مقولة أكدها سكان المناطق الصحراوية خاصة البنائين منهم. (حوار مع بعض سكان منطقة جامعة بوادي سوف) لقاء ديسمبر 2014.

حصير ويطلق عليه في مناطق من الصحراء كبوسعادة بمصطلح لعقد نتيجة تماسكه وتراصه مع بعضه البعض، كما يستعمل في تشكيل الأقواس، ولا يوجد هناك اختلاف في جريد النخيل فهو نوع واحد ويكمن الاختلاف في حجمه فقط فكلما كبرت النخلة كبر حجم الجريد وأوراقه والعكس، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض الأشجار وسيقانها مثل شجرة المشمس والرومان، ونوع آخر يسمى الرتم[1] وغيرها ولكن بنسبة قليلة جدا[2].

كما يستخدم الصحراوي في صناعة الأبواب والنوافذ وفي تدعيم وتقوية الجدران وكذا الأسوار، حيث يستخدم الخشب كمادة مدعمة للأسوار المبنية بمادة الطابية فتغرس هذه القطع الخشبية بشكلها الخام في الجدران على مسافات معينة[3]، وهذا ما وجد في أغلب إن لم نقل في كل العمائر الصحراوية من مساكن وقصور ولا زالت موجودة إلى اليوم.

6. الحصى:

الحصى من المواد المصنعة للبناء منذ القدم، حيث عرفت منذ بداية الألفية السادسة قبل الميلاد، وهو عبارة عن حجر رسوبي كلسي يوجد في محاجر خاصة على شكل ترسبات على هيئة كتل تسمى المقطع عند أهل الصحراء، يتم نزع وتكسير أجزاء منها ليتم تفتيتها إلى حجارة صغيرة إما للبناء بها خاصة في تشكيل القباب وهذا لخفتها وإما تؤخذ إلى الفرن ليتم حرقها وسحقها وغربلتها لتكون في الأخير حصبا أو جيرا ولكل له مجاله الخاص في البناء أو الزخرفة[4]، وفيه أنواع مختلفة وهذا الاختلاف قد يعود إلى عوامل منها نوعية الحجارة المحروقة أو درجة الحرق أو إلى خواصه الفيزيائية، وجاء في

1 – الرتم : هو شجر ينمو في الصحراء لا يتجاوز ارتفاعه المتر أوراقه إبرية وهي مرة في مذاقها.

2– يمينة بن الصغير حاضري، المرجع السابق، ص 250.

3– عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص133.

4– عمر الأمين، المرجع السابق، ص60، ينظر:

Bourouiba, (R), Les Hammadites, E.N.L, Alger, 1984, p117.

الحضارة الإسلامية أن المحتسب مخول له أن يطلب من المكلف بالبناء أن يعيد العمل إذا ثبت أن الحصى الذي استعمله رديء[1].

ويتم الاعتماد على الحصى في المسكن الصحراوي لأنه عازل حراري بدرجة عالية وبينت التجارب العلمية أن الجدار المبني من الحصى بسمك يصل إلى 0.20م يعادل الجدار المبني من الطوب بسمك يبلغ 0.42م.

وبإضافة الماء إلى مادة الحصى يعطي عجينة لينة يمكن إعطاؤها الشكل المراد كما يمكن الحفر عليه أو النقش لتجسيد مواضيع زخرفية متنوعة مثل الزخرفة الكتابية وهذا بكاتبة آيات قرآنية على جدران المحاريب، ويستخدم في تكسية الجدران الداخلية للقباب وكذا المساكن، ويعتمد عليه في المناطق الصحراوية بكثرة لتوفره وسهولة العمل به ولما فيه من فوائد صحية وبيئية، ونظرة فنية جمالية عند البناء به[2]، ويحذر البناء أن تستخدمه في الأماكن الرطبة أو بها ماء لعدة توافق هذه المادة مع الماء لكونه العامل الأول المتسبب في خرابها[3].

7. الحلفاء والرتم: (الصورة رقم 45)

الحلفاء والرتم من النباتات المحلية الوفيرة بالمناطق الصحراوية والتي لا تتطلب جهدا كبيرا في الحصول عليها، خاصة وأنها تنمو لوحدها في الأودية ولا تحتاج للماء كثيرا، استعملها المعماري في تشييد مساكنه، ويكمن مجال استعمال هذه المواد في تقوية السقف بأن تفرش الحلفاء والرتم فوق السدة أو القصب لسد الثغرات المحتملة، وذلك

1- عمر الأمين، المرجع السابق، ص60.

2- نفسه، ص61.

3- معلومة أكدها الأستاذ: بوخزة عبد الباسط لقاء ديسمبر 2014.

لتفادي تسرب الملاط الطيني المضاف فوقها أثناء عملية التسقيف وحتى لا تترك أية فجوة قد تكون سببا في تسرب مياه الأمطار فيما بعد[1].

8. الماء:

الماء من العناصر الأساسية والهامة في البناء وبدون عنصر الماء لا يمكن تشكيل العجينة أو تكوين التركيبة الطينية التي تتكون منها مادة البناء، ويقوم هذا العنصر الحيوي بما يحدثه من تفاعلات كيميائية بين مختلف العناصر المكونة للخلطة بدور فعال في خلط المواد بعضها ببعض، على أن يراعي في ذلك نسبة الكمية المستعملة، فاستعمال الماء بالقدر المطلوب ووفق حاجة المادة إليه يجعل التماسك بين مختلف المواد ثابت ومؤكد وما يزيد في التماسك بين مختلف المكونات غير مضمون الفاعلية، ولهذا فالماء هو الذي يعطي للعجينة لزوجها بعد عملية التخمر، ويجعل مختلف المكونات تجتاح التراب الذي يستعمل في تكوين عجينة الطابية إلى نسبة كبيرة من الماء للتخمر وينبغي إضافة بالقدر الذي يحقق الغاية المنشودة لا غير[2]، وكما يكون الماء شرطا ضروريا لتحضير مواد البناء المستخدمة يكون عاملا لتخريبها بعد ذلك إذا تعرضت له لمدة معينة كتساقط الأمطار الغزيرة لمدة أسبوع مثلا ينجر عنه سقوط المنازل المبنية بالطين أحيانا.

1- حنان هبول، المرجع السابق، ص64.

2- عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص، ص 134، 135.

ثانيا: العناصر الزخرفية

جاء في تعريف أهل الفن أن الزخرفة هي تلك الرسومات التي تزين الآثار التي خلفتها العمائر المختلفة وكذا التحف المنقولة والمصنوعة من الفخار والقماش والنحاس والذهب والجص وغيرهم من المواد التي تنفذ عليها هذه الزخارف[1].

والعناصر التي تكون زخرفة القطع الجصية تغلب عليها الأشكال الهندسية والمتمثلة على وجه الخصوص في الدوائر والمربعات والمعينات أو الدوائر والمربعات المفصصة و ما يمكن الإشارة إليه هو ميل الفنان المغربي إلى التجريد ف تمثيل عناصره النباتية، الشيء الذي لا نلاحظه في الزخارف الهندسية بل العكس لأنه في هذه الأخيرة تتجلى لنا مهاراته ومعرفته بالمبادئ الهندسية[2].

إن من أبرز مميزات وخصائص الفن الإسلامي أنه فن زخرفي إذ استفاد الفنان المسلم من كل ما وقع عليه نظره من عناصر سواء كانت نباتية أو هندسية أو عمائرية لتحقيق أهدافه الجمالية ولم يكتف عند هذا الحد بل استغل الكتابة العربية أيضا بالنسق نفسه بل وركب هذه العناصر وزاوج بينها في كثير من موضوعاته المختلفة[3].

والزخرفة أعظم ما قدمه الفن الإسلامي لتاريخ الفن العالمي لما يتميزان به من طابع عربي إسلامي خالص[4].

---

[1] – مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، مصر 1987، ص 63.

[2] – علي حملاوي، الزخرفة الجصية بين التطور و الانحطاط في المبادئ الإسلامية في الجزائر (ق 4–8 هـ) (10 م – 14 م)، مجلة الدراسات الأثرية، الجزائر، 1992، ص58.

[3] – يمينة بن اصغير حاضري، قصور تقرت و تماسين خلال فترة حكم بني جلاب (9–13 هـ) ، دراسة تاريخية أثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2001/2000، ص230.

[4] – محمد حسين جودي، الفن العربي الإسلامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007م– 1428 هـ، ط12، ص09.

1. أنواع الزخارف:

1.1. الزخرفة الهندسية:

لقد اتخذت الزخارف الهندسية في ظل الحضارة الإسلامية أهمية خاصة وشخصية فنية فريدة عبرت من خلالها عن مضامين روحية مبعثها الإحسان والخيال وجسدتها الخطوط والأشكال إذ ينفرد العربي بخياله الهندسي الذي ينصب على الكتلة فيقسمها ويجزئها ويحولها إلى خطوط و منحنيات تتكرر وتتعاقب وتتبادل إلى ما لانهاية حتى ليكاد الناظر إليها يحدد بداياتها أو نهاياتها، وهذا الخيال الهندسي الذي تحول إلى صور مادية من الخطوط والأشكال والفراغات والأحجام وتعد الزخرفة الهندسية واحدة من السمات الرئيسية الموحدة للفن الإسلامي في أشكاله وأساليبه ومضامينه وهي وحدة فريدة في المكان والزمان[1].

وقد تعددت أشكال العناصر الهندسية بين أطر جامعة لجامات وحشوات زخرفية مختلفة وكانت تلك الأطر متعددة بين خطوط مستقيمة غائرة وبارزة وبين مبرومة حلزونية، كما امتدت أشكال العناصر الهندسية إلى تشبيكات شكلت أطباقا نجمية ودوائر متداخلة نتج عنها تتويجات ثلاثية، وغيره من الأشكال المختلفة[2].

ومن خلال النماذج التي بين أيدينا للمسكن الصحراوي لمناطق مختلفة نجد أن الزخرفة الهندسية قد نالت حظها من خلال الاعتماد عليها في زخرفة المسكن وبعض مرافقه كزخرفة مداخل الأبواب بأشرطة مستطيلة يصل عرضها إلى 0.15 سم، وفي أشكال الكوات التي تنوعت من مربعة إلى دائرية إلى شكل جمالوني ونصف دائرة، وفي شكل العقود نصف الدائرية التي جعلت لحمل السباطات، وبعض الأشرطة الزخرفية التي

[1] – عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...، ص813.

[2] – محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، ص 167.

زين بها مسكنه من الخارج بواسطة الحجارة وكذلك شكل النوافذ وفتحات تاتهوية التي جاءت مربعة ومستطيلة الشكل، وما زين به الموقد والمداخن من مرافع لحمل الأشياء والأغراض الخاصة بالمطبخ التي جاءت بأشكال متنوعة، استعملت الزخارف الهندسية بكثرة في المساكن الصحراوية مثل مساكن سدراتة حيث جسدت هذه الزخارف على الجص وبأشكال هندسية مختلفة، وفي مساكن قصر القنادسة ببشار، وفي قصر ورقلة وتماسين، وفي قصر القنادسة التي لم يستثني الفنان أبواب المنازل من الزخرفة فكانت كلها بأشكال هندسية ذات التشبيكات المختلفة والتي غلب عليها الطابع النجمي، أنجزت بطريقة التكرار المتعاقب حتى غطيت كل مساحات الأبواب سواء الخارجية أو الداخلية منها[1].

ويلجأ المعماري المسلم دوما إلى الاعتماد على الزخرفة الهندسية لبعدها عن الدين و لا تتعارض معه ولسهوله تجسيدها على الجص الذي يعتمد عليه كثيرا في تلبيس الجدران الداخلية للمسكن الصحراوي ودوره في تلطيف الجو في كل فصول السنة.

2.1. الزخرفة النباتية:

لم تكن الزخرفة النباتية على نحو من الثراء الفني الذي توفرت عليه الزخرفة الهندسية والتي جاءت غنية بالعناصر متعددة الأشكال والأحجام ولهذا نجد الزخرفة النباتية محدودة العناصر والموضوعات حيث تجسدت وتراوحت بين التشبيكات من السيقان وفصوصها مع كثير من التحوير كمحاولة من الفنان لتجريدها و إبعادها عن شكلها الطبيعي وبين الفصوص المتعاقبة وراء بعضها كشريط حول حواف العقود إلى

[1] – محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 169.

العـرانيس المتشـابكة والباقـات الزهريـة، جـل هـذه المواضـيع الزخرفيـة صـيغت داخـل الشمسيات والقمريات متناوبة مع الأشكال الهندسية المتمثلة في الطباق النجمية[1].

وقد اعتمد الفنان المسلم في تجسيد المواضيع الزخرفية التي تعتمد على الزخرفة النباتيـة التـي نجـد منهـا المـراوح المركبـة والأزهـار وبتلاتهـا والفـروع والسـيقان، واختلفـت ألوانها.

وفـي نمـاذج المسـاكن التـي قمنـا بدراسـتها لـم يصـادفنا وجـود زخـارف نباتيـة سـواء علـى الجدران أو علـى مداخل هذه المساكن، وقد يكون سبب اختفائها إن كانت موجودة هـو الحالـة السـيئة التـي آلـت إليهـا المسـاكن مـن تخريـب ومـن تـأثير للعوامـل الطبيعيـة كالأمطار والزوابع الرملية التي تكثر في هذه المناطق الصحراوية أو تكون هذه المساكن خاليـة مـن هـذه الزخـارف بسـبب تركيـز أهـل هـذه المسـاكن علـى الجانـب الـوظيفي دون الاهتمام بالجانب الفني الجمالي بسبب الفقر وعسر المعيشة، عكـي ما نجده في بعض المساكن التي تبنى في القصور وما تتزين به جدرانها ومداخلها من زخارف نباتية متنوعة تزيد ساكنيه راحة وانشراحا مثل مساكن شيوخ القصر وكذا الأثرياء من التجار وأصحاب الحـرف والصـناعات ومكـانتهم الاجتماعيـة المرموقـة التـي انعكسـت إيجابـا علـى مسـاكنهم وعلى مستوى معيشتهم.

3.1. الزخرفة الكتابية:

لـم تحظ الزخرفـة الكتابيـة بالاهتمـام الكـافي إلا بمـا اتصـل بالجانـب العقائـدي الـذي يدعو إلى الاهتمام بالدار الآخرة والتي رآها هي الدائمة والباقية، فجاءت الزخرفة الكتابية مجسدة بشكل أكبر في العمارة الدينية متمثلة في زخرفة المساجد بأشرطة كتابية تحمل آيات قرآنية واسم الله في لفظ الجلالة وكذا في اسم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه

[1] – محمد الطيب العقاب، مساكن قصر القنادسة...، ص 172.

وسلم، خاصة في تزيين المحاريب وبيت الصلاة وعادة يزينها بأسماء الله الحسنى، أما العمارة المدنية متمثلة في المساكن ففي الغالب استعمل كلمتين تعلق بهما كثيرا وهما العاقبة، والباقية اللتين استعملهما في مساكن قصر القنادسة[1].

والملاحظ على النماذج المدروسة أنها تخلو من وجود زخرفة كتابية وقد يعود تفسير غيابها إلى أنها مبان مدنية بسيطة استعملها ساكنوها لتكون مأوى لهم بعيدا عن كل تكلف أو مباهاة.

4.1. الزخرفة الرمزية:

الزخرفة الرمزية هي كل ما له علاقة بالإنسان تجاه قضية يعتقد أنها ذات أهمية كبيرة فيحاول أن يجسدها برمزها يكون على شاكلة المرموز إليه أو قد يستنبط شكلا يعتقد أنه سيؤدي وظيفة ما بواسطته، ووجد الكثير من هذه الرموز في المباني الإسلامية على اختلاف بلدانها، فنجد الكف المشرعة والهلال والنجمة خماسية الرؤوس وما ركز علبه الفنان في المساكن الصحراوية أن جعل الكف المشرعة فوق ساكف مدخل المسكن ظنا منه أنها تحفظ المسكن ومن بداخله من عين الحاسدين، ويقوم بذلك عند تلبيس جدران واجهة المسكن بمادة الطين فيجعل يده أو كفه على الطين وهو لين فيرسم كفه مفتوحا ليكون بذلك رمز الكف المشرعة شكلا زخرفيا (الصورة رقم 46، الشكل رقم 15).

والحقيقة أن هذا العنصر الزخرفي لم يكن وليد المجتمعات الإسلامية فقد عرف في المجتمعات السابقة كالمصريين والبابليين وكذا الرومان، وهذا بغرض درأ العين واللسان وكان له عمل السحر عند الأوربيين فكانوا يعرفونه بعدة أسماء منها: يد الرب، يد الإله

[1] – محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، ص 180.

بعل في المسلات الفينيقية القرطاجية، كف فاطمة و كف عائشة في بعض المناطق الإسلامية[1].

وفي تفسير آخر أن هذا العنصر الزخرفي يرتبط بالدين حيث أركان الإسلام خمس وأصابع اليد خمس وأنه يرمز إلى الإخلاص والسلطة[2].

وبما أن الفنان المسلم كان دوما يبتعد في موضوعاته الزخرفية عن كل ما من شأنه أن يتعارض والدين الإسلامي ووجود مثل هذه الأنواع من الزخارف قد يرجع إلى التقليد دون معرفة ما يمثل ويرمز إليه هذا العنصر الزخرفي أو إلى أن استعماله يكون بحسن نية وينتقل عبر الأجيال بمفهوم حسن ولو كان غير ذلك لوجدنا عناصر زخرفية أخرى وكذلك اعتماد الزهد وعدم الإسراف في البناء وجعل الدين هو الموجه دوما والمحدد لضوابط البناء وكذا الزخرفة.

5.1. الزخارف المعمارية:

الزخارف المعمارية من أكثر الأنواع شيوعا في زخرفة العمائر الصحراوية خاصة منها عمارة القصور والمساكن وهذا ليكون بعيدا عن مجال يجلب الشبهة كالحيوان وكذا الأشكال الآدمية وغير ذلك، وهذا النوع من الزخارف هو من قبيل العمارة وقد شاع استعمال مثل هذه الزخارف في العمارة الإسلامية كتلك التي طبقها الفنان المريني في زخارفه لا باعتبارها عناصر وظيفية حاملة ولكن باعتبارها عناصر فنية زخرفية فنجده قد نوع فيها تنويعا شديدا خرج بها أحيانا عن طبيعتها وأصبغ عليها روحا زخرفية بحتة اتسمت بالدقة والإحكام والجمال، وجل العمائر زينت بهذا النوع من الزخارف خاصة الحنيات والتي استعملت كمكان توضع فيه وسائل الإنارة (السرج)، فهي للتخفيف من ثقل

[1] – نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية ... ، ص، ص 262، 263.

[2] – علي حملاوي، نماذج من قصور ... ، ص 312.

البناء إذ بواسطتها يتم توزيعه عبر كافة أجزاء الجدار، كما تعد عنصرا زخرفيا سعى من خلالها البناء لدفع الملل الذي ينتاب الناظر للجدار في حالته الصماء وفي جدران الغرف بالمسكن تكون الحنيات مثلثة الشكل تحتل جانبا من الغرف[1].

2. العقود:

العقود من أكثر عناصر الزخارف المعمارية استعمالا في العمارة الإسلامية وما لبثت مع مرور الزمن لتصبح فضاء خصبا للإبداعات الزخرفية للفنان المسلم الذي وجد راحته في ذلك[2].

وتنوعت أنواع العقود في العمارة الإسلامية والعمارة الصحراوية التي هي جزء منها فهناك العقود نصف الدائرية (انظر الشكل رقم 06) والمدببة والتي على شكل حذوة الفرس والعقود المفصصة وغيرها مما شاع استعماله في العمارة، وفي المسكن الصحراوي كثر استعمال العقود خاصة في السباطات حيث جاءت على شكل نصف دائرة وهذا لحمل ثقل السقف المقبب خاصة في مساكن منطقة وادي سوف، ويبقى استعمال هذه العقود لضرورة أملتها طبيعة المسكن وتخطيطه والقدرة المادية لصاحبه، فالعقود تساعد على البناء لعدة طوابق، كما يمكن أن تكون هذه العقود كتقنية لجعل الغرف أكبر حجما وهذا في حمل السقف الذي لا تتعدى دعائمه الخشبية المستخدمة من جذوع النخيل التي يصل طولها إلى حوالي 2.50 متر فتكون هذه العقود كرابط لجذوع النخيل مع بعضها البعض لحمل السقف و تزيد بذلك في طول الغرفة وأحيانا يستعمل العقد البرميلي، ويكون السقف بشكل ذلك العقد من الداخل والخارج واستعمل بكثرة في منطقة وادي سوف خاصة في المساكن القريبة من الواحة (الشكل رقم 07)، ويبقى مجال استعمال الزخارف المعمارية ضرورة تمليها طبيعة البناء والبيئة التي يوجد فيها بالإضافة إلى الحالة المادية

[1] – نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية ، ص،ص 264، 265.

[2] – معروف بن الحاج، المرجع السابق، ص 237.

لصاحب المسكن ومكانته الاجتماعية، فالاختلاف يكون بين مسكن مشيد في القصر فهو يخضع في زخرفته المعمارية إلى النظام الزخرفي الذي تم اعتماده في كل مساكن القصر كعرف معماري سائد لا يمكن تجاوزه أو الخروج عنه، عكس النظام الزخرفي المعتمد في مساكن فردية خاصة بأصحابها تتماشى مع بعض العرف المعماري السائد في المنطقة وتنفرد عنه في حالات أخرى خاصة وأن سكان الصحراء يهتمون أكثر بالعمارة الدينية دون المدنية، ولا ننسى تأثير العوامل المناخية في ذلك، وتختلف أنواع الزخارف المعمارية من منطقة إلى أخرى وكذا تقنياتها المستخدمة.

خاتمـــــــــــــة

نخلص في الأخير ومن خلال تطرقنا إلى المسكن الصحراوي في الجزائر من خلال دراسة مجموعة من النماذج لمناطق مختلفة من الصحراء الجزائرية والتي وقفنا من خلالها على معرفة خصائص ومميزات المسكن والعناصر المعمارية المهمة التي تكونه في هذه الطبيعة والمناخ القاسي في ظل البحث عن شروط الحياة الضرورية التي ساعدت الإنسان على الاستقرار فيها خاصة في بناء مسكن يأوي إليه ويحمي فيه نفسه من جميع الأخطار التي تواجهه طيلة فصول السنة حيث استخدم مواد بناء محلية دون جلبها من أماكن أخرى واختلفت هذه المواد من منطقة إلى أخرى واشتركت مجموعة من المواد في جميع المناطق كالحجارة والطوب، وتشترك في التخطيط أحيانا وتختلف أحيانا في عناصر معمارية لضرورة مناخية والتزام بالتعاليم الدينية وكذا العرف التقليدي في البناء وفي دراستنا هذه استطعنا التوصل إلى مجموعة من النتائج ثم ختمناها بتوصيات من شأنها أن تقدم حلولا للحفاظ على هذا التراث الذي يحمل في مدلولاته الكثير من الدلالات في مجالات مختلفة، ومن النتائج المتوصل إليها نذكر:

1) : أن المسكن على اختلاف مراحل تطوره واختلاف البيئات التي وجدت بها يعتبر عامل أساسي مهم في تطور الإنسان واستقراره عبر مراحل الزمن المختلفة.
2) : أن المسكن رغم اختلاف شكله ومواد البناء المستعملة والعناصر الزخرفية المجسدة عليه يبقى له جانب مهم في حياة الإنسان وهي الحماية من الأخطار المتنوعة سواء الطبيعية منها أو البشرية أي توفير الأمن والسكينة والراحة وهما عاملان أساسيان لراحة الإنسان وإبداعه المتواصل في مجالات متعددة.
3) : إرادة وعزيمة الإنسان عبر الزمن والمكان كانت دوما تجعله متحديا ومواجها لظروف الزمن المختلفة فاستقراره في الصحراء رغم صعوبة المناخ وكذا قساوة

الأرض وصعوبة الحصول على مواد البناء لكنه سخر هذه الظروف لنفسه واستطاع الاستقرار وفق ما يريد.

4) : استغلال الإنسان الصحراوي القصور الصحراوية التي شيدها بمواد محلية وهندسية تتماشى وطبيعة المنطقة في الجانب التجاري (المبادلات التجارية) مع الغير عادت عليه بالنفع ماديا وتجاريا واجتماعيا بانصهار المجتمع الصحراوي مع المجتمع التلي عن طريق القوافل التجارية المحملة بمواد لا توجد في الصحراء كالحبوب والكتان والصوف ليتم مقايضتها بالتمور، بالإضافة إلى ما تخلفه هذه المبادلات التجارية من احتكاك وتفاعل في المجالات الأخرى ثقافيا وفكريا ودينيا وغيرها.

5) : المسكن الصحراوي على اختلاف مواد بنائه (قصب، صوف وشعر، لبن وطوب) ظل عبر فترات الزمن المختلفة محافظا على تعاليم الدين التي جاء بها الرسول الكريم ρ من احترام وتكافل اجتماعي ومساعدة الآخرين بالإضافة إلى نظام الشورى الذي يتجسد في شيخ القصر والمجلس الذي يساعده في تسيير شؤون القصر في جميع المجالات ويرجع إليه الجميع في حل ما تعسر من قضايا يصعب حلها.

6) : لا يستطيع أي شخص سكن داخل القصر أن يضيف أو يزيد في مسكنه مهما كانت هذه الزيادة أو الإضافة إلا بالرجوع إلى شيخ القصر ومجلسه ليمنح له الموافقة أو الرفض وهذا بحسب الطلب المقدم وضرورته الداعية إلى ذلك.

7) : من خلال الزيارات المتكررة لمناطق مختلفة من الصحراء وجدنا أن المساكن الثابتة والتي تقع في تجمعات سكانية مستقرة كالواحات والقصور وغيرها أن مداخل المساكن تؤدي إلى سقيفة ثم إلى رواق صغير يكون بجدار منكسر يوصل إلى وسط الدار وهذا حفاظا على حرمة من بالبيت فلا يتكشف من يمر بالبساط أو

الضيف الذي يدخل الدار وهذا امتثالا لما أمر به الدين الحنيف وبينته السنة المطهرة فلا يتكشف الجار على مسكن جاره عند فتح الباب.

8) : عندما كان المسكن جزء مهم من أجزاء القصر وأحد مرافقه الأساسية قدم الكثير في تطور الإنسان واستقراره خاصة عندما كان القصر في الصحراء يقوم مقام المدن الإسلامية خاصة في مرافقه المكونة له والدور المنوط به.

9) : دهن أسطح المساكن في المناطق الصحراوية بالدهان الأبيض (مادة الجير) يعمل على تخفيف درجة الحرارة داخل هذه المساكن بحكم أن اللون الأبيض يعكش أشعة الشمس خاصة عند الزوال، أو عندما تكون أشعة الشمس عمودية ولأجل أن تكون الأسقف باردة ليلا للسمر فيها والنوم عليها.

10) : المتغيرات الاقتصادية الحاصلة في المناطق الصحراوية خاصة وأن الصحراء الجزائرية غنية بآبار البترول والثروات الطبيعية المتنوعة كانت سببا في تغير ذهنيات السكان في الصحراء، مما جعلهم يبحثون على مناصب شغل، وهذا ما سمح في التخلي عن بعض العادات والتقاليد والأعراف التي كانت معروفة ومشهورة في هذه المناطق الصحراوية.

11) : بفضل التوصل إلى الأنماط التخطيطية المدمجة أو النسيج المتضام (Compact) استطاع الإنسان التقليل قدر الإمكان من التعرض للظروف المناخية الخارجية.

12) : العمارة التقليدية الصحراوية تعبر بصدق عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والثقافية وكذا الاجتماعية السائدة وهذا ما جعلها تحقق لساكنها الحماية من العوامل الجوية الشديدة القسوة.

13) : يستمد النسيج العمراني الصحراوي والذي يعتبر المسكن أحد عناصره الأساسية المكونة له مميزاته من العوامل المناخية للمناطق الصحراوية، ومن التقاليد

الحضارية والعوامل الاجتماعية السائدة بالمنطقة، وجل هذه المميزات منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف والذي يدعو إلى الحرمة والحشمة واحترام الجار الذي وصى به الرسول الكريم محمد ρ.

14) : الروابط القوية التي كانت تجمع بين السكان في الصحراء كرابطة الدم والمصاهرة والانتماء القبلي والتآزر والتضامن، انعكس على هندسة المساكن وكذا القصور التي جاءت متراصة لتحافظ على تلك الروابط وتزيد من قوة تماسكها مشكلة كتلة واحدة.

15) : وجود القصر الذي يتكون من مجموعات سكنية تحاط في معظم الأحيان بأسوار تتخللها أبراج حراسة منع من إنشاء مساكن منعزلة عن الجماعة أي خارج محيط القصر إلا تلك المساكن التي شيدت داخل الواحات بغرض الأعمال الفلاحية، أو تلك الخيام التي كانت خاصة بالبدو الرحل وهي كذلك خاصة بحرفة أهلها الرعي بحثا عن الكلأ والماء لحيواناتهم.

16) : الطوب من المواد غير المقاومة للعوامل الطبيعية، إلا أنه بإمكانه أن يدوم لفترة طويلة والسبب يكمن في قلة نسبة الرطوبة بالمناطق الصحراوية.

17) : المدخل المنكسر يضمن الانتقال التدريجي من مكان عام إلى مكان خاص، كما يسمح هذا النوع من المداخل بترك الباب مفتوحا طوال النهار، وهو ما يوفر تيارا هوائيا يرطب الجو داخل المسكن أيام الصيف الحارة.

18) : تصميم وتخطيط المسكن الصحراوي نابع من قواعد التشريع الإسلامي التي تنص على المحافظة على الحريات الشخصية وعدم إلحاق الضرر بالآخرين والتعدي على حرماتهم، وهذا من خلال وجود سقيفة عند مدخل كل مسكن وجعل بيت الخلاء والإسطبل في ركن من المسكن بعيدا عن الغرف المخصصة للنوم وجلوس الضيوف.

19) : يخضع تلبيس الجدران الخارجية إلى تقنية خاصة تضمن قدرا كبيرا من الظل يجعل من درجة الحرارة تكون أقل داخل الغرف بالمسكن.

20) : تكثر القباب في منطقة وادي سوف لأن البناء وجد فيها حكمة كبيرة تتماشى وطبيعة المناخ السائد في فصل الصيف تجعل الغرفة باردة وفي فصل الشتاء تجعلها دافئة بسبب تجمع درجة الحرارة في أعلى القبة.

ومن العوامل التي تراها كانت سببا في خراب هذا التراث الإنساني المتمثل في المسكن الصحراوي ومرافقه المكونة له نذكر ما يلي:

1) : انعدام الوعي بحماية التراث الذي خلفه الأجداد والآباء وكذا استمرارية الشعور بروحانية هذا الموروث المتنقل بين الأجيال وإلا كيف يهدم القصر ويصبح خرابا وهم ينظرون إليه دون أن يتحرك أحد منهم حتى أهل الاختصاص مثل ما حدث لقصر مستوه وما به من مساكن بتقرت أو مرتعا وزريبة لبعض الحيوانات الأليفة كالبقر والماعز أمام مرأى الجميع في قصر تاويلة بآفلو ولاية الأغواط، أو يصبح همهم الوحيد هو تهديم أسقف هذه المساكن لاستغلال حطبها في الطهي والتدفئة وغيرها من التصرفات السلبية.

2) : إن ما يدعو إلى الحسرة والأسف الشديد عند زيارتنا المناطق الصحراوية على اختلاف مواقعها الجغرافية هو زحف الإسمنت المسلح وهذا ما ساعد بدور كبير في القضاء على المساكن الصحراوية التقليدية وحتى القصور كما تم توضيحه في الصور السابقة مما صعب لنا دراسة موضوع المسكن الصحراوي دراسة مفصلة أكثر في تفكك الروابط الاجتماعية وحتى الأسرية مما سمح بظهور عادات وتقاليد دخيلة خاصة العولمة مما رجع بالسلب على الحياة الاجتماعية داخل الأسرة والقصر والواحة وهذا ما كان سببا في ظهور أنماط جديدة في مجالات عدة كالعمارة السكنية مثلا.

3) : النزوح والاستقرار في المناطق التلية بحثا عن متطلبات الحياة وزخرفها وترك المساكن وحتى الواحات دون حراسة وأمن عجل في خراب وتهديم تلك المساكن ومرافقها.

4) : الإهمال واللامبالاة حتى بعد الترميم والصيانة فمن جهة يعطي الترميم لغير أهل الاختصاص وباستعمال مواد غير المواد الأصلية التي شيد بها المبنى في البداية وعند الترميم يترك الموقع دون حراسة وأمن واهتمام وكذلك مرتعا للحيوانات وللفئة المنحرفة من البشر وهذا ما وجدناه في قصر ومساكن تمرنة القديمة بجامعة ولاية وادي سوف.

5) : تقليد الغرب في البناء بالنط العصري الذي لا يراعي الجانب الديني في جوانب عدة وركزت على التفاخر والمغالاة سواء في التصميم أو في استعمال مواد البناء حتى أنه في حالات عدة تم اكتشاف إشارة الصليب في مواد بنائية وزخرفية تم استيرادها من الخارج ويحدث هذا بسبب تقليد الغرب في عمارته وترك عمارة الأجداد التي تستمد قوها من الدين وعادات وتقاليد وأعراف المجتمع التي زادتها جمالا ورفعة وراحة.

6) : الاستعانة باليد العاملة الأجنبية دون وضع قيود وميكانيزمات تفن من استغلالها وبضوابط تراعي جميع الشروط الضرورية في البناء وفي زخرفته.

7) : إعادة تجديد الإنسان لمسكنه في مكان المسكن القديم إما لضيق المساحة أو للكثافة السكانية الكبيرة التي تعمل على استغلال كل الفضاءات في البناء والتوسع مما يفرض على كل من لديه مساحة من الأرض أن يستغلها في تشييد مسكنه الجديد على حساب مسكنه القديم مثلما لاحظناه في قصر مستوى بتوقرت وقصر نقوسة بورقلة.

8) : من أسباب انهيار المساكن هو ضعف البلديات وعدم تغطيتها لمتطلبات السكن وكذا ظروف الاستقرار كالغاز الطبيعي، مما يجعل السكان يلجؤون إلى استعمال أخشاب السقف في التدفئة في فصل الشتاء أيام انعدام غاز البوتان وغلاء سعره.

ومن العوامل التي نراها تساعد على حماية المساكن الصحراوية خاصة التقليدية منها:

- إزالة الرمال من حول هذه المساكن.
- تشجير المناطق الموجودة حول هذه المنشآت خاصة على الجانب الذي تهب منه الرياح.
- عمل مصداة من الشباك الممدد أو الأسلاك المثبتة على قوائم رأسية من الخشب أو الحديد للحد من سرعة الرياح حول المساكن.
- تصليح المزاريب الموجودة على سطوح هذه المنازل لكي تمنع تجمع المياه على السطح وكذا صيانة الجدران وسد جميع التشققات حتى لا يصل الماء إلى داخل الجدران مما يزيد في تصدعه ومنه سقوطه.
- عدم إقامة حرف ونشاطات داخل هذه المساكن الأثرية، مما يسهل تخريبها أو يشكل عليها خطرا كالحرائق والدخان الكثيف وغيرها.
- تخصيص مساحات لإقامة سكنات تطورية حضرية بدل تهديم المساكن التقليدية القديمة.
- ما يميز المساكن الصحراوية خاصة تلك التي تمثل جزءا مهما في تكوين وحدات القصر شكلا من التضام والتراص إلى بعضها البعض على شكل كتلة واحدة وهذا يبين مدى التلاحم والتآخي والتآزر بين السكان، مما يعطي ويجسد تعاليم الدين الإسلامي وحرصه على المحافظة على متانة الروابط الاجتماعية التي تحقق التكافل والتعاون بينهم.

- جاءت واجهات الجدران الخارجية للمساكن صماء وخالية من أي عنصر زخرفي إلا في بعض العناصر الرمزية التي تعلو عتب الأبواب وهذا راجع لتركيزهم على جانب الحرمة والتستر لمن في داخل البيت أكثر من الاهتمام بالزخرفة.

وفي ختام دراستنا هذه المتواضعة حول المسكن الصحراوي في الجزائر نتمنى أن نكون قد وفقنا في الإجابة على الإشكاليات المطروحة و التي تساهم في التعريف بهذا التراث المرتبط بالعمران التقليدي في الصحراء والذي نراه يصارع من أجل البقاء في ظل التطور التكنولوجي الذي شمل مواد البناء و التخطيط العصري المتطور وكذا تقليد الأمم الأخرى من غير المسلمين وما ينجم عنه من تأثير سلبي على العمارة السكنية بهذه البيئة المحافظة.

وفي الأخير نتمنى أن تكون هذه الدراسة للمسكن الصحراوي إضافة جديدة لحقل الدراسات الأثرية الخاصة بالعمارة لصحراوية في الجزائر وأن تكون بداية لدراسات متخصصة للمسكن الصحراوي ومكوناته وخصائصه ومميزاته، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في تناول الموضوع وإعطائه ما يستحق من الإلمام والبحث والتحليل، فإن أصبنا فمن الله وحده وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله الموفق.

قائمـة المصـادر والمراجـع:

- **القرآن الكريم:** رواية حفص عن عاصم.

المصادر باللغة العربية:

1 - ابن الأثير على الجزري (555هـ - 1160م/ 630هـ- 1232م)، **الكامل في التاريخ**، ط4، طبعة القاهرة، 1353هـ/ 1934م.

2 - ابن بطوطة محمد (703هـ - / 1304م - 1378م)، رحلة **ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار"**، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ الطبع.

3 - ابن خلدون عبد الرحمن (732 - 808هـ / 1332 - 1406م)، **كتاب العبر ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ / 2000م.

4 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 هـ - 261 هـ/ 822 م - 875 م)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، حققه و فهرسه: عصام الصبابطي و آخرون، دار الحديث القاهرة، 1994.

5 - الحاج بن الدين، رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية: ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011.

6 - الحميري عبد المنعم (توفي حوالي: 900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975م.

7- خليفة الحاج محمد، **الإفادة كما علم من أخبار بوسعادة، ويليه إرشاد الحائر إلى ما علم من أحوال بوسعادة وأخبار سيدي ثامر**، دراسة وتحقيق: محمد سيكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2014.

8 – محمد العدواني، **تاريخ العدواني**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.

9 – المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد (336هـ – 947م / 380هـ – 990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، 1877م.

10 – الوزان حسن الفاسي (عاش خلال القرن 10هـ/ 16م)، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي و محمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ج2.

المراجع باللغة العربية:

1 – إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.

2 – إبراهيم مياسي، **الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف (دراسة تاريخية)**، دار هومه، الجزائر، 2014.

3 – أبو القاسم سعد الله، **رحلة الأغواطي**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر.

4 – أحمد توفيق المدني، **كتاب تاريخ الجزائر**، د.ت.ن، د.ط.

5 – أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية**، بدون تاريخ، بدون طبعة.

6 – إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

7 – أندريه إيمار، **جانين أو بوابة تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)**، ترجمة فريد. م. وآخرون، منشورات عويدات، لبنان–باريس.

8 – بن عبد الله نور الدين، **العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى و القورارة بين ضوابط النص الديني و حدود الواقع**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2013م.
9 – الجيلالي عبد الرحمن، **تاريـــخ الجزائر العام**، مكتبة الحيـاة، لبنان، 1384 هـ/ 1965 م.

10 – جيلالي صاري، **دور البيئة في الجزائر**، ط1، الجزائر، 1983.

11 – حواس محمد زكي، **المسكن والبيئة في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام في الوطن العربي**، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988.

12 – حليمي عبد القادر، **جغرافية الجزائر طبيعية، بشرية، اقتصادية**، طبعة 1968.

13 – خالد بن أحمد العلياني، **البيوت القديمة في محافظة ظفار**، المطابع العالمية روي، سلطنة عمان، 1994.

14 – خالد سليم فجال، **العمارة والبيئة في المناطق الصحراوية الحارة**، دار الثقافة والنشر، القاهرة، 2002.

15 – زكي محمد حسن، **فنون الإسلامية**، ج3، دار الرائد العربي، لبنان، 1981 م.
16 – سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ج1، ج2، ج9.
17 – سعد عبد الكريم شهاب، **أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية**، دراسة تحليلية مقارنة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2009.

18 – سيد بسيوني، **فن العمارة**، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.

19 – سعد بن البشير العمامرة/ أحمد بن الطاهر المنصوري، اعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، مطبعة مزوار، الوادي،(ب.ت).

20 – طارق دالي، **البيان والتبيان في العمارة والعمران**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

21 – صالح بن قربة، **أبحاث ودراسات في تاريخ آثار المغرب الإسلامي وحضارته**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011.

22 – عبد الجواد توفيق احمد، **تاريخ العمارة و الفنون الإسلامية**، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1970م.

23 – عبد القادر أكبر جميل، **عمارة الأرض في الإسلام مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية**، ط2، مؤسسة الرسالة، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1416هـ/ 1995م.

24 – عبد الستار محمد عثمان، **الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي**، دراسة أثرية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002.

25 – عاصم محمد رزق، **معجم المصطلحات الأثرية**، مكتبة مدبولي، 2000.

26 – عبد الحق معزوز، **العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ط1، 2011.

27 – عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة 2010، ج01.

28 – عبد العزيز حسونة، **عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13هـ**، دراسة أثرية عمرانية، مديرية الثقافة لولاية الوادي، مطبقة مزاور، الواد، ط1، 2013.

29 – عبد الفتاح محمد وهيبة، **في جغرافية العمران**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

30 – علي حملاوي، **نماذج من قصور منطقة الأغواط**، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، 2006.

31 – علي غنايزية، **تحدي الإنسان للرمال وتطويع الصحراء للعمران البشري، صحراء وادي سوف نموذجا**، مجلة الواحات.

32 – عقاب محمد الطيب، **مساكن قصر القنادسة الأثرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

33 – فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

34 – فيسة محمد رابح ، **المنشئات المرابطية في مدينة ندرومة، "دراسة تاريخية أثرية"**، دار السبيل للنشر والتوزيع، ب.ط.

35 – ماجد عبد المنعم، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2000.

36 – مرزوق محمد، **الفن الإسلامي تاريخه و خصائصه**، مطبعة أسعد، العراق، 1965 م.

37 – مرزوق محمد عبد العزيز، **الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني**، مصر 1987.

38 – محمد حسين جودي، **الفن العربي الإسلامي**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007م– 1428 هـ، ط12.

39 – محمد سعيد القشاط، **صحراء العرب الكبرى**، دار الرواد للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، ودار الملتقى للنشر ليسما سور، قبرص 1994.

40 – محمد حمزة حداد، **مدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية**، ط1، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 2001م.

41 – محي الدين سلقيني، **العمارة والبيئة**، ط1، دار قابس للنشر والتوزيع، 1994.

42 – معروف بلحاج، **العمارة الإسلامية مساجد ميزاب ومصلياتها الجنائزية**، ط01، 2007.

43 – الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، تقديم و تصحيح: محمد الميلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011م.

44 – يحيى وزيري، **العمارة الإسلامية والبيئة**، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2004.

مؤلفات جماعية:

1 – أحمد الشتناوي وآخرون، **دائرة المعارف الإسلامية**، العدد الأول، المجلد 14.

2 – عميراوي احميدة وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009.

3 – محمد جبار سليم وآخرون، **علوم البيئة** ، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع كلية التربية بجامعة عين شمس، القاهرة، 1983–1984، الجزء الأول.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1 - Ahmed NAJAH, le souf des ouasis, Alger, 1971.

2 - André Voisin, le Souf, monographie, manuscrit, EL.OUED, 1965.

3 - Bourouiba .R, lrs Hammadites, E.N.L, Alger, 1984.

4 - Charles Garmier, Aammann, L'habitation Humaine librairie Hachette et ele, paris, 1992.

5 - Déporter, la question du Tautte Sahara Algérien, Alger, 1981.

6 - Despis.J, La Hoddna, P.U.F, Paris, 1957.

7 - Duveyrier (H), Sahara Algérien et Tunisien, paris, 1955.

8 - Edmond Sergent, le peuplement Humain du Sahara lnstitut pasteur D'Algérie, T31, N°1, Alger, 1953.

9 - Heddouche Abdekader, Le gisement épipaléolithique dEL-Onçor, Bou-saada, Algérie, Lybica, TXXXV crape, Alger, 1977.

10 - Paulpelet, la position géographique d'Eloued (Sauf), la géographie, bulletin de la société de géographie, Tom XII, paris, 1905.

11 - PETIT (O), Essai d'histoire social sur la ville de ghauate, collège de paris, 1976.

12 - Show Thomas, voyage dans la régence d'Alger, ED Bouslame, Tunis, 1980.

13 - Youssef Nacib, cultures oasiennes, Bou-ssada, essai D'histaire sociale, E.N.A.L, Alger, 1986.

القواميس و الموسوعات:

1 – ابن منظور جمال الدين، **لسان العرب**، تحقيق عامر احمد حيدر، ط1، ج1–ج11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003م.

2 – إحسان محمد الحسن، **موسوعة علم الاجتماع**، بيروت، 1999، ط1.

3 – عبد الرحيم غالب ، **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط1، بيروت، 1988.

4 – الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011.

5 – محمد عبد الهادي لعروق و سمير بوريمة، أطلس الجزائر والعالم، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر.

مقالات، ملتقيات وتقارير:

1- إبراهيم الحسن، **مظاهر الحياة عند بدو الصحراء "طقوس واحتفاليات اجتماعية"**، مجلة العربي، الكويت، العدد 673، ديسمبر 2014.

2 – ابراهيم مياسي، **من تاريخ وادي سوف، مدينة الألف قبة**، مجلة الثقافة، عدد 113، الجزائر، 1996.

3 – الطيب بوسعد، **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)**، مجلة الواحات، العدد 15، 2013.

4 – بلحاج طرشاوي، **تأثير العوامل المناخية على العمارة**، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة تلمسان، العدد 1، 2012.

5 – طاهر عبد الرقيب، **الخصائص والقيم المعمارية لعمارة الطين في اليمن**، مؤتمر الحضارة الإنسانية من المغارة إلى العمارة، دراسات وبحوث المؤتمر، جمعية بيروت، التراث، 6-8 نوفمبر 2001.

6 – محمد الجزيراوي، **المسكن التقليدي بقرى واحات منطقة نفزاوة بالجنوب التونسي**، مجلة الثقافة الشعبية، مجلة فصلية علمية متخصصة، السنة 05، العدد 19، البحرين، خريف 2012.

7 – مهتاري فايزة، **المسكن التقليدي في تلمسان خلال العهد الزياني**، دراسة تاريخية أثرية، مجلة كان التاريخية، العدد 28، 2015.

8 – نادية محمودي، **التحول العمراني وآفاق التوسع لمدينة الأغواط**، أشغال الملتقى الدولي.

9 – نجاة قناطي وحنان بوناب، **الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية، القصر القديم بمدينة الأغواط**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية، تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية.

10 – عبد الكريم عزوق، **دور القصور الصحراوية في التنمية السياحية**، أعمال الملتقى الدولي للآثار والبيئة، مجلة الآثار، تصدر عن معهد علم الآثار، جامعة الجزائر، العدد 7، 2007.

11 – عبد الحق الطاهري، **المدينة الإسلامية الوظائف والتنظيمات**، مجلة كان التاريخية، عدد 28.

12 – عبد العزيز حسونة، **عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف**، "**مدينة قمار نموذجا**"، أشغال الملتقى الدولي، تحولات المدينة الصحراوية، تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية، يومي 3-4 مارس 2015، جامعة ورقلة.

13 – عبد العزيز لعرج، **العمران الإسلامي وعمارته السكنية قيم دينية ودلالات اجتماعية**، حولية المؤرخ يصدرها المؤرخين الجزائريين، العدد 3-4، الجزائر، 2005.

14 – عز الدين ميراز ناصر، **الحق في حرمة السكن**، مجلة الوافدين للحقوق، المعهد التقني، الموصل، مج12، العدد 46.

15 – علي حملاوي، **الزخرفة الجصية بين التطور و الانحطاط في المبادئ الإسلامية في الجزائر (ق 4-8 هـ) (10 م – 14 م)**، مجلة الدراسات الأثرية، الجزائر، 1992.

16 – **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية**، سلسلة الملتقيات، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الأبيار، الجزائر.

17 – **المؤسسة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال للنشر والتوزيع، ط2، 1992، العدد 23، ح.ف.م.

18 – **لقاء مع بوخرزة عبد الباسط**، رئيس جمعية أحفاد تمرنة، ديسمبر 2014.

19 – **لقاء مع الأستاذ المهندس**، المسعود بوضياف يوم 2013/12/25.

20 – **حوار ونقاش مع بعض سكان منطقة جامعة بوادي سوف**، ديسمبر 2014.

21 – **تقرير محطة الأرصاد الجوية ببوسعادة** (معدل التساقط حسب الفصول خلال الفترة الممتدة بين (1994–2003)).

22 – مكتب الدراسات والإنجازات في التعمير، وحدة سكرة، المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، بوسعادة، أرشيف بلدية بوسعادة، 2005.

مذكرات تخرج (ماجستير ودكتوراه):

1 – بشير طلحة، **البنى التقليدية وعلاقتها بالتقسيم الاجتماعي للمجال الحضري "دراسة حالة مدينة الأغواط"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005–2006.

2 – بريشي درويش، **تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان، "دراسة فنية أثرية"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، شعبة الثقافة الشعبية، تخصص الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2011–2012.

3 – بولعشب حكيمة، **مشكلات التنمية الضارية بالمدينة الصحراوية، دراسة ميدانية لمنطقة عين الصحراء بمدينة توقرت**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، فرع علم الاجتماع الحضري، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2006–2007.

4 – ريان جابر، **الزراعة في إقليم وادي سوف، الآليات، الواقع، الآفاق**، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2015.

5 – زكية راجعي، **مساكن الفحصى بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007.

6 – حنان عطية، **دراسة تحليلية وصفية لقصر أربوت**، ولاية البيض، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2010–2011.

7 – حنان هبول، **إعادة تأهيل القصور الصحراوية "قصر عين ماضي نموذجا"**، مدرسة الدكتوراه تخصص الإنسان والمحيط، دراسة أثرية وقياسية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2–، السنة الجامعية 2010–2011.

8 – النذير قوادرية، **العمارة التقليدية بمنطقة بوسعادة، دراسة أنموذجية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص أثار ريفية وصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2010–2011.

9 – لحسن تاوشيخت، **عمران سجلماسة من خلال المصادر التاريخية والخريطة الأثرية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، المغرب، سنة 2001–2002.

10 – لقريز العربي، **خصائص مواد العمارة التقليدية وأهميتها في تشكيل عمران منطقة بوسعادة**، دراسة أثرية معمارية، بحث لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية، السنة الجامعية 2013–2014.

11 – محمد بيدي، **التحصينات الدفاعية لقصور منطقة عين الصفراء، دراسة معمارية أثرية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2015–2016.

12 – محمد جودي، **المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر، دراسة تحليلية مقارنة لقصور ميزاب وورقلة**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص علم الآثار والمحيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2013–2014.

13 – محمد مزراق، **البيئة وأثرها في توجيه العمارة المحلية، إقليم تيديكلت الشرقية نموذجا**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر–2–، 2009.

14 – محمد موشموش، **الفكر العمراني الإسلامي وأثره على تخطيط المدن وعمارتها "مدينتي تلمسان والجزائر أنموذجا"**، دراسة أثرية وتاريخية، من القرن 3–13 هـ/9–19 م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر –2–، السنة الجامعية 2015–2016.

15 – منى دحمون، **قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية تحليلية**، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004-2005.

16 – مليكة مكاس، **المسكن التقليدي بقلعة بني عباس ببجاية، دراسة تاريخية أثرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2008-2009.

17 – موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف ونشأنها وتطورها (1900-1939)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعة 2005-2006.

18 – عمر الأمين، **مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ/10-12م)**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001.

19 – يمينة بن اصغير حاضري، **قصور تقرت و تماسين خلال فترة حكم بني جلاب (9-13 هـ)** ، دراسة تاريخية أثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2000/2001.

المواقع الالكترونية:

- http://www.amarefaarg
- http://dm.gou.ar.wcm
- http://insaniyiat.revues.irg
- www.google.com
- www.al.jazirah.com
- www.magalaty.com
- www.ecomena.arg

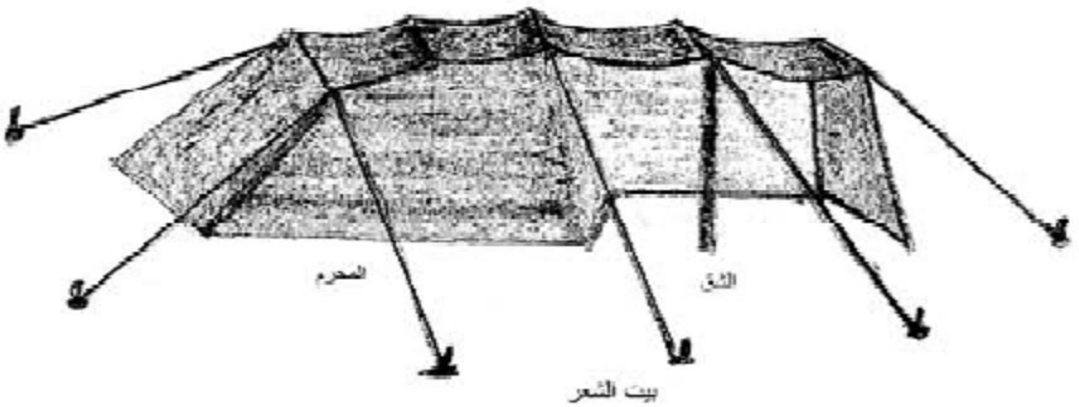

الشكل رقم (01): شكل الخيمة

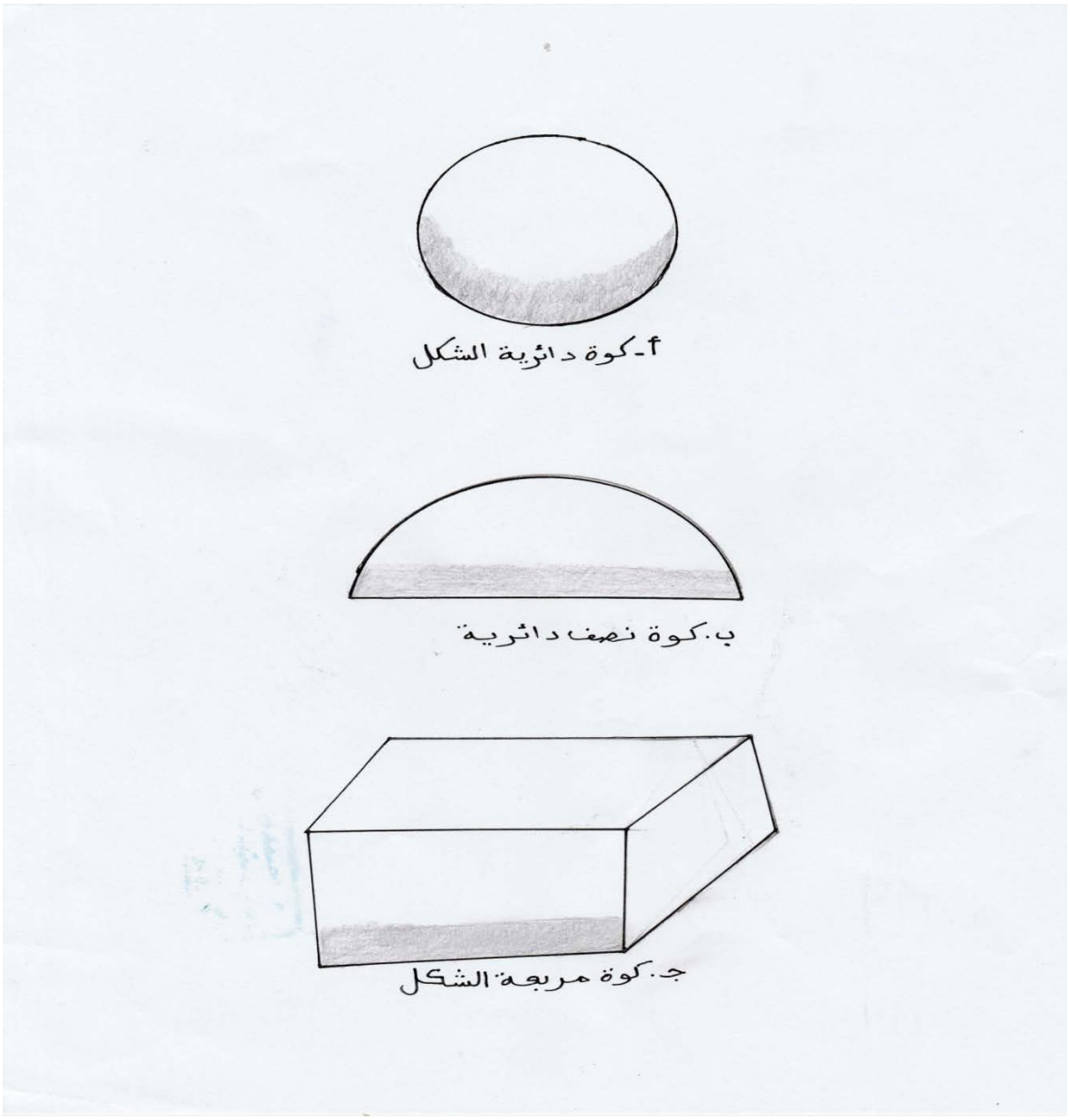

الشكل رقم (05): شكل الكوات

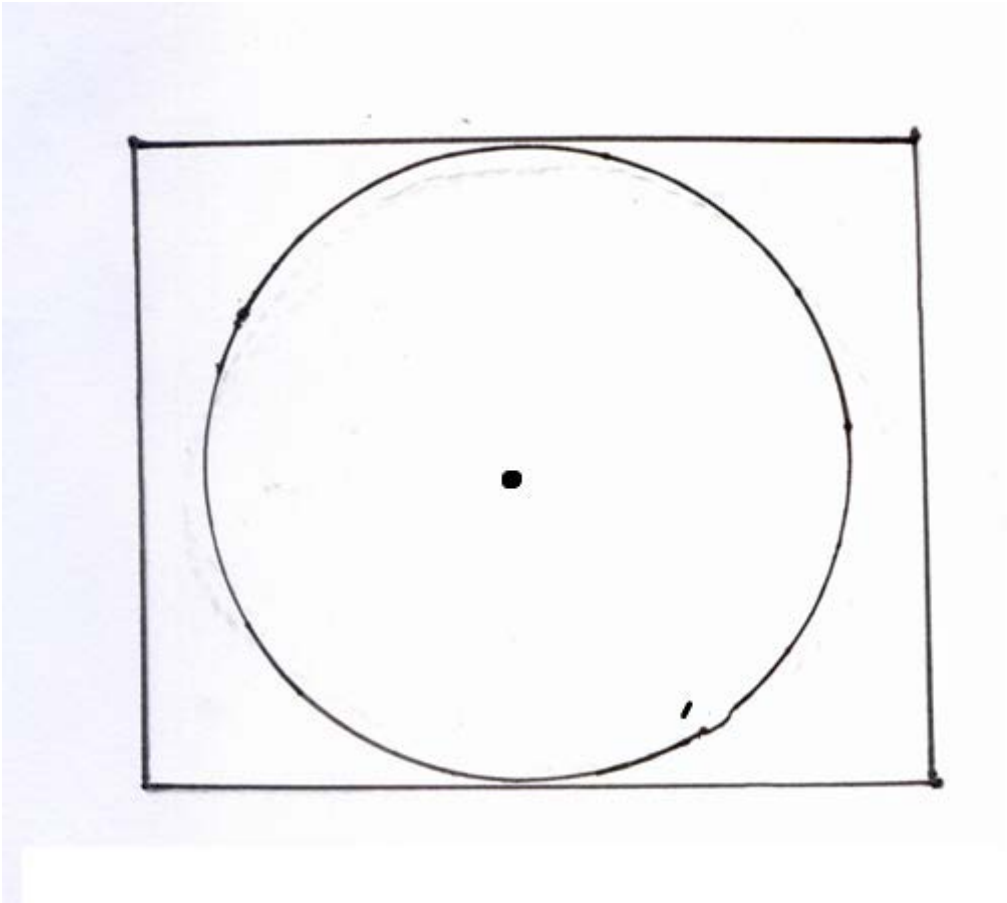

الشكل رقم (06): شكل مسقط القبة في مسكن وادي سوف

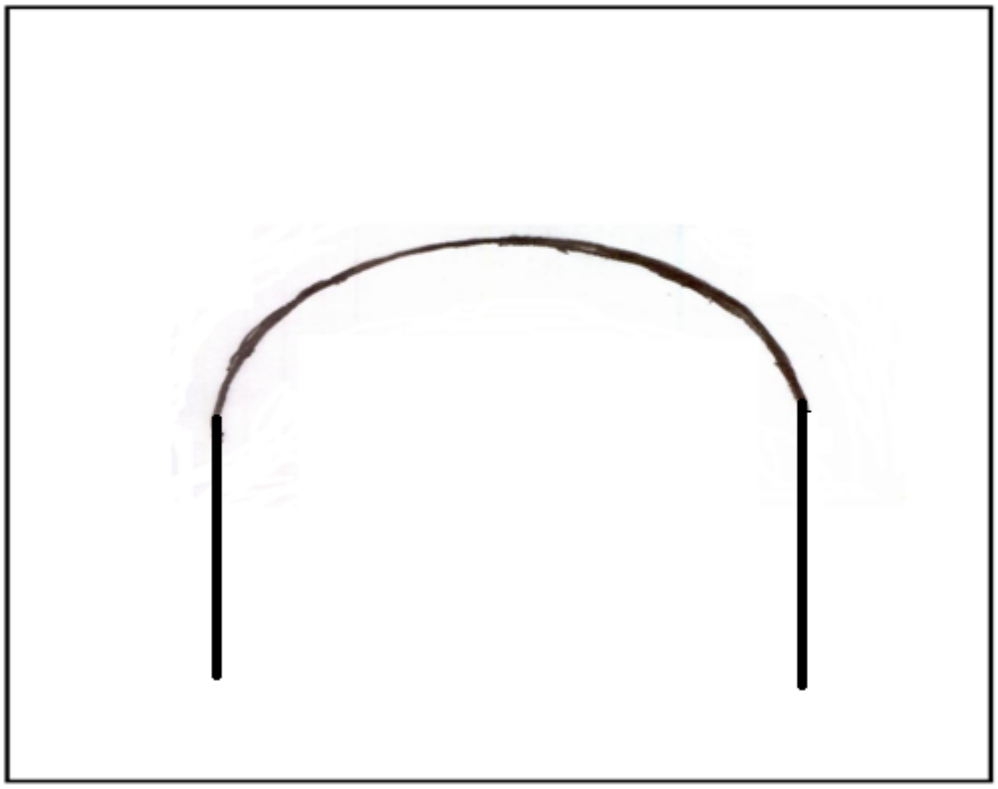

الشكل رقم (07): عقد نصف دائري

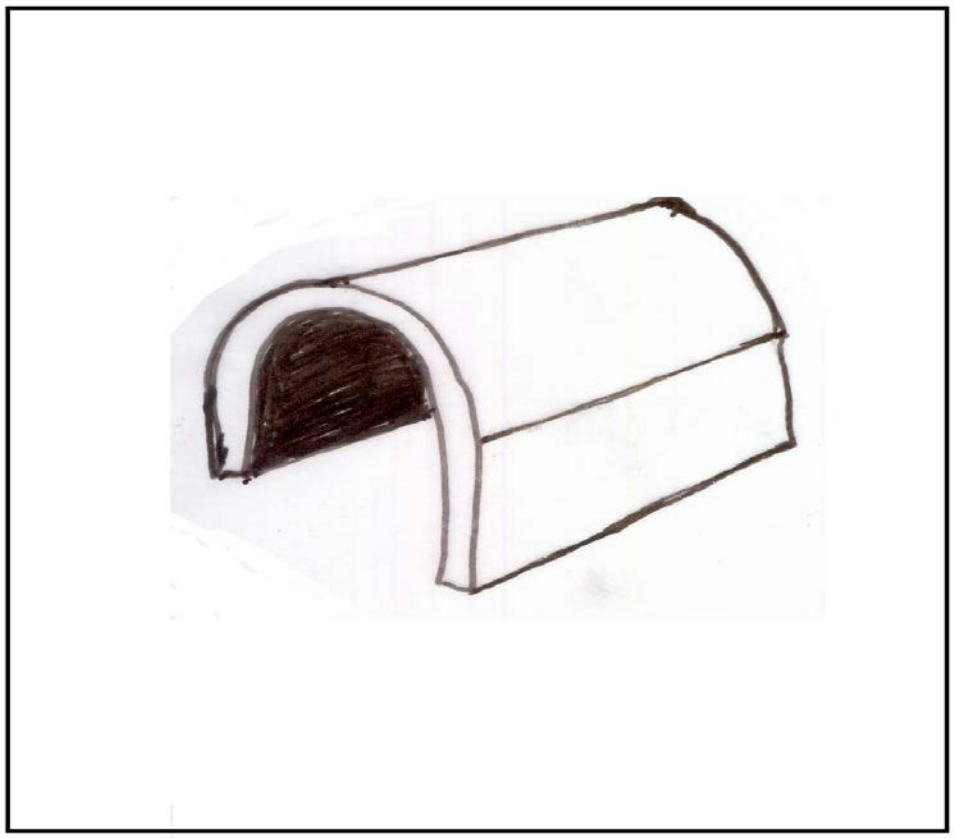

الشكل رقم (08): شكل العقد البرميلي

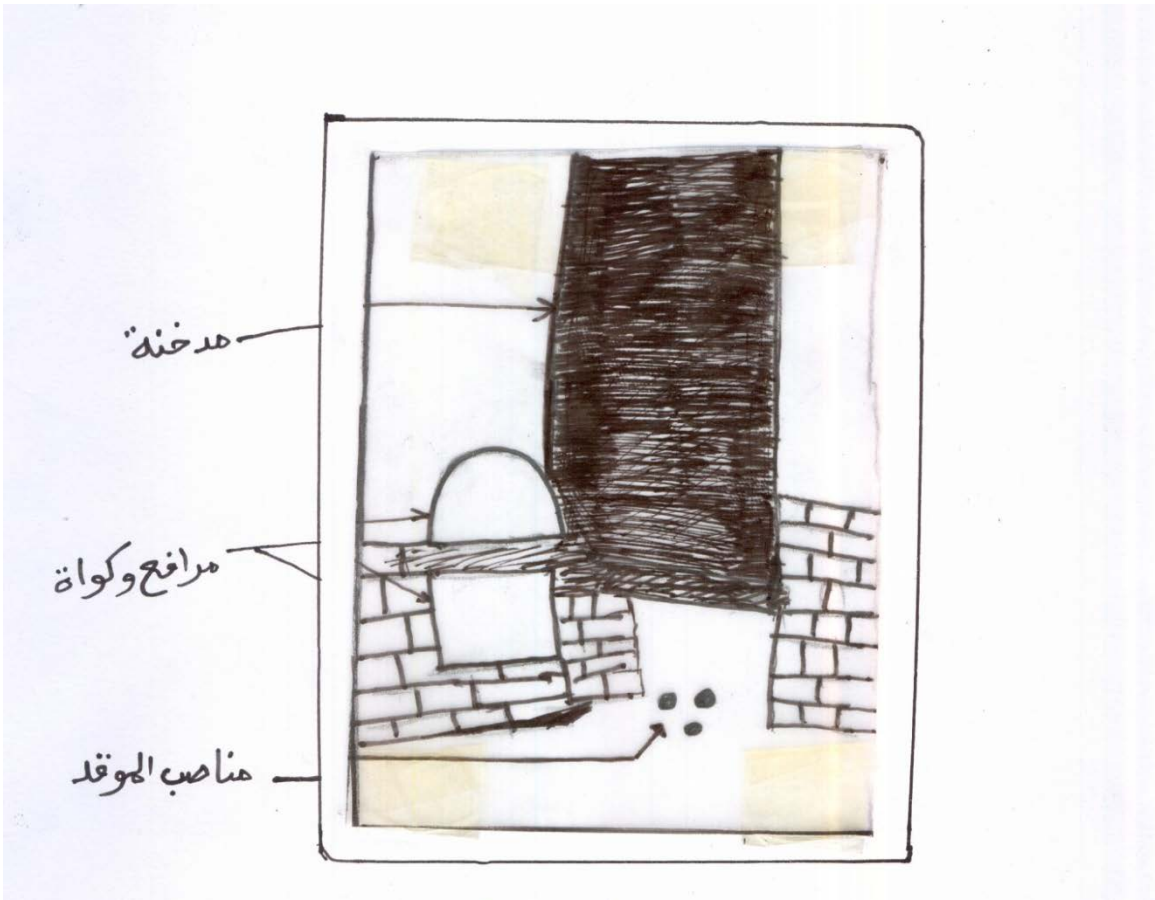

الشكل رقم (09): الموقد في مسكن الأغواط

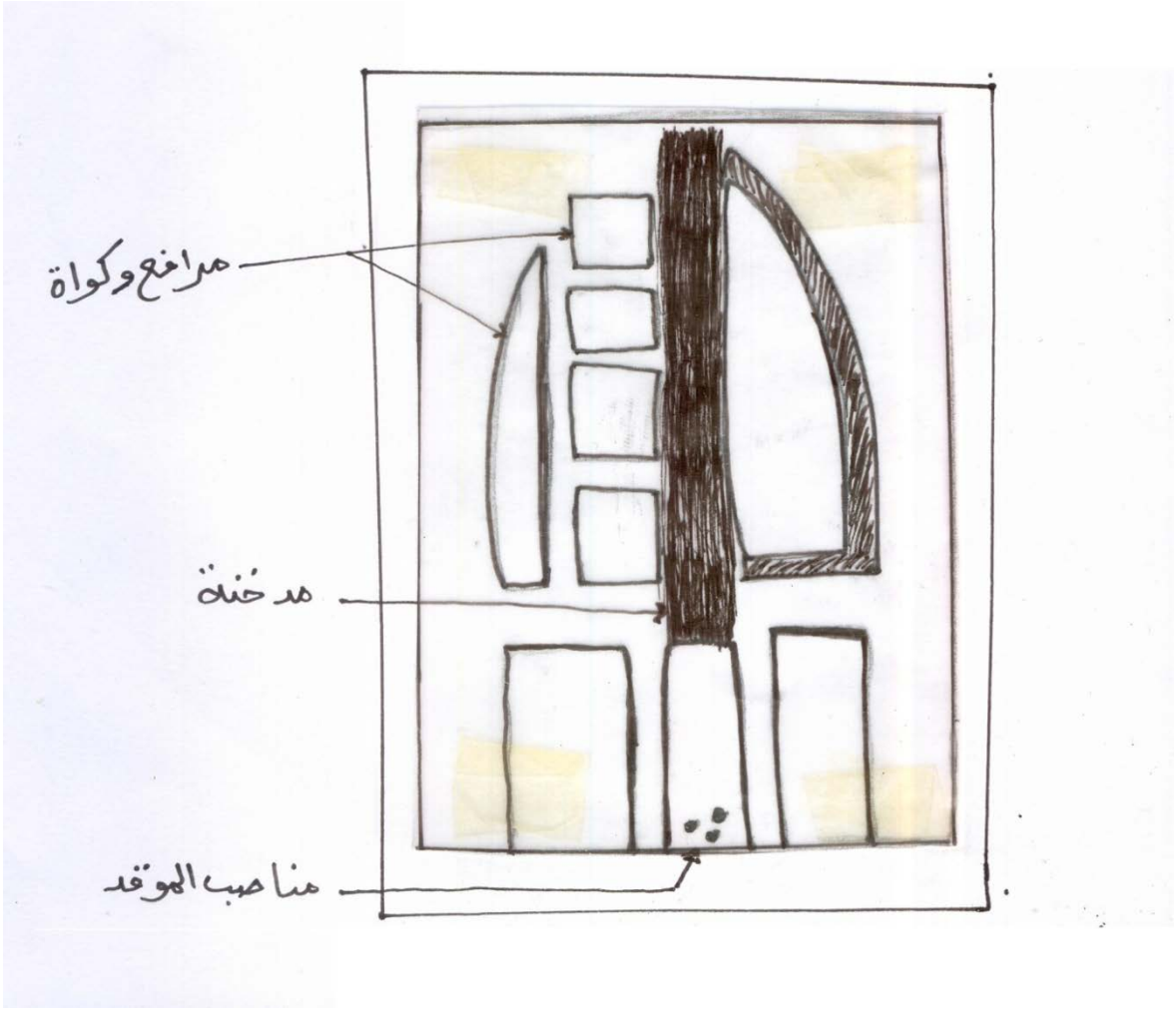

الشكل رقم (10): الموقد في مسكن وادي سوف

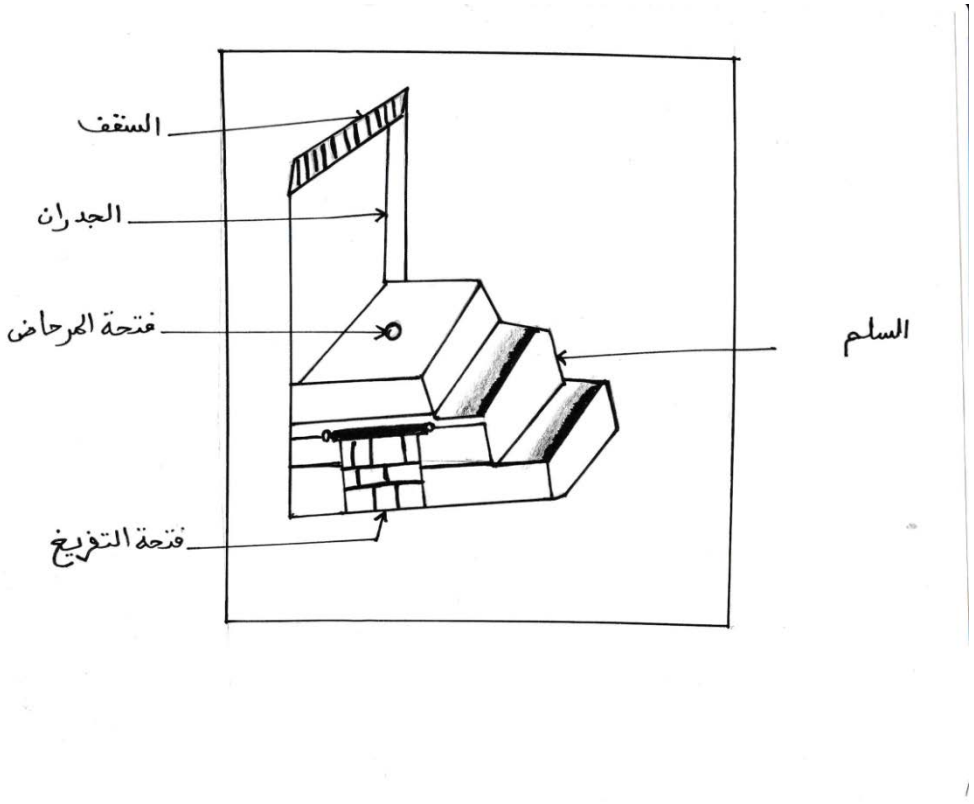

الشكل رقم (11): شكل الكنيف بمسكن الأغواط

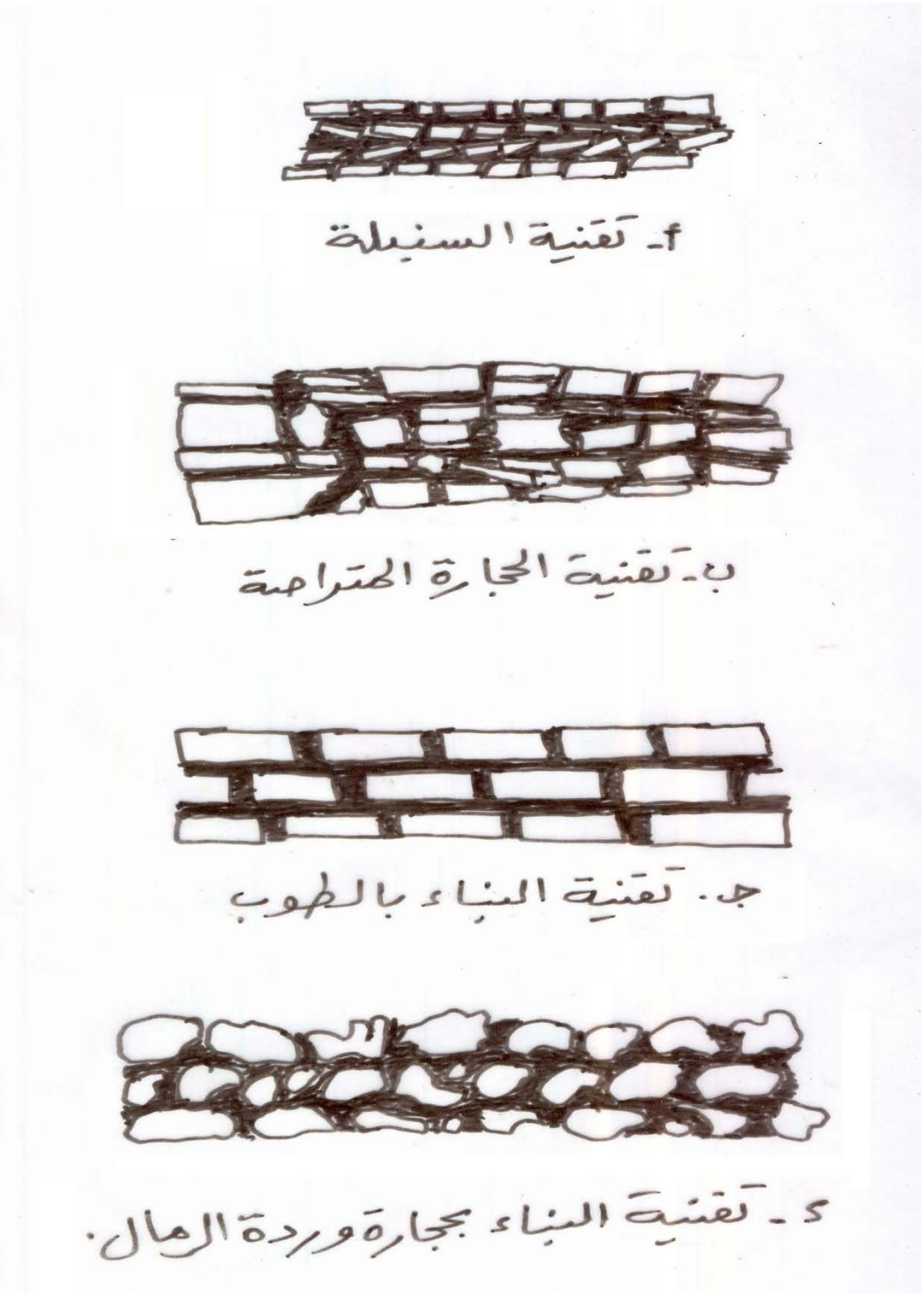

الشكل رقم (12): بعض تقنيات البناء للمسكن الصحراوي

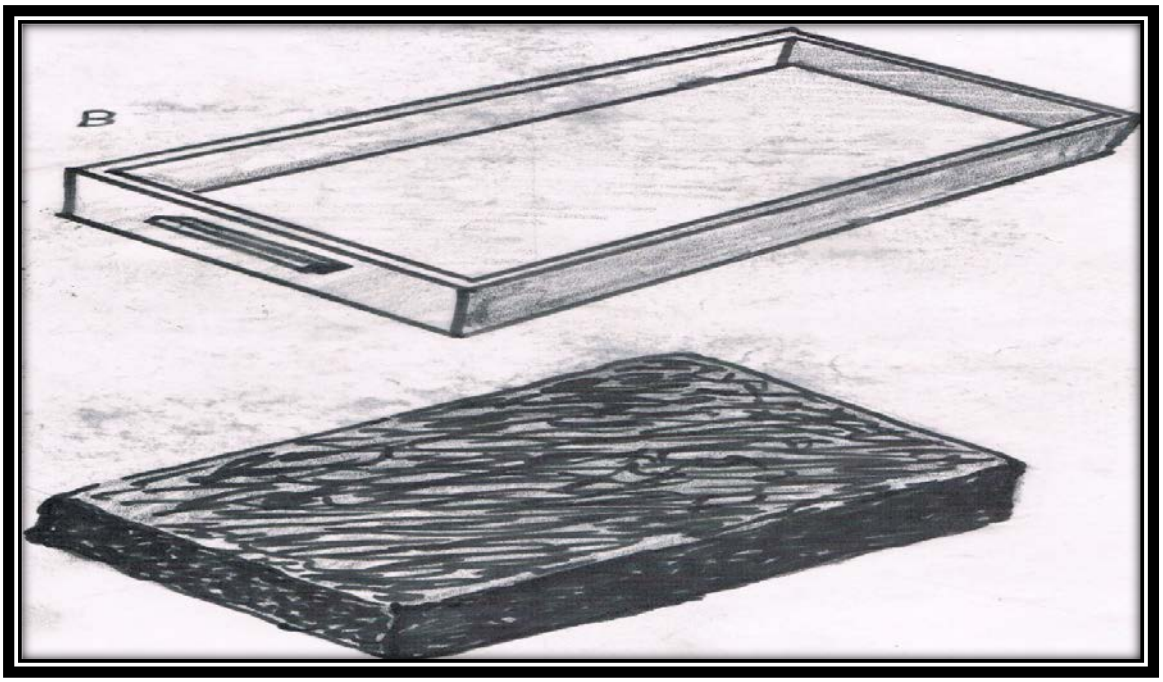

الشكل رقم (13): شكل القالب الخشبي الذي يصنع به الطوب بمنطقة بوسعادة

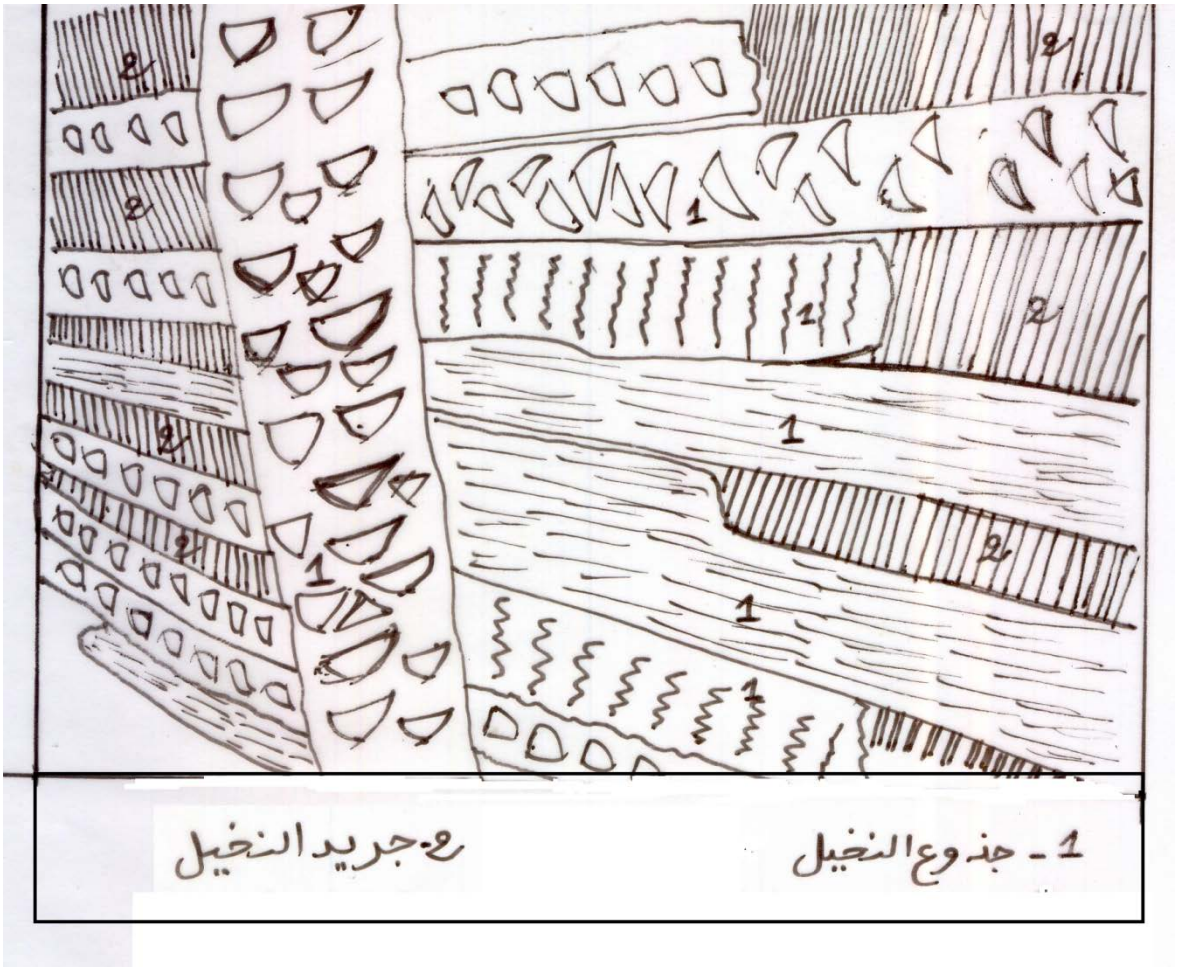

الشكل رقم (14): التسقيف بجذوع وجريد النخيل مسكن وادي سوف

الصورة رقم (01): المساكن المنحوتة في الجبال (عن www.google.com)

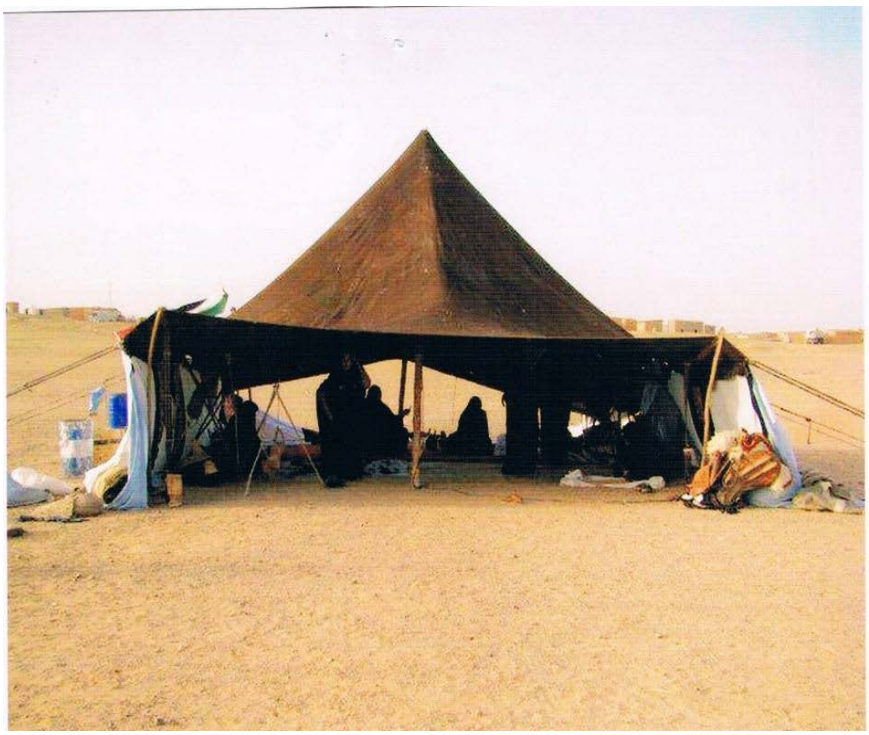

الصورة رقم (02): الخيمة (عن www.google.com)

الصورة رقم (03): مساكن العريش مصنوعة بسعف النخيل

(عن www.google.com)

الصورة رقم (05): شكل شجرة النخيل (عن الطالب)

الصورة رقم (07): نظام التسقيف بالقباب في منطقة وادي سوف منذ سنة 1911 (من موقع www.google.com)

الصورة رقم (08): مسكن من وادي سوف(عن الطالب)

الصورة رقم (09): السلالم بمسكن وادي سوف(عن الطالب)

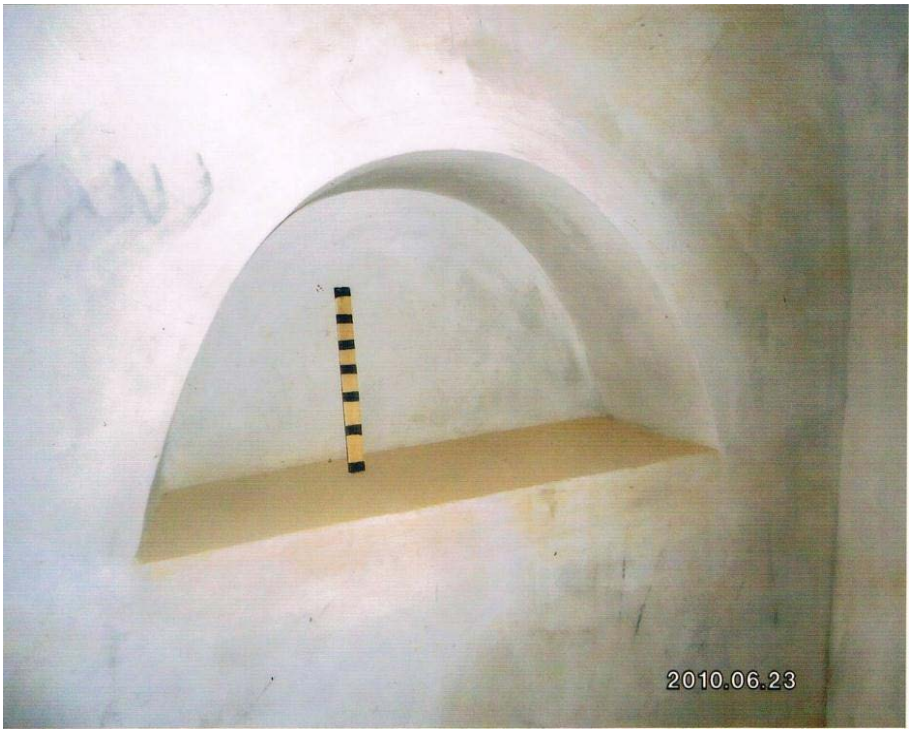

الصورة رقم (10): شكل الكواة نصف الدائرية بمسكن وادي سوف

(عن الطالب)

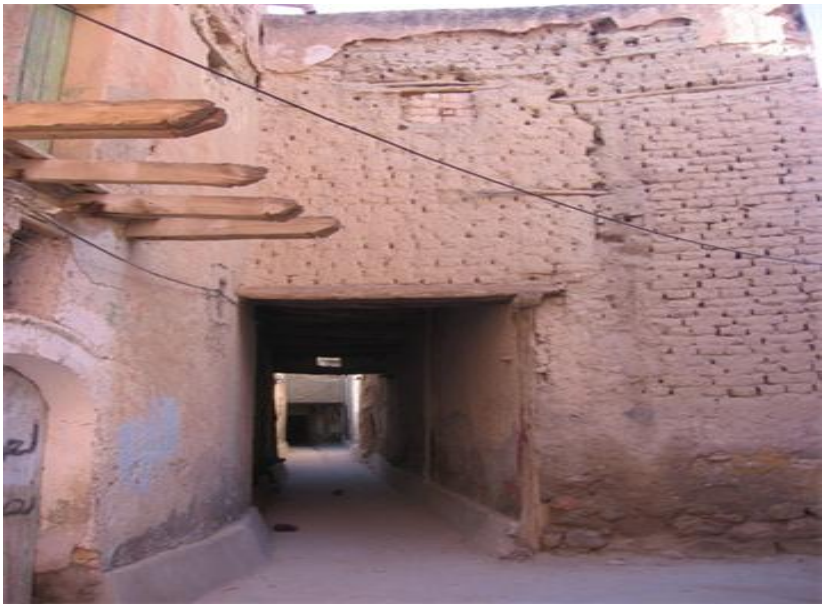

الصورة رقم (11): نظام الإضاءة والتهوية في دروب بوسعادة

(عن الطالب)

الصورة رقم (12): استخدام أغصان وسيقان الأشجار في نظام التسقيف بمسكن بوسعادة(عن الطالب)

الصورة رقم (14): شكل الكوات بالمطبخ مسكن الأغواط (عن الطالب)

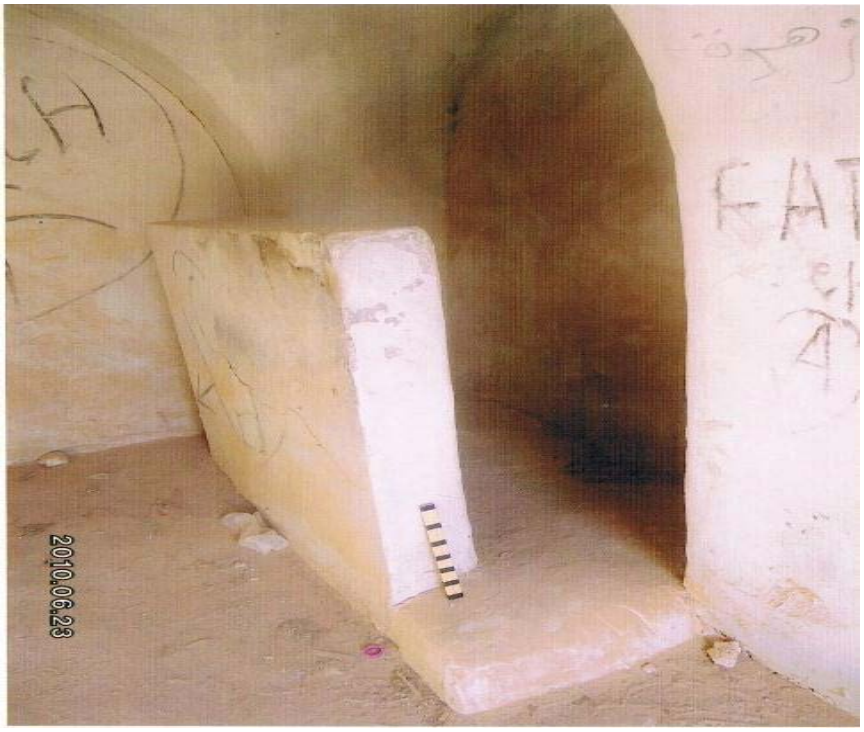

الصورة رقم (17): شكل المطهرة في مسكن وادي سوف (عن الطالب)

الصورة رقم (24): شكل العقود الحاملة للسقف البرميلي مسكن وادي سوف

(عن الطالب)

الصورة رقم (32): استعمال الحجارة الصلبة في بناء أساسات المسكن الصحراوي

(عن الطالب)

الصورة رقم (35): تقنية بناء الجدران بالأغواط

(عن الطالب)

الصورة رقم (38): شكل الملاط في منطقة الأغواط

(عن الطالب)

الصورة رقم (39): شكل التبن المستعمل في صناعة الطوب

(عن الطالب)

الصورة رقم (42): الكرناف المستعمل في التسقيف

(عن الطالب)

الصورة رقم (43): استعمال جذوع النخيل كعوارض خشبية في حمل السقف بمسكن وادي سوف

(عن الطالب)

الصورة رقم (44): جريد النخيل المستعمل في نظام التسقيف بمنطقة بوسعادة

(عن الطالب)

الصورة رقم (45): شكل نبات الرتم المستعمل في التسقيف

(عن الطالب)

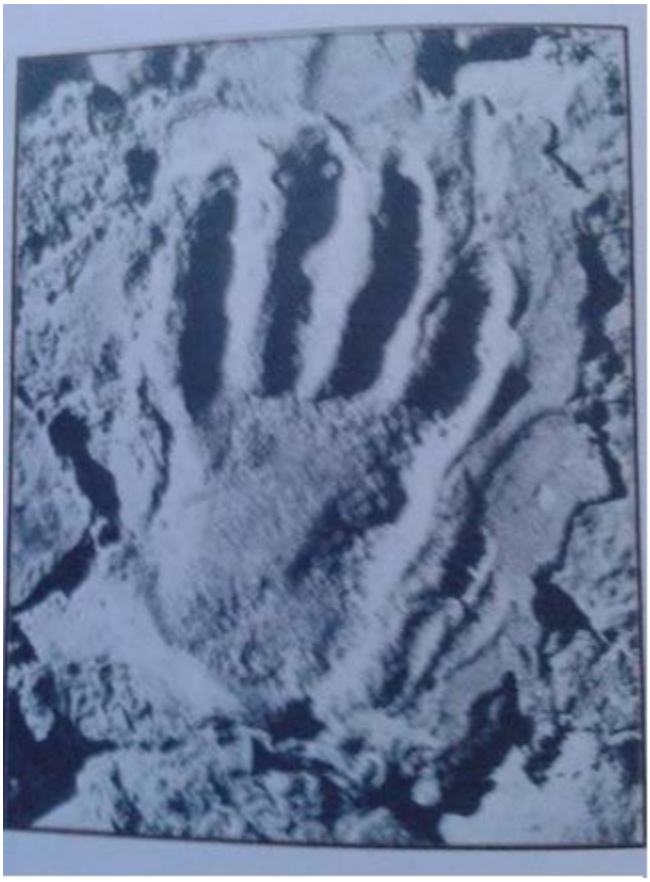

الصورة رقم (46): صورة كف اليد المستعملة في الزخرفة الرمزية

(عن محمد جودي)

فهرس المصطلحات

- تراب: Terre
- التخطيط: Planification
- تبليط: Carrelage
- التبن: Paille
- بيت: Maison, Demeure
- بوابة: Portail
- فناء (الدار) الصحن: Cour
- باب: Porte
- أنظمة البناء: Systèmes de construction
- أسلوب، نمط، طراز: Style
- البيئة، المحيط: Environnement
- جريد النخل: Palme
- جذع: Corsage
- جص، جبس: Gypse
- جص، كلس: Plâtre, Gypse
- خيمة (من القماش): Tente
- داخل المسكن: L'intérieur
- السطح: Terrasse
- سطح: Surface
- سطح (البناء): Tait
- سعف النخيل: Palmette
- السقف: Plafond
- سقيفة: Hangar

فهرس السور والآيات:

الرقم	السورة	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
01	النحل	﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾	80	14
02	الأنعام	﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾	13	22
03	يونس	﴿...جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا...﴾	67	23
04	النحل	﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾	68	24
05	نوح	﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا...﴾	28	26
06	النور	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	27	26
07	الأنفال	﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾	05	26
08	النور	﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ.. ﴾	29	26
09	البقرة	:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾	84	27
10	الأعراف	﴿ ... تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ...﴾	73	30
11	الرحمان	﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾	72	30
12	الفرقان	﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾	10	30
13		﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ	16	44

		فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾		
14		﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	28	134
15	الإسراء	﴿ وقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ...﴾	80	135
16	الرعد	﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا..﴾	02	143
17	البقرة	﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾	266	161
18	الفجر	﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾	09	161
19	مريم	﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾	28	174

فهرس الأشكال، الخرائط والمخططات

الرقم	العنوان	الصفحة
	الأشكـــــــــــــــال	
01	شكل الخيمة	209
02	حدود ولاية وادي سوف	59
03	حدود منطقة بوسعادة	71
04	حدود ولاية الأغواط	85
05	شكل الكوات	210
06	شكل القبة في مسكن وادي سوف	211
07	عقد نصف دائري	212
08	شكل العقد البرميلي	213
09	الموقد في مسكن الأغواط	214
10	الموقد في مسكن وادي سوف	215
11	شكل الكنيف بمسكن الأغواط	216
12	بعض تقنيات البناء للمسكن الصحراوي	217
13	شكل القالب الخشبي الذي يصنع به الطوب بمنطقة بوسعادة	218
14	التسقيف بجذوع وجريد النخيل مسكن وادي سوف	219
15	شكل راحة اليد المستعملة في الزخرفة بالمسكن الصحراوي	220
	الخرائـــــــــــط	
01	خريطة الجزائر الطبيعية (عن أطلس الجزائر والعالم)	15
02	مدن وواحات الجزائر (عن عميراوي وآخرون، "السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916 ")	34
03	تضاريس الجزائر (عن عميراوي وآخرون)	37
04	الإمكانات الاقتصادية للصحراء الجزائرية (عن عميراوي وآخرون، بتصرف)	42

05	موقع ولاية وادي سوف	59
06	موقع منطقة بوسعادة	71
07	موقع ولاية الأغواط	85
المخططـــــــــــــــات		
01	المسكن رقم01، منطقة وادي سوف	98
02	المسكن رقم 02، منطقة وادي سوف	100
03	المسكن رقم 03، منطقة وادي سوف	102
04	المسكن رقم 04، منطقة بوسعادة (من إنجاز العربي لقريز بتصرف)	109
05	المسكن رقم 05، منطقة بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)	110
06	المسكن رقم 06، منطقة بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)	111
07	المسكن رقم 07، مسكن في قصر بوسعادة (عن نسيمة بوصبع بتصرف)	113
08	المسكن رقم 08، مسكن في قصر بوسعادة (عن نسيمة بوصبع بتصرف)	114
09	المسكن رقم 09، منطقة بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)	115
10	المسكن رقم 10، غرفة الضيوف بمسكن بوسعادة (عن يوسف نسيب 1986 بتصرف)	117
11	المسكن رقم 11، منطقة الاغواط (عن مديرية الثقافة بتصرف)	124

فهرس الصور

رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
01	المساكن المنحوتة في الجبال (عن www.google.com)	222
02	الخيمة	223
03	مساكن العريش مصنوعة بسعف النخيل (عن www.google.com)	224
04	البئر في منطقة وادي سوف	55
05	شكل شجرة النخيل	225
06	رسالة ألفونس إيتيان دينيه إلى صديقه إبراهيم بن سليمان (عن خليفة الحاج محمد)	82
07	نظام التسقيف بالقباب في منطقة وادي سوف منذ سنة 1911 (من موقع www.google.com)	226
08	مسكن من وادي سوف	227
09	السلالم بمسكن وادي سوف	228
10	شكل الكواة نصف الدائرية بمسكن وادي سوف	229
11	نظام الإضاءة والتهوية في دروب بوسعادة	230
12	استخدام أغصان وسيقان الأشجار في نظام التسقيف بمسكن بوسعادة	231
13	شكل المزاريب في مسكن الأغواط	123
14	شكل الكوات بالمطبخ مسكن الأغواط	232
15	السلالم بمسكن الأغواط	129
16	فتحة تفريغ الكنيف مسكن الأغواط	130
17	شكل المطهرة في مسكن وادي سوف	233
18	المدخل في مسكن وادي سوف	136
19	المدخل في مسكن بوسعادة	137

20	المدخل في مسكن الأغواط	137
21	النوافذ في مسكن الأغواط	139
22	الأعمدة المدعمة للسقف مسكن بوسعادة	141
23	شكل القبة بمسكن وادي سوف	143
24	شكل العقود الحاملة للسقف البرميلي مسكن وادي سوف	234
25	المدخل المؤدي إلى سقيفة مجموعة من المساكن بمنطقة الأغواط	147
26	الموقد في مسكن الأغواط	148
27	الموقد في مسكن واد سوف	149
28	الكنيف في وادي سوف	151
29	الكنيف في الأغواط	152
30	غرفة التخزين في مسكن وادي سوف	153
31	الخابية بمسكن وادي سوف	155
32	استعمال الحجارة الصلبة في بناء أساسات المسكن الصحراوي	235
33	وردة الرمال بوادي سوف	165
34	الحجارة قرميدية اللون المسطحة بالأغواط	165
35	تقنية بناء الجدران بالأغواط	236
36	الحجارة الزرقاء المستعملة في بناء الأساسات مسكن بوسعادة	166
37	فرن من وادي سوف لحرق حجارة الجير والجبس (عن الموقع www.google.com)	167
38	شكل الملاط في منطقة الأغواط	237
39	شكل التبن المستعمل في صناعة الطوب	238
40	الطوب المستعمل في بناء جدران المساكن	169
41	جذوع النخيل المستعملة في نظام التسقيف بمسكن وادي سوف	173
42	الكرناف المستعمل في التسقيف	239
43	استعمال جذوع النخيل كعوارض خشبية في حمل السقف بمسكن و	240

44	جريد النخيل المستعمل في نظام التسقيف بمنطقة بوسعادة	241
45	شكل نبات الرتم المستعمل في التسقيف	242
46	صورة كف اليد المستعملة في الزخرفة الرمزية (عن جودي محمد)	243

فهرس الموضوعات

المقدمة	أ
مدخل	11
الفصل الأول : مفاهيم عامة	
أولا: تعريفات هامة	22
1. المسكن	22
2. البيت	26
3. الدار	27
4. المنزل	28
5. المدينة	29
6. القصر	30
ثانيا: جغرافية الصحراء	33
1. تعريف الصحراء	33
2. حدود الصحراء	34
3. تضاريس الصحراء	36
1.3. الصحراء المنخفضة	36
2.3. السهول الرملية	36
3.3. الهضاب الصحراوية	36
4.3. المرتفعات القديمة	37
4. المناخ	38
5. الأودية والموارد المائية	38
6. الغطاء النباتي	39
7. المدن والواحات الصحراوية	39
8. أهم الواحات في الصحراء الجزائرية	40

9. الصحراء والإمكانيات الاقتصادية	41
ثالثا: أنماط وأشكال المسكن	43
1. المساكن المنحوتة في الجبال	44
2. الخيمة	44
3. العريش	47
4. المساكن المشتركة	47
رابعا: المسكن في العمارة الإسلامية	48
الفصل الثاني: الإطار الجغرافي والتاريخي للمدن الصحراوية	
أولا: البيئة	53
1. مفهوم البيئة	53
2. ظروف وعوامل الاستقرار	54
ثانيا: مناطق الدراسة	58
1. منطقة وادي سوف	58
1.1. الإطار الجغرافي	58
2.1. الإطار التاريخي	63
3.1. أصل تسمية واد سوف	68
2. منطقة بوسعادة	70
1.2. الإطار الجغرافي	70
2.2. الإطار التاريخي	76
3.2. تأسيس مدينة بوسعادة وأصل تسميتها	80
3. منطقة الأغواط	84
1.3. الإطار الجغرافي	84
2.3. الإطار التاريخي	88
3.3. أصل التسمية	92

الفصل الثالث: الدراسة الوصفة للمساكن بالمدن الصحراوية	
1. مساكن منطقة وادي سوف	96
أ. المدخل	101
ب. السقيفة	101
جـ. غرفة الضيوف	103
د. المطبخ	103
هـ. السطح	104
و. الحوش (الفناء)	104
ي. الغرف	105
ك. المرحاض	106
2. المسكن في منطقة بوسعادة	107
أ. المدخل	112
ب. السقيفة	112
جـ. غرفة الضيوف	116
د. الفناء (الحوش)	118
هـ. الغرف	118
و. المطبخ	119
ي. السطح	120
ك. المرحاض	121
3. المسكن في منطقة الأغواط	122
أ. المدخل	125
ب. السقيفة	125
جـ. غرفة الضيوف	126
د. الفناء (الحوش)	126
هـ. الغرف	127

و. المطبخ	127
ي. السطح	128
ك. المرحاض	129
الفصل الرابع: النظام المعماري والإنشائي للمساكن الصحراوية	
أولا: التخطيط المعماري للمسكن	132
1. المداخل	134
2. الأبواب	136
3. النوافذ	138
ثانيا: العناصر المعمارية	139
1. عناصر الرفع والدعم	139
2. نظام التسقيف	142
3. العقود	144
4. توزيع الوحدات المعمارية للمسكن	145
المدخل المنكسر أو السقيفة	145
المطبخ	147
الكنيف	149
الغرف	152
غرفة التخزين	153
الخابية	154
الحوش (الفناء)	155
السطح	157
الفصل الخامس: تقنية البناء والمنظومة الفنية	
أولا: مواد البناء	159
1. الحجارة	161
الحجارة الصلبة	162

الحجارة الهشة	163
2. الحصى والجير	166
3. الطين	168
4. الطوب	169
5. جذوع وعصي النخل (الأخشاب)	172
6. الحصى	175
7. الحلفاء والرتم	176
8. الماء	177
ثانيا: العناصر الزخرفية	178
1. أنواع الزخارف	179
1.1. الزخرفة الهندسية	179
2.1. الزخرفة النباتية	180
3.1. الزخرفة الكتابية	181
4.1. الزخرفة الرمزية	182
5.1. الزخارف المعمارية	183
2. العقود	184
الخاتمة	187
قائمة المصادر والمراجع	195
ملحق الأشكال والمخططات	209
ملحق الصور	222
فهرس المصطلحات	245
فهرس السور والآيات القرآنية	248
فهرس الأشكال، الخرائط والمخططات	251
فهرس الصور	254
فهرس الموضوعات	/

تَمَّ بِحَمْدِ
اللّٰه